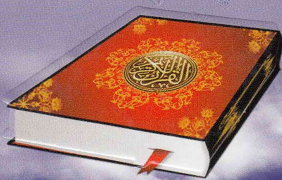




نهاية المعرفة

قراءات في سور القرآن - القراءة الثالثة

وهو بحث متعلق بمعرفة بقية في زماننا
لعدم الضلال إن كنا مؤمنين



منشورات

مؤسسة الشيخ الأنصاري

الشيخ محمد حسين الأنصاري

نَهايةُ المَعْرِفةِ

هوية الكتاب

اسم الكتاب نهاية المعرفة
المؤلف الشيخ محمد حسين الانصاري
طباعة ونشر مؤسسة الشيخ الانصاري
عدد النسخ ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع ٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ
المطبعة دار الاعلمي للطباعة بيروت - لبنان

نِهَايَةُ الْمَعْرِفَةِ

قراءات في سور القرآن_ القراءة الثالثة

قراءة في آية

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

وهو بحث متعلق بمعرفة "بقية الله" في زماننا لعدم الضلال

إن كنا مؤمنين .

تأليف

الشيخ محمد حسين الأنصاري

مؤسسة الشيخ الأنصاري

النجف الأشرف - قم المقدسة - سدني

نتاجات المهدي عليه السلام

الإهداء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
(إلى الذي لولاهُ لما كان الكتاب).

إلى سيدي ، ومولاي (بقية الله) في أرضه ، الحجة بن الحسن
عجل الله له الفرج . أمين الله في أرضه ، وسمائه — عليه وعلى آبائه
أفضل التحيات ، والصلاة ، والسلام .
فمنه المبتدأ ، وبه المطلب ، وإليه يعود الكلم كله ، راجياً منه
القبول .

و في مقامك ، وحضرتك يضيعُ التعرفُ إلا بك ؛
فأنا عبدك ، وابنُ عبدك (عبد الغفار ، الصفية نفسه) محمد
حسين الأنصاري .

سدني / أستراليا

ذكرى ولادة السيدة زينب الكبرى عليها السلام

١٤٣١ هـ ج .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

اللهم صل على محمد وآل محمد

كلمة لا بد منها :

إن الكتابة في هذا الأمر الحساس لهو أمر صعب ، وخاصة هذه الأيام العvisية التي يعتقد كثير من الناس أنها متاخمة لأيام الظهور ، أعاننا الله على كل صعب ، وسهل الله لوليه الفرج ، ومن الله علينا فجعلنا من أنصاره وأعوانه ، ومن قوة سلطانه ، إنه مجيب الدعاء ، فعّال لما يشاء .

أقول هو أمر حساس لأن هناك أشواكاً كثيرة :

منها : الإستعمار العالمي ، الذي يتربص بنا الدوائر ، وهاهو قابع على صدورنا .

ومنها : علماء السوء من المسلمين ، الذين يؤججون نار الحقد على الإسلام والمسلمين ، بفتاواهم التكفيرية ، وبأمرهم بحرق الحرث والنسل .

ولا يبعد عنهم : أولئك المتسلطون الذين حكموا البلاد بلا أي حق ، سوى الجبى بدبابة ثقيلة هجمت على القصر الذي كان من فيه متسلطاً بدبابة كانت قوية في وقتها ، فركبتها الشيخوخة ، فكل واحد منهم هو القائد الأوحّد ، وهو الأمير المفدى .

وهناك : الجهل الراكس فيه الكثير من مجتمعاتنا ، وهم الجهلاء الحقيقيون الذين لا يريدون أن يتعلموا ، فتراهم يصنعون من الإمعة شيئاً عظيماً في خيالاتهم ، فيعبدونه ، فإذا أحبوا ماتوا في حبهم ، وإذا أبغضوا شدوا إلى تجاوز الحدود ، فهم بين حالتين إما التفريط ، أو الإفراط .

وهذه الفئة أخطر من الإستعمار نفسه لأنها يده التي يضرب بها قلب المجتمعات .
 يحركها حسب ما يشاء في خطط شيطانية ، ليضرب المخلصين ، ويقتل
 المخلصين ، ويجعل لهم أئمة كذب ودجل ، فكل يوم هناك إمام ، وكل يوم
 هناك نبي ، وربما كل يوم هناك إله .

وكنا نحسب أن هذا بعيد عن بلادنا العزيزة ، ولا يوجد إلا في مجاهل
 أفريقيا ، أو متاهات الهند ، إذ بلادنا كانت دوماً مركزاً للإشعاع الفكري ،
 حتى في العصور الوسطى التي كانت أوربا فيها تقع في ظلام دامس .
 ولكنها الحقيقة المرة التي جاءت من الظلم الذي كان قابلاً سنياً طوالاً في
 هذه الأرض .

وهذا ما يميز الجسد الواحد تمزيقاً ، فلا نستطيع قراراً .

وهنا لا يبعد : الجهل الراكب أكتاف الكثيرين من المثقفين الذين لا
 يعرفون أكثر مما أطلعوا عليه ، يريدون أن يتصيدوا في الماء العكر ، فيرون
 الملك ذا الرأس الخاوي ، فيزينونه أمام الهمج الرعاع ، ويصنعون منه القائد
 الضرورة ، وكان الناس عبيد لأمه .

فإذا قال قال بلده ، وإذا سكت القائد فليسكت الجميع .

وقول أحدهم يصف كلامه : " إن هو إلا وحيٌ يُوحى " ، على حد تعبير
 من يحسن التعبير منهم ، مع علمه بجرائمه وما اقترف في حق البلاد والعباد ،
 شاهد صدق على ذلك ^(١) .

المهم : إن الأمد قد طال على بعضهم فقست قلوبهم ، فأصبحوا ،
 لا يرحمون صغيراً ، ولا كبيراً ، خوفاً ، وطمعاً .

وأخذوا يصنعون لأميرهم " لباس الإمبراطور " الذي لا يرى إلا في مخيلة

١ - من أراد الإطلاع فعليه بأدبيات الثلث الأخير من القرن الماضي مثلاً ، ليجد صدق ما نقول .

هذا الأرعن ، والكل يُصَفَّق لهذا الزي العظيم .

و آخرون من جهة ثالثة : تثقفوا ، بثقافات مختلفة فضاء عليهم الأساس ، فأصبحوا يبنون في الهواء .

و أحد أمثلتهم مثقفونا في العالم الإسلامي ، أقولها ، ويعصرني الأسف . فأصبحوا لا يعرفون المؤمن إلا الذي يكون على شاكلتهم ، وهذا بنفسه بلاءً مبین .

وليت هذا وحسب ، بل ظلّوا يحاربون من ليس على نهجهم ، بأنواع الحروب ، فيقتلونّه بالتهويش^(١) عليه كلاماً ، أو بالتهميش فعلاً ، قبل السيف ، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

و الأدهى من ذلك كله أن أكثرهم ممن يملك وسائل الإعلام الخاصة بنا ، والناطقة باسمنا .

وقد عاجت في هذا الكتاب عدة أمور أحسبني قد أصبت فيها ، فإن كان كذلك فله الحمد والمِنَّة ، و إن كان غيره فلا بأس بإطلاعي على الخلل ، عسى أن أنتفع به ، وتنداركه قبل الفوات .

والتقد العلمي دلالة على الصحة العلمية ، إذ فوق كل عالم عليم ، و العلماء مهما وصلوا بالعلم والمعرفة فيمكن أن يقعوا بارتباك ، أو غفلة ، إلا المعصوم عليه السلام ، فهو البوصلة ، وهو الميزان ، ولذا بقي الاجتهاد لدينا مفتوحاً .

فلا تنظر لمن قال ، ولكن أنظر لما قد قيل .

١- التَّهْوِيشُ : التخليط . أنظر كتب اللغة منها : لسان العرب / مادة شوش ؛ و التَّشْوِيشُ و المَشْوِيشُ و التَّشْوِيشُ : كُلُّهَا لَحْنٌ ، و وهِمَ الجوهريُّ ، و الصَّوَابُ : التَّهْوِيشُ و المَهْوِيشُ و التَّهْوِيشُ . القاموس المحيط / مادة شاش .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

المقدمة

بما أن البحث حول معرفة ما لا بد من معرفته .

وبما أنه مبني على معرفتين أساسيتين أحدهما هو قوام المعرفة الكلية ،
وأعني بها معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة الرسول ونبوته صلى الله عليه و
آله ، لذا كان عنوان الكتاب نهاية المعرفة .

وهذا الكلام ينكشف في الدعاء الذي أمرنا أن ندعوا به في زمن الغيبة :
((" اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي نَفْسَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،
اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،
اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي ")) .
إذ كما يلاحظ من الدعاء أن الطلب منصب على معرفة الله تعالى ،
ولولاها لم يعرف النبي ، المرتكز على تلك المعرفة معرفة الرسول ، المبني
عليها معرفة الحجة ، ولولاها لكان الضلال عن الدين .
ومن هنا يتبين لنا أن معرفة الحجة هي نهاية المعرفة .

وبما أن الحجة لله تعالى في الكون هو بقية الأنبياء والمرسلين ، والأوصياء
والمصطفين ، لذا هو بقية حجج الله في الأرض ، وكما أنه هو المكلف ببناء
على هذا بيان شرائع الله تعالى بعد اندراسها وانظماها ، لذا هو المبين لبقية
شرائع الله تعالى الذي هو الإسلام ، فيظهره بعد خمول ذكره ، ويوضحه بعد
اندراس معالمه ، ويجمع أمره بعد تشتته .

وقد اعترف القاضي والداني من أنه مهدي هذه الأمة ، من نسل رسول الله صلى الله عليه وآله ، من نسل علي وفاطمة عليهما السلام .

وهم أي محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله (آل الله) كما سيتبين لك من مطاوي الحديث ، ومدى صحة تلك النسبة .

فهل يصح أن يُسمى " بقية الله " ؟

مع العلم بأنها قد وردت في كتاب الله ، حيث قال نبي الله شعيب على نبينا وآله وعليه السلام لقومه : " بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين " .

فهل جاءت بكيفية تُصحح لنا هذا الإطلاق ، أم لا ؟

ومن هنا جاء البحث في هذا الكتاب بقسمين :

القسم الأول : بحث في معرفة ما تعني " بقية الله " في كتابه المنزل على صدر نبيه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال الله تعالى :

((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)) .

القسم الثاني : بحث في دعاء الغيبة .

بالإضافة إلى بحث أمور آخر نتعرض لها في مطاوي الكلام تبين لنا مدى ارتباطهما معاً ، ومصداقية ذلك وصحته ، ومدى ارتباط ذلك بنا .

عسى ألا نضل عن ديننا ، لنكون من المؤمنين .

والله العاصم .

القسم الأول في فصل واحد :

قراءة في آية :

﴿ بَقِيَتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾^(١)

التفسير الأولي :

ما معنى " بقيت الله " ؟

وهل لله بقية ؟

قال أصحاب اللغة :

بَقِيَ : يَبْقَى بَقَاءً وَبَقَى بَقِيًّا ضِدُّ فَنِيَ .

وَأَبْقَاهُ وَبَقَّاهُ وَتَبَّقَاهُ وَاسْتَبَقَاهُ .

والاسمُ البَقْوَى كدَعْوَى ، وَيُضْمُ ، والبُقْيَا بالضم ، والبَقِيَّةُ .

وقد توضعُ الباقيةُ موضعَ المصدرِ .

ومُبْقِيَاتُ : الخَيْلِ التي يَبْقَى جَرِيُّهَا بعدَ انقِطَاعِ جَرِي الخَيْلِ .

وَاسْتَبَقَاهُ : اسْتَحْيَاهُ ، ومن الشيءِ تَرَكَ بَعْضَهُ^(٢) .

ولذا قال صاحب القاموس فيما قال :

" وَبَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ " أي طاعةُ اللَّهِ ، وانتظارُ ثوابِهِ ، أو الحالةُ الباقيةُ لَكُمْ من

١- (هود / ٨٦) .

٢- أنظر القواميس اللغوية ومنها : القاموس المحيط / مادة بقي .

الخير ، أو ما أبقى لكم من الحلال . (١)

هذا ما قاله أصحاب اللغة ، فما قال أصحاب التفسير ؟

إذا رجعنا إلى ما قبل هذه الآية المباركة من الآيات المتعلقة التي كانت سبباً لإيرادها هنا لرأينا أن الآيات كانت تبين ما مر به شعيب النبي على نبينا وآله وعليه السلام في مدينته التي بعث إليها ،
إذ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِ نَبِيِّهِمْ مَا لَهُمْ مَالٌ مِنَ اللَّهِ فَكَفَرُوا بِهِمْ سَرُّونَ ظُهُورَهُمُ الْمَنُكِرِينَ وَلَمَّا جَاءَ الْغَوْسَاقُ كَانُوا مِنْهَا كَغَوْسِقًا كَرِهَتِ الْحُرِيُّمُ أَنْ يَعْلَمَهُمْ الْعَرَبُ فَلُدُّوا عَنْهُمْ وَالْعَرَبُ لَشَاءُونَ أَلِيًّا ﴿١٠٤﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِ نَبِيِّهِمْ مَا لَهُمْ مَالٌ مِنَ اللَّهِ فَكَفَرُوا بِهِمْ سَرُّونَ ظُهُورَهُمُ الْمَنُكِرِينَ وَلَمَّا جَاءَ الْغَوْسَاقُ كَانُوا مِنْهَا كَغَوْسِقًا كَرِهَتِ الْحُرِيُّمُ أَنْ يَعْلَمَهُمُ الْعَرَبُ فَلُدُّوا عَنْهُمْ وَالْعَرَبُ لَشَاءُونَ أَلِيًّا ﴿١٠٤﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِ نَبِيِّهِمْ مَا لَهُمْ مَالٌ مِنَ اللَّهِ فَكَفَرُوا بِهِمْ سَرُّونَ ظُهُورَهُمُ الْمَنُكِرِينَ وَلَمَّا جَاءَ الْغَوْسَاقُ كَانُوا مِنْهَا كَغَوْسِقًا كَرِهَتِ الْحُرِيُّمُ أَنْ يَعْلَمَهُمُ الْعَرَبُ فَلُدُّوا عَنْهُمْ وَالْعَرَبُ لَشَاءُونَ أَلِيًّا ﴿١٠٤﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ فَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِ نَبِيِّهِمْ مَا لَهُمْ مَالٌ مِنَ اللَّهِ فَكَفَرُوا بِهِمْ سَرُّونَ ظُهُورَهُمُ الْمَنُكِرِينَ وَلَمَّا جَاءَ الْغَوْسَاقُ كَانُوا مِنْهَا كَغَوْسِقًا كَرِهَتِ الْحُرِيُّمُ أَنْ يَعْلَمَهُمُ الْعَرَبُ فَلُدُّوا عَنْهُمْ وَالْعَرَبُ لَشَاءُونَ أَلِيًّا ﴿١٠٤﴾﴾

بِقَبُولِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٥﴾

المعنى :

((البقية : بمعنى الباقي .

والمراد به : الربح الحاصل للبائع ، وهو الذي يبقى له بعد تمام المعاملة ، فيضعه في سبيل حوائجه .

وذلك أن المبادلة وإن لم توضع بالقصد الأول على أساس الاسترباح ، وإنما كان الواحد منهم يقنتي شيئاً من متاع الحياة ، فإذا كان يزيد على ما يحتاج إليه بدل الزائد المستغنى عنه من متاع آخر ، يحتاج إليه ولا يملكه ، ثم

١_ القاموس المحيط / مادة بقي .

٢_ (٨٦) سورة هود .

أخذت نفس التجارة وتبديل الأمتعة من الأثمان حرفة ، يكتسب بها المال ، وتقتنى بها الثروة .

فأخذ الواحد منهم متاعاً من نوع واحد ، أو أنواع شتى وعرضه على أرباب الحاجة ، للمبادلة ، وأضاف إلى رأس ماله فيه شيئاً من الربح ، بإزاء عمله في الجمع والعرض .

ورضي بذلك الناس المشترون ، لما فيه من تسهيل أمر المبادلة عليهم .
فللتاجر في تجارته ربح مشروع ، يرتضيه المجتمع بحسب فطرتهم ، يقوم معيشته ، ويحول إليه ثروة يقتها ، ويقوم بها صلب حياته .

فالمراد : أن الربح الذي هو بقيه إلهية هداكم الله إليه من طريق فطرتكم هو خير لكم من المال الذي تقتنونه من طريق التطفيف ، ونقص المكيال والميزان ، إن كنتم مؤمنين ، فإن المؤمن إنما ينتفع من المال بالمشروع ، الذي ساقه الله إليه من طريق حله ، وأما غير ذلك مما لا يرتضيه الله ، ولا يرتضيه الناس بحسب فطرتهم فلا خير له فيه ، ولا حاجة له إليه . ((^١)).

وقد حصرها صاحب جامع البيان في تفسير القرآن كذلك في ذلك ، فقال :
((يعني تعالى ذكره بقوله : { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ } : ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم ، بالمكيال و الميزان بالقسط ، فأحله لكم خير لكم من الذي ييقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم ، بالمكيال والميزان .)) .

ثم قال : ((وقد اختلف أهل التأويل في ذلك)) ، ثم أورد الأقوال المختلفة التي مرت بسنده إليها ، بعدها قال : ((وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته ، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان .

وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخير عما لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة أولى . مع أن قوله : { بَقِيَّةٌ } إنما هي مصدر من قول القائل بَقَيْتُ بَقِيَّةً من كذا ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى : بقية الله التي أبقاها لكم ، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم ، من ظلمكم الناس ببخسكم إياهم في الكيل والوزن . ((^١)).

وحتى الطبرسي صاحب مجمع البيان لم يبعد عن هذا البيان أولاً إذ قال : (({ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } البقية بمعنى الباقي ، أي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير من البخس ، والتطفيف ^(٢))) .

وأضاف ابن كثير لما مر :

((وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : "الهلاك" في العذاب ، و" البقية في الرحمة .

وقال أبو جعفر بن جرير : " بقية الله خير لكم " (أي : ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان) خير لكم ، (أي : من أخذ أموال الناس قال : وقد روي هذا عن ابن عباس . ^(٣))) .

ولذا قال الخازن في تفسيره : ((قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف . ^(٤))) .

١ - تفسير جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري (ت ٣١٠ هـ) .

٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) .

٣ - تفسير ابن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / ج ٤ / في تفسير هذه الآيات / دار طيبة / ٢٠٠٢ م .

٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر

((والإضافة إلى الله للإشارة إلى أن المعطي هو الله ، وأن المكاسب وسائل إعطاء الله ، سترأ على إعطائه ، لثلاً ينصرفوا عن المكاسب .))^(١) . وهو على ما أفادت الكلمات القرآنية في هذه القضية بالخصوص ، وهي قضية شعيب النبي ، وقومه قوم مدين .

ولا يمكن أن يقتصر المعنى على ذلك ، لأن ظاهره أنه جاء على شكل قاعدة ، إذا صح التعبير .

وهو كثير موارد في القرآن الكريم .

ومثاله حتى لا نستوحش من المعاني التي نصل إليها باعتبار المقدمات المسلمة ، على الطريقة التي جرى عليها القرآن الكريم في كثير من الموارد :

قوله تعالى : ((إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ . .))^(٢) .

الشيحي / في تفسير هذه الآيات المباركة / ج ٣ / ص ٤٧٦ .

١ _ تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن ١٤ هـ) .

٢ _ البقرة ١٥٨ .

التوسع في المعنى : المرحلة الأولى ما بعد التفسير :

ونبدأ بها مارين بتفسير قوله تعالى :

((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...))^(١)

ذكر العلامة القرطبي تسع مسائل ، في الثالثة منها قال :

((قوله تعالى: { مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } أي من معالمة ومواضع عباداته ؛ وهي

جمع شعيرة .

والشعائر : المتعبّدات التي أشعرها الله تعالى ؛ أي جعلها أعلاما للناس ،
من الموقف والسّعي والتّحر .

والشّعار : العلامة ؛ يقال : أشعر الهدّي أعلمه ، بفرز حديدة في سنّامه ؛
من قولك : أشعرت أي أعلمت ، وقال الكميّ

نُقْتَلَهُمْ جِيلاً فَجِيلاً تَرَاهُمْ شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ^(٢)

وقد قال في تفسير آية ((ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب))
بعد أن قال فيه سبع مسائل :

(الثانية : قوله تعالى : { وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ } الشعائر جمع شعيرة ،
وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ؛ ومنه شعار القوم في الحرب ؛
أي علامتهم التي يتعارفون بها .

ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون

١- البقرة ١٥٨ .

٢- تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي (ت ٦٧١ هـ) / في تفسير الاية ((إن الصفا والمروة

من شعائر الله...)) البقرة ١٥٨ .

علامة ، فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة .

فشعائر الله أعلام دينه ، لا سيما ما يتعلق بالمناسك .

وقال قوم : المراد هنا تسمين البدن والاهتمام بأمرها والمغالاة بها ؛ قاله

ابن عباس ومجاهد وجماعة .

وفيه إشارة لطيفة ، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه ، فلا يدل على الإخلاص ، فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع ، وهو من تقوى القلوب . والله أعلم .)) .

وقال الرازي في تفسيره : ((وفي الآية مسائل ...)) ، وذكر في المسألة

الثانية:

((وأما { شَعَائِرَ اللَّهِ } فهي أعلام طاعته ، وكل شيء جعل علماً من

أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله .

قال الله تعالى :

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) أي علامة للقربة .

وقال : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ ^٢

وشعائر الحج : معالم نسكه ، ومنه المشعر الحرام .

ومنه إشعار السنام : وهو أن يعلم بالمدينة فيكون ذلك علماً على إحرام

صاحبها ، وعلى أنه قد جعله هدياً لبيت الله .

ومنه الشعائر في الحرب ، وهو العلامة التي يتبين بها إحدى الفئتين من

الأخرى .

١_ الحج : ٣٦ .

٢_ الحج / ٣٢ .

والشعائر جمع شعيرة ، وهو مأخوذ من الإشعار الذي هو الإعلام ، ومنه قولك : شعرت بكذا ، أي علمت .

المسألة الثالثة : الشعائر إما أن نحملها على العبادات أو على النسك ، أو نحملها على مواضع العبادات والنسك .

فإن قلنا بالأول حصل في الكلام حذف ، لأن نفس الجبلين لا يصح وصفهما بأنهما دين ونسك ، فالمراد به أن الطواف بينهما والسعي من دين الله تعالى .

وإن قلنا بالثاني استقام ظاهر الكلام ، لأن هذين الجبلين يمكن أن يكونا موضعين للعبادات والمناسك .

وكيف كان فالسعي بين هذين الجبلين من شعائر الله ومن أعلام دينه ، وقد شرعه الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولإبراهيم عليه السلام قبل ذلك ، وهو من المناسك الذي حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال :

﴿ وَأَمْرًا مِّنَّا سَكَنًا ﴾ .^(١)

وقال الشيخ الطوسي : ((والشعائر : المعالم للأعمال ، فشعائر الله : معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة ، وهي أعلام متعبداته من موقف ، أو مسعى ، أو منحرف ، وهو مأخوذ من شعرت به : أي علمت ، وكل معلم لعبادة من دعاء ، أو صلاة ، أو أداء فريضة ، فهو مشعر لتلك العبادة .

وواحد الشعائر شعيرة ، فشعائر الله أعلام متعبداته)) وأورد بيت الكميّ المذكور .^(٢)

١_ تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت ٦٠٦ هـ) / (الاية ((إن الصفا والمروة من شعائر الله ..)) البقرة ١٥٨ .

٢_ تفسير البيان الجامع لعلوم القرآن / الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) / في تفسير الآية ((إن الصفا

وقال العلامة الألووسي : ((و - الشعائر - جمع شعيرة ، أو شعارة - وهي العلامة - والمراد بهما أعلام المتعبادات أو العبادات الحجية .

وقيل : المعنى إن الطواف بين هذين الجبلين من علامات دين الله تعالى ، أو أنهما من المواضع التي يقام فيها دينه ، أو من علاماته التي تعبد بالسعي بينهما لا من علامات الجاهلية .)) (١)

وقال صاحب التحرير والتنوير : ((والشعائر جمع شعيرة بفتح الشين ، وشعارة بكسر الشين بمعنى العلامة ، مشتق من شعر إذا علم وفطن .

وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، أي معلّم بها ، ومنه قولهم : أشعر البعير إذا جعل له سمة في سنامه بأنه معد للهدى .

فالشعائر ما جعل علامة على أداء عمل من عمل الحج والعمرة ، وهي المواضع المعظمة ، مثل المواقيت التي يقع عندها الإحرام ، ومنها الكعبة ، والمسجد الحرام والمقام ، والصفاء والمروة ، وعرفة ، والمشعر الحرام بمزدلفة ومنى والجمار .

ومعنى وصف الصفاء والمروة بأنهما من شعائر الله أن الله جعلهما علامتين على مكان عبادة ، كتسمية مواقيت الحج مواقيت ، فوصفهما بذلك تصريح بأن السعي بينهما عبادة ، إذ لا تتعلق بهما عبادة جعلاً علامة عليها غير السعي بينهما . وإضافتهما إلى الله لأنهما علامتان على عبادته ، أو لأنه جعلهما كذلك .)) (٢)

والمروة من شعائر الله ..)) البقرة ١٥٨ .

١ - تفسير روح المعاني/ الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ) / في تفسير الآية ((إن الصفاء والمروة من شعائر الله ..)) البقرة ١٥٨ .

٢ - تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) / في تفسير الآية ((إن الصفاء والمروة من شعائر الله ..)) البقرة ١٥٨ .

فانظر تر صدق ما تقول فقد جاءت الشعائر في مورد معين ، لكن
المفسرين بينوا عموميتها ، حتى شملت لا خصوص مناسك الحج والتي
نزلت في أعمال خاصة فيه بل غيرها .

كما مر عليك قول الرازي : ((وأما { شَعَائِرُ اللَّهِ } فهي أعلام طاعته ،
وكل شيء جعل علماً من أعلام طاعة الله فهو من شعائر الله .)) .

وقول الطوسي : ((وكل معلم لعبادة من دعاء ، أو صلاة ، أو اداء
فريضة ، فهو مشعر لتلك العبادة ، وواحد الشعائر شعيرة ، فشعائر الله أعلام
متعبداته)) .

وما قاله القرطبي : ((فشعائر الله أعلام دينه ، لا سيما ما يتعلق
بالمناسك .)) .

فإذاً من واقعة واحدة استطاعوا أن يفهموا ما أراد الباري في كتابه من
معنى أوسع من المورد الذي جاء فيه اللفظ .

وهذا من أسرار وبلاغة وقوة اللغة العربية ومطابقتها .

ولذا قلنا من أن مجالس ومواكب الإمام أبي عبد الله الحسين بن
علي عليه السلام، من شعائر الله .

المرحلة الثانية بعد التفسير :

شواهد على هذا الإستعمال القراني :

والقران لا يخلو من موارد كثيرة أخرجها هذا المؤدى ، منها :

قوله تعالى : ((قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ))^(١)

وبما أن الخبيث يشمل كل ما يكره بسبب خساسته وحقارته وردائه ، معنوياً كان أو مادياً ، فيشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات جميعاً ، وكذلك ضده الطيب يشمل كل ذلك عموماً .

قال سيد قطب في تفسيره : ((إن المناسبة الحاضرة لذكر الخبيث والطيب في هذا السياق ، هي مناسبة تفصيل الحرام والحلال في الصيد والطعام . والحرام خبيث ، والحلال طيب ... ولا يستوي الخبيث والطيب ولو كانت كثرة الخبيث تغر وتعجب .

ففي الطيب متاع بلا معقبات من ندم أو تلف ، وبلا عقابيل من ألم أو مرض ... وما في الخبيث من لذة إلا وفي الطيب مثلها ، على اعتدال وأمن من العاقبة في الدنيا والآخرة .

والعقل حين يتخلص من الهوى بمخالطة التقوى له ورقابة القلب له ، يختار الطيب على الخبيث ؛ فينتهي الأمر إلى الفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

هذه هي المناسبة الحاضرة .. ولكن النص - بعد ذلك - أفسح مدى

وأبعد أفقاً . وهو يشمل الحياة جمعياً ، ويصدق في مواضع شتى .))^(١) .

وقد قال ابن عجيبة في تفسيره : ((يقول الحق جلّ جلاله : { قل لا يستوي الخبيث والطيب } عند الله ، في القلوب والأحوال ، والأعمال والأموال ، والأشخاص ، فالطيب من ذلك كله مقبول محبوب ، والرديء مردود محقوت...)) .^(٢)

وقال أبو السعود في تفسير نفس الآية : ((قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها ، قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديئها ، وإن كان سبب النزول شريح بن ضبة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله" ... الخ ، وقيل نزل في رجل سأل رسول الله إن الخمر كانت تجارتي وإنني اعتقدت من بيعها مالا ، فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال النبي ﷺ : إن أنفقت في حج أو جهاد ، أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة ، إن الله لا يقبل إلا الطيب .))^(٣) .

وقال الثعالبي في تفسيره :

((وقوله تعالى : " قل لا يستوي الخبيث والطيب " الآية ، لفظ عام في جميع الأمور فيتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها ، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة ، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة . وينظر إلى هذه الآية قوله تعالى " والبلد الطيب يخرج نباته

١_ في ظلال القرآن / ج ٢ / في تفسير آية المائدة .

٢_ تفسير آية ((قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)) المائدة ١٠٠ .

٣_ تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود / ج ٣ / ص ٨٣ / دار إحياء التراث العربي - بيروت .

بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا " والخبث هو الفساد الباطن في الأشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك .)) (١)

بل ((أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال : الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون (٢) .))
ومن ذلك نعلم معنى قوله تعالى كذلك :

﴿يَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ (٣)

ولولا هذه الطريقة لحكمتنا على كثير من النصوص في لغة العرب بالموت، والضمور ، ولو كان كذلك لتوقف الإستنباط ، ولما بقي القرآن حياً.
ومن هنا ندرك معاني قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿وَقَدْ حَابَ مِنْ أَفْرَاسِي﴾ ،

وقوله سبحانه : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ،

وقوله عز من قائل : ﴿أَعْلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ .

وحتى مثل قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ،

أو قوله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ..﴾ التي نزلت في وقائع خاصة وأمور معينة .

١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / ج ١ / ٤٩١ / مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت .

٢- الدر المنثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي / ج ٣ / ص ٢٠٤ / دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣ .

٣- الأنفال ٣٧ .

وكما كررنا وقلنا إن مثل ذلك في القرآن كثير .

العودة إلى (البقية) :

لذا ترى ما في قول الثعالبي في إشكاله على قول مجاهد : ((وقوله " بقيت الله خير لكم " قال ابن عباس معناه الذي يبقى الله لكم من أموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون به على غير وجهه ، وهذا تفسير يليق بلفظ الآية .

وقال مجاهد معناه طاعة الله ، وهذا لا يعطيه لفظ الآية .))^(١)

وقد أخرج ما قاله مجاهد السيوطي في درّ منثور ، حيث قال: ((وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { بقية الله } يقول : طاعة الله .))^(٢)

فهل هذا هو كل شيء ؟

لوراجعنا بعض التفاسير الأخر لرأينا أن الأمر سيتجاوز ذلك إلى أقوال آخر غير التي مرت ، فهما أقوام آخرون .

((أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله { بقية الله } قال : رزق الله . وأخرج عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن قتادة في قوله { بقية الله خير لكم } يقول : حظكم من ربكم خير لكم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله { بقية الله } يقول : طاعة الله .

وأخرج أبو الشيخ عن الربيع رضي الله عنه في قوله { بقية الله } قال :

١_ الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / ج ٢ / ص

٢١٤ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت .

٢_ تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / السيوطي ، (ت ٩١١ هـ) .

وصية الله { خير لكم } .

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه في قوله { بقية الله } قال: رزق الله خير لكم من بحسكم الناس . ((^(١)).

أقول :

ألا ترى من كل ما تقدم أنه لا يصح أن نقول بقية الله إلا بتقدير محذوف؟ ولهذا ذهب المفسرون مذاهب شتى في التقدير ، فهذا ذهب إلى أن المحذوف هو الطاعة وهذا إلى انتظار ثوابه ، أو إلى الحالة الباقية لكم من الخير، أو إلى ما أبقي لكم من الحلال ، وذلك سماه بالربح وهكذا .

((وقيل : بقية الله يعني ما أبقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام))^(٢) .

وهذا ما نقله البغوي عن ابن عباس ومجاهد .^(٣)

والقرطبي أضاف: ((وقال الفراء : مراقبة الله ابن زيد : رحمة الله.))^(٤).

وقد حصرها ابن الجوزي بثمانية أقوال ، حيث قال :

((قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فيه ثمانية أقوال :

أحدها : ما أبقي الله لكم الحلال ، بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس ، قاله ابن عباس .

١_ تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

٢_ لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي / في تفسير هذه الآيات المباركة / ج ٣ / ص ٤٧٦ .

٣_ أنظر تفسير معالم التنزيل / البغوي (ت ٥١٦ هـ) .

٤_ تفسير القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ج ٩ / في تفسير هذه الآية / دار الفكر .

والثاني : رزق الله خير لكم ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال فيان .

والثالث : طاعة الله خير لكم ، قاله مجاهد ، والزجاج .

والرابع : حظكم من الله خير لكم ، قاله قتادة .

والخامس : رحمة الله خير لكم ، قاله ابن زيد .

والسادس : وصية الله خير لكم ، قاله الربيع .

والسابع : ثواب الله في الآخرة خير لكم ، قاله مقاتل .

والثامن : مراقبة الله خير لكم ، ذكره الفراء .

وقرأ الحسن البصري : (تقية الله خير لكم) بالتاء .

قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم ، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عز وجل ، عرفوا صحة ما يقول .

وفي قوله : ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : ما أمرتُ بقتالكم وإكراهكم على الإيمان .

والثاني : ما أمرتُ بمراقبتكم عند كيحكم لئلا تبخسوا .

والثالث : ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم .^(١)

وإن كان الرازي قد قال : ((ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ،

وفيه وجهان :

الأول : أن يكون المعنى إني نصحتكم ، وأرشدتكم إلى الخير ﴿ وَمَا أَنَا

١ _ تفسير زاد المسير في علم التفسير / ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ ﴿ أَي لا قدرة لي على منعكم عن هذا العمل القبيح .

الثاني : أنه قد أشار فيما تقدم إلى أن الاشتغال بالبخس والتطيف يوجب زوال نعمة الله تعالى ، فقال: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ ﴾ ، يعني لو لم تتركوا هذا العمل القبيح لزال نعم الله عنكم ، وأنا لا أقدر على حفظها عليكم في تلك الحالة . (١)

وقال الزمخشري : ((وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم ، وأجازيكم عليها ، وإنما بعثت مبلغاً ، ومنبهاً على الخير وناصحاً ، وقد أعدرت حين أنذرت .)) (٢) .

بعد أن بين معنى البقية بقوله :

((بَقِيَّةُ اللَّهِ } ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم
﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بشرط أن تؤمنوا ، وإنما خوطبوا بترك
التطيف والبخس ، والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان .

فإن قلت :

بقية الله خير للكفرة ، لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطيف ،
فلم شرط الإيمان ؟

قلت : لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ، وخفاء فائدتها مع فقدته لانغماس صاحبها في غمرات الكفر ، وفي ذلك استعظام للإيمان ، وتنبه على جلالة شأنه .

ويجوز أن يراد : إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم .
ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم ، كقوله :

١_ تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت ٦٠٦ هـ) .

٢_ تفسير الكشاف / الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾^(١)

بعد أن قال ذلك قال : ((وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه ، وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً .
وإذا أريد به الطاعة فكما تقول : طاعة الله .

وقرىء : (تقية الله) بالتاء ، وهي تقواه ، ومراقبته التي تصرف عن المعاصي ، والقبائح .

﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها ، وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً ، وقد أعذرت حين أنذرت . ((^(٢) .

((وشرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس .

وقيل : معناه إبقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف ، عن ابن جبير .

وقيل : معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا ، لأنها يبقى ثوابها أبداً ، والدنيا تفتنى ، عن الحسن ومجاهد ، ويؤيده قوله :

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾^(٣) .

وقيل : بقية الله رزق الله عن الثوري . ((^(٤) .

١_ الكهف / ٤٦ .

٢_ المصدر السابق .

٣_ الكهف / آية ٤٦ .

٤_ مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) .

وقال صاحب بيان السعادة : ((**﴿ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** قِيدَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ لِأَنَّ بَقِيَّةَ اللَّهِ لغير المؤمنِ نِقْمَةٌ وَعَذَابٌ .

أو هو شرط تهيجي لأنهم كانوا مدعين أنهم مؤمنون بالله ، وأصنامهم شفعاؤهم عند الله .))^(١).

وهو أحسن ما رأيت من توجيه لقوله تعالى **﴿ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** ، إذ جلّ التفاسير ، إن لم يكن كلها قالت : ((شرط الإيمان في كونه خيراً لهم ، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عز وجل ، عرفوا صحة ما يقول .))^(٢).

ولكنهم غير مؤمنين ، فكيف صحّ توجيه الخطاب إليهم ؟

لأنهم حينئذٍ أي وقت الخطاب لا يفهمون ذلك بل لا يعقلونه .

بينما المعنيان الذين قدمهما الجنابذي ، له أثره الكبير في تقبل دعواه .

١_ تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن ١٤ هـ)

٢_ أنظر التفاسير والعبارة لتفسير زاد المسير في علم التفسير / ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

المرحلة الثانية ما بعد التفسير :

وهل يُكتفى بما ذكر هؤلاء؟

طبعاً لا ، لأن المتدبر ربما يستطيع أن يستخرج درراً آخر من هذه الجمل ، إذ من كل ما تقدم نجد أن كل تقدير يصلح معه الكلام لا بد وأن يكون صحيحاً .

ولو أردنا أن نتدبر أكثر ، ونفوص في المعنى أعمق لتسائلنا :

لِمَ أضاف الله سبحانه في كتابه على لسان نبيه شعيب لفظ البقية للفظ الجلالة ، فقال تعالى : ﴿ بقية الله ﴾ ؟

يقول الفخر الرازي : ((وأقول المراد من هذه البقية : إما المال الذي يبقى عليه في الدنيا ، وإما ثواب الله ، وأما كونه تعالى راضياً عنه ، والكل خير من قدر التطفيف :

أما المال الباقي فلأن الناس إذا عرفوا إنساناً بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه فيفتح عليه باب الرزق ، وإذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يخالطوه ألبتة فتضيق أبواب الرزق عليه .

وأما إن حملنا هذه البقية على الثواب فالأمر ظاهر ، لأن كل الدنيا تفتنى وتنقرض وثواب الله باق . وأما إن حملناه على حصول رضا الله تعالى فالأمر فيه ظاهر .

فثبت بهذا البرهان أن بقية الله خير .))^(١)

ولم يتوسع أكثر مع أن ديدنه التوسع في مثلها ، وهو قد تلمس سعة هذا

١- تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت ٦٠٦ هـ) .

القول ، و شموليته ، ولكنه توقف بحدود المال .

وسياتي بقية كلام فانظر .

قال صاحب تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن :

قوله تعالى ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بقية الله ، وقربته ، ووصاله ، وما ادخر لأولياته من الكرامات السنية ، والدرجات الرفيعة ، قال بعضهم ما ادخر الله لكم من كراماته خير مما تسألونه فيه . ((^(١)) .

وقال ابن عربي : ((﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي : إن كنتم مصدقين ببقاء شيء ، فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية ، والمقتنيات العقلية ، والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية ، التي تشقون بها ، وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ، ثم تتركونها بالموت ، ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات ، والعذاب اللازم ، لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات .))^(٢) .

فإذا هنا ظهر لنا (فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية والمقتنيات العقلية ، والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشقون بها وتشقون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ، ثم تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات ، والعذاب اللازم لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات .) .

وقد قال العلامة الجنازدي كما مر عليك : ((والإضافة إلى الله للإشارة إلى أن المعطي هو الله ، وأن المكاسب وسائل اعطاء الله سترأ على اعطائه لثلاً ينصرفوا عن المكاسب .))^(٣) .

١_ تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن / البقلي (ت ٤٠٤ هـ) .

٢_ تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) .

٣_ تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنازدي (ت القرن ١٤ هـ) .

وبعدها قال : ((أو بقية الله من الفطرة الإلهية واللطفية السيارة الانسانية والعقل وجنوده بعد احاطة النفس وشهواتها والشيطان واغوائه والجهل وجنوده بمملكتكم خير لكم من قضاء الشهوات والآمال التي زينها الشيطان))^(١) .

فهنا نرى أن المعاني بدأت تتوسع .

وهذا التعامل مع هذه النصوص ديدن العلماء والمفسرين ، إذ لا يقفون عند حد معنى الآية الظاهر من السياق ويجمدون عليه لو ساعد على ذلك التدبر في الآية المباركة .

لذا قلنا لو أضاف الفخر الرازي على دائرة المال دوائر آخر لأنصف أي إنصاف .

ونحن نضيف ما لعله لو رآه لأقره ، بعد أن مر علينا ما ذكره ابن عربي والبقلي :

المراد من هذه البقية أما ما يتعلق بنفس الموضوع المالي ، فهو كما ذكر .

وإن كان المراد الأوسع من ذلك فليس الحصر واف .

وذلك لأن أي بقية يمكن أن تضاف إلى الله ، ومرتبطة بالمبلغ به — وهو الذي ركز عليه المفسرون ، فضاع كثير من المطلب — والمبلغ — وهو ما ذكره قليل منهم — والمبلغ — وهو ما فات جلهم إن لم يكن كلهم ، ما عدا من ذكرنا — فهي خير .

فإذا صحت في المال وفي الإنسان الذي عرفه الناس (بالصدق والأمانة والبعد عن الحياة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه فيفتح عليه باب الرزق) على حد قوله ، فلماذا النظر انصب على المعاملات المالية فقط ، لماذا

لا تتوسع فنقول :

(فلأن الناس إذا عرفوا إنساناً بالصدق والأمانة والبعد عن الخيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات إليه) المالية ، كما ذكروا ، وغيرها كما لم يذكروا ، فيفتح الله الخير عليه وعليهم .
إذا صح ذاك فليصح هذا ، وهو صحيح .
والشئ يكرم بما أضيف إليه : ولذا تقول بيت الله وجنة الله ، ولا تقصد أنه البيت الذي يسكن فيه الله سبحانه وتعالى .
بل تكريماً له وتعظيماً إذ فيه يُذكر الله تعالى أكثر من غيره ، فصحت نسبتة إليه .

وهكذا عندما تقول عبد الله .

فإذا صحت تسمية المال بالبقية ، وأضيفت إليه ، فلم لا يصح أن تطلق على من أخلص لله وجهه ، فكان عبداً لله حقيقياً ، باعتبار أنه بقية أنبياء الله ورسله ، فهو بقية شرائعه ، فهو بقية دين الله ؟
خاصة وإن (البقية : تركة شيء من شيء قد مضى ، والمعنى بقية الله من نعمه) .^(١)

وإذا كانت البقية بمعنى الطاعة كما قال الإمام الطبراني ((. ويقالُ : أراد بالبقية طاعة الله ، فإنها هي التي يبقى ثوابها^(٢))).
فالطاعة خير لنفس المطيع ، وأما المطيع الخالص فلنفسه هو خير وللناس .
قال تعالى على لسان يوسف الصديق على نبينا وآله وعليه السلام مخاطباً صاحبي سجنه ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُنْشِرَكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾

١- تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن / الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) .

٢ - التفسير الكبير / للإمام الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) .

فعدم شركهم بالله من شئٍ فضله عميم ، عليهم بالخصوص كأنياء ، وعلى الناس بالعموم كمتبعين ، فتأمل جيداً فيه .

وخاصة إذا لاحظنا أن : ((لفظ (بقية) كلمة جامعة لمعان في كلام العرب ، منها : الدوام ، ومؤذنة بضده وهو الزوال^(١))) .

((على أن لفظ البقية يتحمل معنى آخر من الفضل في كلام العرب ، وهو معنى الخير والبركة لأنه لا يبقى إلا ما يحتفظ به أصحابه وهو النفائس ، ولذلك أطلقت البقية على الشيء النفيس المبارك كما في قوله تعالى : ((فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون)) ، وقوله ((فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض))

وقال عمرو بن معدي كرب أو رويشد الطائي :

إن تذبوا ثم تأتيني بقيتكم فما عليّ بذنبٍ منكم فوتٌ

قال المرزوقي : المعنى ثم يأتيني خياركم وأما لكم يقيمون المَعذرة ، وهذا كما يقال : فلان من بقية أهل ، أي من أفاضلهم .

وفي كلمة البقية معنى آخر وهو الإبقاء عليهم ، والعرب يقولون عند طلب الكف عن القتال : ابقوا علينا ، ويقولون " البقية البقية " بالنصب على الإغراء ، قال الأعشى :

قالوا البقية - والهنديُّ يحصدهم - ولا بقية إلا الثار - وانكشفوا

وقال مسور بن زيادة الحارثي :

أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

والمعنى إبقاء الله عليكم ونجاتكم من عذاب الاستئصال خير لكم من

١- أنظر تفسير التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور / دار سحنون / ج ١٣ / ص

هذه الأعراض العاجلة السيئة العاقبة ، فيكون تعريضاً بوعيد الاستئصال .)) .

((وكل هذه المعاني صالحة هنا . ولعل كلام شعيب عليه السلام قد اشتمل على جميعها فحكاه القرآن بهذه الكلمة الجامعة .))^(١) .

ثم قال : ((وإضافة (بقية) إلى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعاً وتفريقاً إضافة تشريف وتيمن .

وهي إضافة على معنى اللام ، لأن البقية من فضله أو مما أمر به .))^(٢) .

وبناءً على هذا يصح التوسعة بالمعنى ، بل تكون حينئذ إشارته واضحة ، ولذا قال العلامة الجنابذي في تفسيره : ((او بقية الله من خلفائه فى أرضه الداعين لكم إليه خير لكم من رؤسائكم فى ضلالتكم ، وكان هذا القول منه تلويحاً الى نفسه .))^(٣) .

ومن هنا ظهر معنى أدق وأرقى تجاوز الحدود اللفظية إلى المعاني العلوية ، وظهرت بعض بطون الآية المباركة .

خاصة أن أهل البيت عليهم السلام قد بينوه في كلامهم ، فكان الشاهد من عدل القران ، ومن ترجمانه ، وبه يتم البيان ، ويكتمل البيان .

قال المجلسي عليه الرحمة : ((فسر أكثر المفسرين " بقية الله " بما أبقاه الله لهم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليهم من تطيف المكيال والميزان ، أو إبقاء الله نعمته عليهم ، أو ثواب الآخرة الباقية .

وأما الخبر فالمراد به من إبقاء في الأرض من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لهداية الخلق ، أو الأوصياء والأئمة الذين هم بقايا الأنبياء في

١_ المصدر السابق نفسه .

٢_ المصدر السابق نفسه

٣_ تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن ١٤ هـ) .

أهمهم))^(١) .

وقد قال العلامة السيد عبد الله شبر في معرض شرحه للزيارة الجامعة التي وردت فيها هذه الكلمة الطيبة (("بقية الله" : أي بقية خلفاء الله ، و حججه في الأرض ، من الأنبياء ، والأوصياء ، ولعله إشارة إلى قوله تعالى : (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) .

وتأتي البقية بمعنى الرحمة ، أي هم رحمة الله ، التي من بها على عباده . ويحتمل ان يكون المعنى : الذين بهم أبقى الله عليه العباد ، ورحمهم ، فالحمل للمبالغة ، فيكون إشارة إلى قوله تعالى : " أولو بقية " ، وقيل : أي أولو تمييز وطاعة .

في فلان بقية : أي فضل مما يمدح به .))^(٢) .

كما قال العلامة المجلسي رحمه الله تعالى قبل ذلك إن هذه الآية المباركة نزلت في أهل البيت عليهم السلام ، وعنون عنواناً في كتابه : قوله تعالى (بقية الله خير لكم) نزلت فيهم .^(٣)

ولذا ورد ((في حديث ولادة الرضا عليه السلام أن الكاظم عليه السلام أعطاه أمه نجمة ، وقال : " خذيه فإنه بقية الله في أرضه " .)) . ،

وعن محمد بن العباس عن علي بن محمد الجعفي ، عن أحمد بن القاسم الأصفهاني ، عن علي بن محمد بن مروان ، عن أبيه ، عن أبان بن أبي عياش

١_ البحار / ج ٢٤ / باب ٥٦ / أهم عليه السلام حزب الله وبقيته / ص ٢١١-٢١٢ .

٢_ الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله شبر / ص ١٠٣ / مؤسسة الوفاء ، بيروت .

٣_ البحار / ج ٢٤ / باب ٥٦ / أهم عليه السلام حزب الله وبقيته / ص ٢١١-٢١٢ .

٤_ المصدر السابق .

عن سليم بن قيس قال :

خرج علينا علي بن أبي طالب عليهم السلام ونحن في المسجد فاحتوشناه، فقال :

" سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن القرآن ، فإن في القرآن علمَ الاولين والآخرين ، لم يدع لقاتل مقالا ، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم : وليسوا بواحد ، ورسول الله ﷺ كان واحداً منهم ، علمه الله سبحانه إياه ، وعلمنيه رسول الله ﷺ ، ثم لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة " .

ثم قرأ : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

فأنا من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة .

ثم قرأ : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ .

ثم قال : كان رسول الله عقب إبراهيم ، ونحن أهل البيت عقب إبراهيم ، وعقب محمد ﷺ . ((. (١)

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أنه صعد جبلاً يشرف على أهل مدين حين أغلق دونه باب مدين ، ومنع أن يخرج إليه بالأسواق ، فخطبهم بأعلى صوته يا أهل المدينة الظالم أهلها : " أنا بقية الله ، يقول الله " بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ " .

قال وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم يا قوم هذه والله دعوة شعيب النبي عليه السلام ، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من

١ _ كنز الفوائد / ٢٩٠ . البحار / ج ٢٤ / باب ٥٦ / أنهم عليه السلام حزب الله وبقيته / ص

فوقكم ومن تحت أرجلكم الحديث .)) . (١)

وقد جاء في تفسير فرات وقد أورده الشيخ المجلسي عنه :

٤٧ - فر: فرات بن إبراهيم الكوفي رحمة الله عليه معننا عن زيد بن

علي عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ عَنْ

الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ والاية في هود: ١١٦ إلى آخر الآية ، قال : يخرج الطائفة منا

ومثلنا كمن كان قبلنا من القرون ، فمنهم من يُقتل ، وتبقى منهم بقية ، ليحيوا

ذلك الأمر يوماً ما .)) . (٢)

ومن هنا اختص هذا اللقب بالإمام الثاني عشر عليه السلام ، على اعتبار أنه

بقية الرسالة ، وبقية آل الله في الأرض .

١_ تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي / الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ) .

٢_ تفسير فرات : ٦٣ .. / عنه البحار / ج ٢٤ / ص ٣٢٩ .

آل الله :

المراد من آل الله هو محمد وآل محمد ﷺ ، كما هو بين . وإن كانت ربما تطلق على قريش من قبل .

ففي العلامات التي ظهرت عند ولادة النبي ﷺ التي كان قد أوردها الشيخ المجلسي في بحاره قال : ((عظمت قريش في العرب، وسموا آل الله عزوجل .))^(١).

((و كانت قريش تُسَمَّى "آلَ الله" ، و "جيرانَ الله" ، و "سكّانَ حرم الله" . وفي ذلك يقول عبدُ المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذمته	لم نزلَ فيها على عهدِ قَدَمِ
إن للبيتِ لرباً مانعاً	من يرد فيه يائثم يُخترَمُ
لم نزلَ لله فينا حرمة	يدفعُ اللهُ بها عنا النقمَ ^(٢)

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام ."^(٣).

و ((قال في جلاء الأفهام : قال أصحاب القول الثاني : والتزمت العرب إضافته - أي لفظ الآل - فلا يستعمل مفرداً إلا نادراً كقول الشاعر :

١_ نفس المصدر / ج ١٥ / ص ٢٥٨ .

٢_ العقد الفريد / ج ١ / كتاب البيمة في النسب وفضائل العرب / أصل قريش .

٣_ البحار / ج ١٥ / ص ٢٥٨ .

نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلاً على عهد إرم ((^(١))

والعجيب من أمر صاحب جلاء القلوب لماذا لا يقول قال عبد المطلب ، وهو بيت مشهور له ، أنشأه عبد المطلب عليه السلام جد رسول الله ﷺ عندما صمم إبرهه على مهاجمة الكعبة المشرفة ، في جملة أبيات قد مرت عليك؟! وقد ورد هذا البيت بصيغ ثلاث المارتين عليك ، والثالثة هي :

نحن آل الله فيما قد خلا لم يزل ذاك على عهد ابرهم^(٢)

المهم هو وجود استعمال هذه الكلمة " آل الله " عند العرب والمسلمين ، ولا استغراب فيها .

وقد جاء في لسان العرب : ((وآل الرجل أهله ، وآل الله ورسوله أولياؤه .))^(٣)

وقد روي أنه : ((قال النبي ﷺ : (إن لله أهلين) قيل : من هم ؟ ، قال : أهل القرآن))^(٤)

ومن أقرب للقران من آل بيت محمد ﷺ ، وهم عدل القران وفي بيتهم نزل ؟ . لذا صار من الواضحات بهاتين النسبتين أنهم أولى من غيرهم بهذا اللقب .

ولذا بعد مجئ الإسلام اختصت هذه الكلمة أي " آل الله " بآل محمد ﷺ ، على اعتبار قربهم من الله ، والتصاقهم بشرعه ، فهم أولى بالله ، وبكتابه ، وبيته من غيرهم ، إذ هم عباد الله المنتجبون ، وعبيده المخلصون .

١_ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب / محمد بن أحمد بن سالم السفاريني / مؤسسة قرطبة / سنة النشر ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م / ط ٢ / ج ١ / ص ٢٧ .

٢_ وابرهم مخفف إبراهيم ، أنظر في ذلك كله : بحار الأنوار / ج ١٥ / ص ١٤٠ .

٣_ أنظر لسان العرب ج ١١ / ص ٣١ / مادة أهل .

٤_ رواه الدارمي في سننه : ٢ : ٤٣٣ / كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن .

وقد وردت هذه اللفظة في تراثنا في عدة أماكن منها ما مر عليك ، ومنها:
 في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين ((قال عطا : كنت مع جابر بن عبد الله ، يوم العشرين من صفر ، فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ، ولبس قميصا " كان معه طاهرا " ، ثم قال لي : أمعك شئ من الطيب يا عطا ؟ قلت : معي سعد ، فجعل منه على رأسه وساير جسده ، ثم مشى حافيا " حتى وقف عند رأس الحسين عليه السلام ، وكبر ثلاثا " ، ثم خر مغشيا عليه ، فلما أفاق سمعته يقول : السلام عليكم يا آل الله)) (١).

وقد رواها عن السيد بن طاووس ، وكان قد أوردها السيد في كتابه " مصباح الزائر " . (٢)

وكذلك وردت هذه اللفظة في زيارة النصف من رجب المرجب ، وقد رواها الشيخ المجلسي عن الشيخ المفيد . (٣)

وقد بين الشيخ المجلسي "قدس سره" ما المقصود بهذه العبارة بعدها حيث قال :

((قوله : " يا آل الله " ، أي أتباعه وأولياؤه ، و من يؤول أمرهم إليه.)) (٤)
 وهذا ما أورده الشيخ المجلسي في أحد رواياته عن الحسين عليه السلام حيث قال : ((نحن آل الله ، وورثة رسوله .)) (٥)

فهو عليه السلام بقية تلك الصفوة من آل الله ، وبقية العترة الطاهرة ، والباقي

١_ البحار / ج ٩٨ / ص ٣٢٩ / أبواب فضل زيارة سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه ، وآدائها ، وما يتبعها / الباب ٢٥ / زيارة الأربعين / مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان / الطبعة الثانية المصححة / ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

٢_ ص ٢٨٦ .

٣_ أنظر نفس المصدر / ص ٣٤٥ / الباب ٢٧ / زيارة ليلة النصف من رجب ويومها .

٤_ نفس المصدر / ص ٣٤٦ .

٥_ (بحار الأنوار / ج ٤٤ / ١٨٤ .)

من آل البيت عليهم السلام .

و قد جاء في تفسير فرات :

((قال : حدثني جعفر بن محمد الفزاري ، معنعناً : عن عمر بن زاهر ،

قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام : نسلم على القائم بإمرة المؤمنين ؟

قال : لا ، ذلك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام ، لا يُسمى به أحدٌ قبله ، ولا بعده ، إلا كافر .

قال فكيف نسلم عليه ؟

قال : تقول : السلام عليك يا بقية الله .

قال : ثم قرأ جعفر : ﴿بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

وقد ورد عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال :

(.. وأول ما ينطق به القائم عليه السلام هذه الآية

﴿بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، ثم يقول : أنا بقية الله ،

وحجته ، وخليفته عليكم ، فلا يسلم عليه مسلم إلا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه ...) (٢) .

إذاً بقية الله هو خير لنا إن كنا مؤمنين .

ولكن من هو ؟ .

وهل علينا أن نعرفه أصلاً ؟ .

هذا وغيره سيتبين لنا في القسم الثاني من الكتاب .

١_ تفسير تفسير فرات الكوفي/ فرات الكوفي (ت القرن ٣ هـ) / في تفسير هذه الآية المباركة/

ص ١٩٣ . ومثله ورد في الكافي / الشيخ الكليني / ج ٢ / كتاب الحجّة / باب ١٠٧ / ح ٢ .

٢_ كتاب إكمال الدين / صفحة ٣١٠ .

القسم الثاني : الدعاء

لقد ورد فيما ورد عنهم ﷺ :

اللهم عرفني

فمن هو الحجة الذي لولا معرفتي به لضللت عن ديني ؟
والبحث يستدعي مراحل وفصول .

الفصل الأول : المرور بالمراحل الثلاثة من المعرفة على وجه السرعة
والتثبيت .

المرحلة الأولى : معرفة الله تعالى .

المرحلة الثانية معرفة الرسول .

المرحلة الثالثة معرفة الحجة .

مقدمة في (الصلاة) للدخول في المطلوب :

لماذا سميت هذه الأفعال التي تقوم بها يومياً على أقل تقدير خمس
مرات بالصلاة ؟

قيل والأقوال عدة من أحب أن يطلع عليها ، وأصل اشتقاقها فعليه
بكتابتنا (الصلاة على النبي وأثرها في النشاطين) .

وهناك رجحنا أن اشتقاقها قد تم من الصلاة بمعنى الدعاء .

فإذا كان كذلك ، وهو كذلك ، ونحن نعلم ويعلم كل من اطلع على لغة
الضاد من أنه لا بد من مناسبة بين المعنى الأول والمعنى الثاني ليصح استعمال
اللفظ في المعنى الثاني .

فأين الدعاء في هذه الأفعال ؟ .

لو تفحصنا واجبات الصلاة التي تشمل الأركان وغيرها أيضاً من أولها أي من النية وتكبيرة الإحرام مروراً بالوقوف والقراءة التي لا تحتوي إلا قراءة القرآن وحسب ، إلى الركوع والسجود ، وإلى بقية الواجبات من الذكر الذي هو تسبيح وحمد في الركوع والسجود إلى التشهد بقسميه الأول إن كان والأخير لما رأينا للدعاء أثراً ولا عيناً ، نعم في السور وخاصة فاتحة الكتاب التي لا صلاة بدونها هناك دعاء ولكنه قران ولا يُسمى دعاءً فانتبه ، أقول لو قلبنا الصلاة واجباتها لما شاهدنا للدعاء أثراً إلا بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ بعد التشهد سواء التشهد الأول أو الأخير ، فمن هنا نستكشف أنه كرامة لهذا الجزء ، ولميزانه عند الله تعالى سميت أعظم فريضة في الإسلام التي هي عمود الدين به .

فانظر لعظمة هذا الدعاء الذي ندعوا به في صلواتنا من دون أن نتبه لثقله عند الله تعالى .

ثم ألا تلاحظ حين نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ، ماذا أجاب الرسول ﷺ المسلمين لما سألوه قد علمنا كيفية التسليم عليك فكيف الصلاة ؟ .

ما أجابهم إلا بالصلاة الإبراهيمية

ونقل حديثاً واحداً لا يخرج كلها عنه :

((فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : " إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟

قال : " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد " .

متفق عليه .

والمراد بالسلام في قوله : " قد علمنا كيف نسلم عليك " السلام الذي هو التشهد وهو قول "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " . (١) .
وقال السيد الطباطبائي في ميزانه :

((أقول : وقد أورد صاحب الدر المنثور ثماني عشرة حديثاً غير هذه الرواية روتها أصحاب السنن والجوامع عن عدة من الصحابة منهم ابن عباس وطلحة و أبو سعيد الخدري و أبو هريرة و أبو مسعود الأنصاري و بريدة و ابن مسعود و كعب بن عجرة و علي عليه السلام ، تفيد تشريك آل النبي معه في الصلاة عليه .

وأما روايات الشيعة فهي فوق حد الإحصاء والحصص) . (٢) .

أي أن الله عزَّ من قائل عندما أخبرنا من أنه يصلي هو وملائكته على النبي صلى الله عليه وآله ، طلب بعده منا تبعاً لذلك أن نصلي عليه .

فبأي كيفية سنصلي عليه ؟

علمنا هو ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وآله .

سنصلي عليه بالدعاء من الله أن يُصلي عليه .

وكانه يريد أن يُخبرنا من أنه ليس من مصلٍ عليه ، أي على النبي على الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى صلى الله عليه وآله وسلم .

أي لا يُمكن أن نصلي عليه من دون أن نطلب من الله تعالى أن يُصلي عليه ، فبدأناً من نقطة عدنا إليها بشكل دائري ، فإنه يريد أن يبين من أن محمداً عظيماً لا يمكن الإحاطة بعظمته إلا بالمرور بعظمة الله تعالى .

فما أعظم محمداً صلى الله عليه وآله ! .

١_ فتح الباري في شرح صحيح البخاري / (١١ / ١٥٥) .

٢_ الميزان / السيد محمد حسين الطباطبائي / في تفسير آية الصلاة بأذن تصرف .

ثم :

ألا يوقفك من أن الآية أمرتنا من أن نصلي على النبي ولم تذكر الآل بحال من الأحوال إلا إن جواب محمد كما رواه القوم هو أن نصلي على محمد وآل محمد .

فما أعظم آل محمد ﷺ ! .

وكانهم كانوا مندكين به ﷺ ، وعندما بين بين أن المقصود بالصلاة عليه ما هو إلا محمد وآل محمد ﷺ .

وفي ذلك استدللنا وأثبتنا أن الصلاة بهذه الآية المباركة وبهذه الكيفية التي بينها رسول الله ﷺ تقتضي عصمة محمد وآل محمد .

فبناءً على ذلك سيخرج كل من ليس بمعصوم .

أي سيخرج كل من ارتكب ذنباً صغيراً أو كبيراً من الصلوات بلا ريب ولا شك ، سواء أعتقدنا دخوله أم لم نعتقد .

((شرحه لمن لم يدرك هذا الأمر :

جاء الجواب عن كيفية الصلاة بعد سؤال المسلمين عن كيفيتها ، ولم يأت اعتباراً ، بل جاء بعد إخبار الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته إذ قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ، ثم طلب بعد ذلك من الذين آمنوا أن يصلوا عليه ، فالصلاة مستمرة بدليل الجملة الفعلية التي جاءت خبراً للحرف المشبه بالفعل فهو استمرار مع توكيد ، ((والتعبير بالجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار ، وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث أنها جملة اسمية ، وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث أنه جملة فعلية ؛ فيكون مفادها استمرار الصلاة وتجدها وقتاً فوقتاً ، وتأكيدها ب (أن) للاعتناء بشأن الخبر ، وقيل لوقوعها في جواب سؤال

مقدر هو ما سبب هذا التشريف العظيم ؟)) . (١)

فلو كان بعض المصلّي عليهم لا يمكن أن يُصلّي عليهم للمانع ، وهو على أقل تقدير عند تلبسهم بالمعصية ، --- ولا يمكن لأحد أن يدعي بأن الله تعالى يُصلّي على أحد في حال كونه مرتكباً للمعصية طالت أو قصرت ، صغيرة كانت أم كبيرة ، فلا يمكن أن يدخل هذا البعض في تلك الحال في الصلاة --- ، فكيف ستصح الآية إذ الآية كما لاحظنا قبل قليل تفيد التجدد والإستمرار في كل الآتات المتصورة !؟ .

من هنا تستطيع أن تثبت أن محمداً والمعتوفين عليه بالصلاة عليهم معه يجب أن يكونوا معصومين وإلا لما صح هذا الإخبار والتوكيد . وهو صحيح فإذاً يجب أن يكونوا معصومين في جميع أوقاتهم .

ولا أحد من المتقين ولا المسلمين ولا الزوجات ولا الأقارب ، لا من بني هاشم ولا من قريش ولا من غيرها لا أحد يدعي العصمة ، لا لنفسه ولا لغيره فإذاً لا تشملهم هذه الصلاة بلا ريب ولا شك ، وتشمل من ثبتت العصمة لهم .

ولا يمكن حينئذ أن تكون الصلاة لا على المتقين من المسلمين خاصة ولا المسلمين عامة ولا الزوجات وحتى كثير من الذرية لأنهم لم يكونوا معصومين أبداً .

فنعلم علم اليقين بأن تلك الصيغ الواردة فيها بعض أولئك أو كلهم ماهي إلا اشتباه من الراوي ، أو دس أو تزوير ، أو تفسير تبرعي ما أنزل الله به من سلطان ، ما شئت فعبّر .

والصيغة الأقرب للحق والأنصح والأتم على كل الموازين الدقيقة ماهي إلا (اللهم صل على محمد وآل محمد) .

وهذه إحدى الطرق الجديدة لإثبات العصمة قد من الله تعالى بها علينا قبل كل أحد عند خوضنا في هذه المباحث الكريمة .

ولا يمكن أن يكون المذكورين في الصلاة إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ومن ثبتت بحقه العصمة ، فالتفت تغنم .

لأن هؤلاء ادعى قوم من المسلمين عصمتهم ، وهم باتفاق المسلمين جميعاً داخلون بالأكل على جميع الأوجه فإذا يجب أن يكونوا هم لا غيرهم ، وهذا ما يوافق حديث الكساء ، وآية المباهلة وغيرهما ، فطابق النقل العقل ، والكتاب السنة ، فانتبه تفرز .)) (١)

ومن هنا نعلم اندكك ذكرهم بذكره دائماً ، وهذا ما نشاهده حتى في كتاب الله تعالى المحكم .

إذ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ . (٢)

فهنا بعد أن ذكرهم منفصلين ضمهم مجتمعين ، لأن أساس التشريع رب العزة ورسوله ﷺ ، وكأنهم واحد معه ، ألا تلاحظ أن الأمر بالإطاعة له ولهم جاء مرة واحدة شملتهما معاً .
فقد طواهم هنا وأظهرهم هناك لتبين منزلتهم .

١_ الصلاة على النبي وأثرها في النشاطين للمؤلف / الباب الخامس : الاستدلال على الحق / ص

ألا تراه قد رجع وقال بعد ذلك ، وفي نفس السورة المباركة : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَكُورٌ ذُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

وهنا ذكر الطرفين المطاعين في الأرض ، يُطَاع مَنْ فِي السَّمَاءِ .

ووضحت الصورة حيث قال :

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ مُرَاكِبُونَ﴾ (٢).

و (إنما) أداة حصر في لغة العرب ، كما تعرفون .

والكل يعرف فيمن نزلت هذه الآية المباركة .

ولو كنت لا تدري أخي المسلم فسل حتى تصل إلى الحق وأهله ، ولا يضيع عليك عبادتك من غرته الحياة الدنيا وباع حظه بالأدنى .

إذ قال تعالى بعدها مباشرة :

﴿وَمَنْ يَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٣)

فكن من الغالبين ، ولا تأخذك في الله تعالى لومة لائم .

١_ النساء / آية ٨٣ .

٢_ المائدة / آية ٥٥ .

٣_ المائدة / آية ٥٦ .

ثم نضيف للمقدمة ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

قال تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾^(١)

فهنا سمي العبادة بالدعاء .

بدلالة قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)

قال القرطبي في تفسيره : ((يقال : ما عبأت بفلان أي ما باليت به ؛ أي ما كان له عندي وزن ولا قدر .

وأصل " يعبأ " من العبء وهو الثقل .

فالعبء الحمل الثقيل ، والجمع أعباء . والعبء المصدر .

و " ما " استفهامية ؛ ظهر في أثناء كلام الزجاج ، وصرح به الفراء .

وليس يبعد أن تكون نافية ؛ لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام ؛ كما قال تعالى : " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " .

قال ابن الشجري : وحقيقة القول عندي أن موضع " ما " نصب ؛ والتقدير : أي عبء يعبأ بكم ؛ أي أي مبالاة بيالي ربي بكم لولا دعاؤكم ؛ أي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه ، فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله ؛ وهو اختيار الفراء .

وفاعله محذوف ، وجواب " لولا " محذوف ، كما حذف في قوله : " ولو

١_ الفرقان / آية ٧٧ .

٢_ اللذاريات - ٥٦ .

أن قرأنا سيرت به الجبال " ، تقديره : لم يعبأ بكم .

ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ ﴾ .

فالخطاب لجميع الناس ؛ فكأنه قال لقريش منهم : أي ما يبالي الله بكم لولا عبادتكم إياه أن لو كانت ؛ وذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله . (١)

وقال الطبري : ((يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أي شيء يعدكم ، وأي شيء يصنع بكم ربي ؟))
ثم يذكر معنى يعبأ لغة ، ثم يقول : ((وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)) . ثم يذكر من قال ذلك .

ويضيف : ((وقوله : " لولا دعاؤكم " يقول : لولا عبادة من يعبد منكم ، وطاعة من يطيعه منكم)) .

ثم يذكر كذلك من قال من أهل التأويل ذلك . (٢)

ولا يخرج بقية المفسرين عن هذا . (٣)

فانظر لمنزلة الدعاء من العبادة .

وقد أكد هذا المعنى ما ورد :

فقد ورد : " مخ العبادة الدعاء "

((الدعاء مخ العبادة .

١_ تفسير القرطبي / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ج ١٣ / ص ٨١-٨٢ / في تفسير هذه الآية المباركة .

٢_ أنظر تفسير الطبري / محمد بن جرير الطبري / ج ١٩ / ص ٣٢٢-٣٢٣ / دار المعارف / في تفسير هذه الآية المباركة .

٣_ أنظر للتفاسير الكثيرة منها تفسير البغوي وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور مثلاً .

رواه الترمذي عن أنس .

الدعاء هو العبادة .

رواه مسلم والطبراني عن ابن أبي شيبة ، وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير بلفظ : " الدعاء هو العبادة " ، وقال الترمذي حسن صحيح . (١)

المطلب الثاني :

وقد رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قَالَ :

((كُلُّ دُعَاءٍ يُدْعَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ .)) (٢)

كما ورد عن طريق غيرنا :

ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي عليه السلام أنه : قال " كل دعاء محجوب حتى يصلّى على النبي صلى الله عليه وآله " .

ورواه بقي بن مخلد عن علي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله والحديث صححه (٣)

وقد رواه الطبراني في الأوسط . (٤)

١_ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / حرف السدال / الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني .

٢_ الكافي : ٢ / ٤٩٣ / الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، المُلقَّب بثقة الإسلام (ت ٣٢٩ هـ) / ط . دار الكتب الإسلامية / ١٣٦٥ هـ ش / طهران / إيران .

٣_ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في " صحيح الجامع الصغير " وزيادته " الفتح الكبير . " / وقد رواه بطريقتين عن أنس وعن علي عليه السلام ، / رقم الحديث (٤٥٢٣) / المجلد الثاني / الطبعة المجددة والمزودة / المكتب الإسلامي / ١٤٠٨ هـ .

٤_ الطبراني في " الأوسط " (١ / ٢٢٠) .

وهذا قد ورد بثلاث صيغ :

١ : كل دعاء محبوب حتى يصلى على النبي ، وقالوا عنه (حسن لشواهده) . (١)

٢ : كل دعاء محبوب حتى يصلى على محمد ﴿ وآل محمد ﴾ . وقالوا عنه (صحيح لغيره) . (٢)

٣ : كل دعاء محبوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا عنه - حسن - ، كما مر عليك . (٣)

وأخرج الترمذي "موقوفاً" عن أبي قرّة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ) . (٤)

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري : ((قال ابن العربي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فيكون له حكم الرفع " إنتهى . (٥)

وإن كان قد ضعفه الألباني في "إرواء الغليل" . (٦)

وضعفه كل من المباركفوري في " تحفة الأحوذى " إذ قال : " الحديث ضعيف لجهالة أبي قرّة الأسدي " إنتهى . (٧)

١_ الألباني السلسلة الصحيحة ص ٢٠٣٥ .

٢_ الألباني صحيح الترغيب ص ١٦٧٥ .

٣_ الألباني / صحيح الجامع الصغير / (٤٥٢٣) .

٤_ رواه الترمذي (٤٨٦) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٣) .

٥_ ج ١١ / ص ١٦٤ .

٦_ ص ٤٣٢ .

٧_ تحفة الأحوذى / محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري / مسألة ٤٨٦ / دار الكتب .

و الشيخ ابن باز إذ سئل عنه قال :

" في سنده أبو قرة الأسدي ، وهو من رجال البادية مجهول ، كما في التقريب ، وهو الراوي له عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه .. ؛ وبذلك يعتبر هذا الأثر ضعيفا من أجل جهالة أبي قرة . والله أعلم " إنتهى .^(١)
إلا أنه فيما تقدم كفاية .

كما أنه قد ورد كذلك في كتاب " الأول من فوائد أبي الحسين بن غنائم " حديث برقم (٣٩) :

((أبنا أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ تَظْيِيفِ الْقِرَاءِ ، ثنا أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدِ الرَّافِقِيِّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زُرْعَةَ الْخَيْرَانِيِّ ، ثنا عَامِرُ بْنُ سَيَّارٍ ، ثنا عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَزَّازُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ الْحَارِثِ وَعَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ، قَالَ : " كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٍ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . "

وقد رواه عنهما عن علي بن أبي طالب عليه السلام المتقي الهندي في كنز عماله برقم (٢١٥٣) إلا أنه أوردته بهذه الصيغة ((كل دعاء محجوب حتى يصلى

على النبي ﷺ .)) . ووسم ما جاء عن علي بكونه موقوفاً .^(٢)

فبناءً على مجموع ما ورد من المقدمتين نستطيع أن نقول :
إن الدعاء عبادة .

والدعاء محجوب أو موقوف حتى يصلى على النبي ﷺ .

١ _ مجموع فتاوى ابن باز " (٢٨٩/٢٦) .

٢ _ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / حرف الهمزة / الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام / ح ٢١٥٣ .

ومخ العبادة الدعاء ، أو هو العبادة .

إذا المحرك الأصلي لمخ العبادة هو الصلاة على محمد وآل محمد .

فإذا مخ العبادة الحقيقي هو الصلاة على محمد وآل محمد .

هذا من جهة .

ومن جهة ثانية نقول : مخ العبادة الدعاء .

ومن أفضل الدعاء الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ ، أو كما ورد من

طرقهم أن الدعاء هو العبادة .

وهي بنفسها صلاة فلا تحتاج إلى صلاة ، فهي بعينها مخ العبادة أو هي

العبادة .

فتأمل فيه جيداً .

وربما يظهر ذلك لأمرين ، وهما واحد :

١ : هو فعل مشترك بين العبد وربّه وهذا نادر .

٢ : أن الله هو المصلي الحقيقي على محمد وآل محمد ﷺ دون غيره ،

وذلك لأن الله بعد ما أخبر بصلاته هو وملائكته كذلك وأكد ذلك ، طلب من

الذين آمنوا أن يصلوا عليه .

فماذا سيفعل المؤمنون حينئذ ؟

حينئذ سيصلون على محمد وآله ﷺ .

وما هي كيفية الصلاة ؟

اللهم صل على محمد وآل محمد .

والملائكة كذا يفعلون .

فانظر للجملة وتمعن بها ، تجد أنها طلب من العبد للمولى بأن يصلي على

محمد وآل محمد ﷺ .

فإذا المصلي الحقيقي والوحيد هو الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ .
من هنا يتبين لنا مدى عظمة محمد وآل محمد ﷺ .

ورب قائل يقول لو كنت ألحقت هذه المباحث بكتابك المذكور .

أجبتة : من أني رأيت ان هذه المطالب بهذا العنوان أنسب ، فهي بيانات لمعرفة مقام أهل البيت الذين يمثلون الإمامة الحقيقة للمسلمين ، ولييان علوها وسموها ، وهو من جملة ما نبحت عنه في دعائنا الموشح به عنوان الكتاب :

اللهم عرفني رسولك

اللهم عرفني حجتك

ومن هذا و أمثاله نعرف مقام سيدنا ومولانا الحجة بن الحسن عجل الله تعالى ظهوره الشريف .

المطلب الثالث :

لابد أن يكون هذا الحجة الذي ندعي وجوده مرتبطاً : بالله ، وبرسوله ، وبالمعجزة التي جاء بها وهي القران ، حتى تتم به الحجة علينا ، كما تمت برسوله ﷺ من قبل .

فهل هو كذلك ؟

إرتباطه بالله وبرسوله : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .
ولهذا شواهد كثيرة في كتاب الله المجيد .

ومختصراً نقول :

الإطاعتان إطاعة واحدة ، بدليل أن الرد جاء لمتعلقيهما مع كونه رداً واحداً .

في حال التنازع ، إذ لو كانا اثنين لأمر بالرد إليهما طولاً ، هذا من جهة ومن جهة ثانية إن إطاعة أولي الأمر مندكة في إطاعة الرسول ، كما هو ظاهر

الآية الشريفة ، بل هي نفسها .

وهذا كله عرفناه ببركة تكملة الآية المباركة : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.....﴾

إذ لو لم تكن لذكرها ، فمع عدم ذكرها هنا ، مع أنه صرح بها في باب الإطاعة بالعطف على رسوله الكريم يقتضي أنهما واحد .

وبملائكته : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَبِيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

وليلة القدر كما نعلم ليست مختصة بزمن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانتبه أيها المسلم لذلك .

والله يجبرنا بنزول الملائكة ، فهل سألنا أنفسنا على من تنزل الملائكة والروح فيها ؟ .

والوحي قد انتهى ، والرسالة قد ختمت ، والدين قد كمل ، ورضي لنا الإسلام دينا .

فبأي شيء تنزل وقد كمل الدين ؟

وعلى من تنزل ، وقد مات محمد صلى الله عليه وآله ، الرابط بين السماء والأرض ؟ .

ألا فكرت بذلك أخي المسلم ؟ .

إذا بهذا الذي كمل به الدين ، وبه الذي رضي الإسلام لنا دينا يجب أن يكون مرتبطاً .

وهو الذي نقول به .

إذ هذه كلها كانت إخبار بالولاية ، وبالحجة على الخلق بعد رسول الله ﷺ .

فبمعرفة الحجة بعد رسول الله ﷺ : كمل الدين، ورضي الإسلام لنا دينا .
 ولا يظن ظان ، ويتقصد متقصد من أن الحجة بعد رسول الله ﷺ على
 إخباركم هذا هو نبي أو رسول ، و الرسول ﷺ يقول " لا نبي بعدي "
 والله سبحانه يصف رسوله في محكم كتابه " وخاتم النبيين "
 لأن : أمر نزول الملائكة ليس مختصاً بالأنبياء والمرسلين ، فانتبه .
 كيف ؟

هذه السيدة العذراء مريم مثال واضح ، إذ نزل عليها الملك بصريح
 القران ، بل أكثر من هذا تمثل لها بشراً سوياً ، وهي ليست بنبي ، فالقران
 يصرح : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي ۖ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
 كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ولكن المشكلة أن نزولها بعيد عن الأذهان فيظن الظان ما يظن .
 فهؤلاء قوم طالوت قد شاهدوا عندما أخبرهم نبيهم أن دليل ملك
 طالوت أن يأتيهم التابوت تحمله الملائكة . (٢)

وزوجة إبراهيم عليه السلام ، ليست بعيدة عن هذا الموضوع ، فهي قد ضحكت
 وقد دار حوار بينها وبينهم بحسب الظاهر ، لما أبلغوها بحملها ، وقد أجابتهم
 بتعجبها من حملها وهي عجوز وهذا زوجها شيخ كبير . (٣)

بل القران يخبر بما يمكن أن يكون ظاهره أن الكفار من قوم لوط أنهم قد
 رأوا الملائكة ، وإلا كيف تيقنوا من وجودهم حتى راودوه عن ضيفه . (٤)

١_ سورة النحل / آية ٤٣ .

٢_ أنظر : (سورة البقرة / الآية ٢٤٨) .

٣_ أنظر : (سورة هود / الآية ٧٢) .

٤_ أنظر (سورة القمر / الآية ٣٧) .

بل صرح كثير من علماء العامة بإمكانها ، بل بوقوعها .
قال الشيخ عمر الأشقر :

((وقد دلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة إذا تمثلت
الملائكة في صورة البشر .)) (١)

إذ دلت النصوص التاريخية لديهم على إمكانه ووقوعه .

((عن بعض بني ساعدة ، قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما
كف بصره ، يقول : لو كنت معكم الآن بيدر ومعى بصري لأخبرتكم بالشعب
الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ، ولا أتمارى ...)) (٢)

قال ذلك ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا
مِن دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَأَذْنَبَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا
تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَمْرِي مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

وبعدها قال : ((وأوحى الله إليهم أنني معكم فثبتوا الذين آمنوا ،
وثبتتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له
أبشر ، فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، فكروا عليهم ..)) .

وقد ذكر البيضاوي في تفسيره ، عند تفسير قوله تعالى " عالم الغيب فلا

١_ عالم الملائكة الأبرار " (ص ١١) .

٢_ تفسير ابن كثير .

يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا .

((إلا من ارتضى ﴿ لعلم بعضه حتى يكون له معجزة ﴾ من رسول ﴿ بيان ل ﴿ من ﴾ . واستدل به على إبطال الكرامات .

وجوابه : تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسيط ،
وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقياً عن الملائكة ، كاطلاعنا على
أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء ﷺ .

﴿ فإنه يسلك من بين يديه ﴾ من بين يدي المرتضى ﴿ ومن خلفه رسدا ﴾
حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتحاليطهم . ((^(١) .
مع أن الآيات المباركات ظاهرات في التبليغ الإلهي للأنبياء ، حيث يقول
الله تعالى متماً لآياته :

﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ .

كما أن مسلماً قال في صحيحه :

((و حَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ ، وَتَقَارِبًا فِي
اللَّفْظِ ، قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْهَادِ أَنْ
عَبَدَ اللَّهُ بْنُ خَبَّابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ حَدَّثَهُ :

أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مَرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ ، فَقَرَأَ ،
ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى ، فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا .

قَالَ أَسِيدٌ فَخَشِيتُ أَنْ تَطَّأَ يَحْيَى ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فَوْقَ
رَأْسِي ، فِيهَا أَمْثَالُ السَّرِجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوْحِ حَتَّى مَا أَرَاهَا .

قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ
مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مَرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اِقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ .

قَالَ فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَاءَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اِقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ .

قَالَ فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَاءَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اِقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ ،

قَالَ فَاَنْصَرَفْتُ ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا خَشِيتُ أَنْ تَطَّأَهُ ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السَّرْجِ عَرَجَتْ

فِي الْجَوْحِ حَتَّى مَا أَرَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ

تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَرُّ مِنْهُمْ)) . (١)

وهو الذي أشار إليه ابن تيمية حينما قال : ((وكرامات الصحابة والتابعين

من بعدهم ، وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ

سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة

نزلت لقراءته ؛ وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين .)) . (٢)

والأخير مروى كذلك ، وشائع في كتبهم بألفاظ متعددة ، ومنها كتاب

الإعتقاد لأبي بكر البيهقي حيث يقول : ((وروينا تسليم الملائكة على عمران

بن حصين .)) .

بل أضاف : ((وروينا عن جماعة من الصحابة أن كل واحد رأى

جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي .)) . (٣)

ولذا قال القرطبي : ((والأخبار في هذا كثيرة .)) ، بعد أن قال : ((وقد

تظاهرت الأخبار بأن جماعة منهم رأوا الملائكة ، وكانت تسلم عليهم مثل

١_ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

(ت ٢٦١هـ) / ج ٣ / ص ٢١٥ / ح ١٣٢٧ .

٢_ مجموع فتاوى ابن تيمية / ج ١١ / ص ٢٧٦ .

٣_ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص ٢٠١ .

عمران بن حصين ، وأسيد ابن حضير .)) . (١)

ولا يتوقف الأمر عند الصحابة بل يشمل غيرهم ، فترى حتى مثل ابن تيمية يقول : ((ولهذا رأى بعض هؤلاء - ممن ذكرهم - الملائكة تكتب الحجاج ، فقال : ألا تكتبوني ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، يعنى حجاً شرعياً .)) . (٢)

والذي يريد أن يطلع على أمثال هذا ، وغيره فعليه بكتاب " الهواتف " لابن أبي الدنيا مثلاً .

وبعد أن أورد الكثير من هذا صاحب كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف " قال :

((أقول : التقاء كل هؤلاء بالملائكة لم نجد له معترضاً ، ولكن عندما يُقال بأن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام ، بنص متسالم عليه من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، أو أن أمير المؤمنين عليه السلام ، أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام من أهل بيت الوحي يرى الملائكة ، أو تلتقيه الملائكة يكون ذلك القول باطلاً ؛ وبعضهم يعتبره كفراً ، والعياذ بالله ...)) . (٣)

والحق ما قال ، فإنه لأمر غريب جداً .

إذن مع هذا وغيره يثبت في الجملة أنه ليس عجباً نزول الملائكة ، وهذا ما نريد أن نثبته الآن ، خوفاً من معترض يعترض من أن ذلك معناه أن الذي تنزل عليه لا بد أن يكون نبياً ، والنبوة قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله ، فما تقولونه ، وتدعونه هو خارج عن قول المسلمين قاطبة ، وهو الضلال بعينه ، لا سامح الله .

وعوداً على بدء نقول :

١_ أنظر كتابه : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / ص ٣٨٣ .

٢_ مجموع فتاوى ابن تيمية / ج ١١ / ص ٢٨٦ .

٣_ الإنصاف في مسائل الخلاف / ج ٢ / ص ٢٤٥ / الشيخ حسين معتوق .

فالأمر الذي تنزل الملائكة به والروح فيها في ليلة القدر كل عام لا بد أن تنزل على واحد يقوم مقام النبي محمد ﷺ ، وهذا لا يدعيه أحد من المسلمين جميعاً ، أي يدعي أن الملائكة تنزل عليه ، ولا على أحد يؤمن بوجوده ، ولا يمكن ذلك أصلاً ، إلا على الأخذ بأقوال الشيعة الإثني عشرية الذين يعتقدون بوجود هذا الشخص بعينه ، وهو الإمام ، والخليفة الثاني عشر من الأئمة الذين يظهر عددهم فقط - مع الأسف - عند المسلمين ، إلا عند هؤلاء الثلاثة من المؤمنين ، إذ شخصوهم بأسمائهم وأنسابهم ، واعتقدوا بوجوده المبارك .

وعدم القدرة من الوصول إليه سببه التفريط بالأحد عشر من الأئمة الذين كانوا من قبله ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .
فسبحان الله ، ليلة القدر دلت عليه ، ببركة ما بين الله فيها من أمر ، ولعل أحد بركاتنا العظيمة هذه الدلالة .

إذ ليلة القدر ليست خاصة بزمان دون زمن ، ونزول الملائكة من الأمر المجزوم به ، المعلوم ، ولا معنى لنزولها في الخواء ، هذا أولاً .

و أما ثانياً فإنه لا بد من وجود من تنزل عليه ، ولا يوجد على الأرض بالصفات التي ذكرناها ونذكر جامعاً لها إلا هو ، فانحصر الأمر به ، فانتبه .

ومقتضى ذلك أن الذي تنزل الملائكة عليه هو المعني بآية (أولي الأمر) .

إذ الأمر عندما يكون عنده يصبح هو من أولي الأمر .

ولاندفع بهذا التفسير من أن أولي الأمر ما هم إلا أصحاب الشأن ، كما قال به المفسرون ، فهو منهم على أي حال .

ما بعد المقدمة الصيغ الواردة لهذا الدعاء :

وقد وردت صيغ عدة له :

فقد ورد في جمال الإِسْبُوع بهذا النص : ((دعاء آخر رواه محمد بن

يعقوب الكليني عن الصادق عليه السلام ، وقد قدمت طريقي إلى كل ما يرويه محمد بن يعقوب الكليني فقال ره في كتابه كتاب الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما هذا لفظه : لا بد للغلام من غيبة ، قلت مما ، قال يخاف ، و أوماً بيده إلى بطنه ، وهو المنتظر ، وهو الذي يشك الناس في ولادته ، فمنهم من يقول حمل ، و منهم من يقول مات أبوه و لم يخلف ، و منهم من يقول ولد قبل موت أبيه بستتين . قال زارة فقلت ما تأمرني إذا أدركت ذلك الزمان ؟

فقال ادع بهذا الدعاء :

((اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرفك ، اللهم عرفني نبيك فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرفه ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)) هذا آخر رواية محمد بن يعقوب رضوان الله عليه في كتابه المشار إليه . (١)

والوارد في كمال الدين وتمام النعمة هكذا : ((اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)) (٢)

وقد أورده الشيخ الطوسي في كتابه مصباح المتهجد بهذه الصورة : قال : أخبرنا جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري أن أبا علي

١_ جمال الإسيوع يذكره بعد ذكر الدعاء لصاحب الأمر المروي عن الرضا عليه السلام .

٢_ كمال الدين وتمام النعمة / ٣٤٢ - (٣٤٣) / للشيخ الجليل الاقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ / صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة . و راجع كذلك غيبة الطوسي :

محمد بن همام أخبره بهذا الدعاء ، وذكر : أن الشيخ أبا عمرو العمري قدس الله روحه أملاه عليه ، وأمره أن يدعو به . وهو الدعاء في غيبة القائم من آل محمد عليه وعليهم السلام :

اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك ،
اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم
عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ، اللهم لا تمتني
ميتة جاهلية ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ... الخ)) .^(١)

والذي يورده صاحب البحار :

عن الكافي : العطار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن خالد بن نجيح ،
عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن للقائم غيبة قبل أن يقوم
قلت : ولم ؟ قال : يخاف وأوماً بيده إلى بطنه .

ثم قال : يا زرارة : وهو المنتظر ، وهو الذي يشك الناس في ولادته (من
منهم من يقول مات أبوه ولم يخلف) و منهم من يقول هو حمل ، و منهم من
يقول هو غائب و منهم من يقول : ما ولد و منهم من يقول : قد ولد قبل وفاة
أبيه بستين ، وهو المنتظر غير أن الله تبارك وتعالى يجب أن يمتحن الشيعة ،
فعند ذلك يرتاب المبطلون .

قال زرارة : فقلت : جعلت فداك ، فإن أدركت ذلك الزمان فأني شئ
أعمل ؟ قال : يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء .

" اللهم عرفني نفسك ، فانك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ،
اللهم عرفني رسولك فانك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم

عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .)).^(١)

ورأيت اختلاف النقل لذا اعتمدت في جمل الدعاء بما ورد في الكافي ، لأن جملهم أورده عنه فرجعنا إليه ، ، كما إنه المطابق لما جاء في كمال الدين للشيخ الصدوق ، كما أوردها في مستهل حديثنا .

وقد أورده صاحب مفاتيح الجنان المرحوم الشيخ عباس القمي كذلك ، وهو أهل للإعتماد إذ هو

ابن بجدتها .^(٢)

((عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ إِنَّ لِلْغُلَامِ غِيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ قَالَ قُلْتُ وَلِمَ قَالَ يَخَافُ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ يَا زُرَّارَةَ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ وَهُوَ الَّذِي يَشْكُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْهُمْ مِنْ يَقُولُ مَاتَ أَبُوهُ بِلَا خَلْفٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ حَمَلٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ وَلِدٌ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسِتِّينَ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجِبُ أَنْ يَمْتَحِنَ الشَّيْءَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمُبْطَلُونَ يَا زُرَّارَةَ قَالَ قُلْتُ جَعَلْتُ فِدَاكَ إِنْ أَدْرَكَتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ أَيَّ شَيْءٍ أَعْمَلُ قَالَ يَا زُرَّارَةَ إِذَا أَدْرَكَتُ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ :

" اللَّهُمَّ عَرَفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،
اللَّهُمَّ عَرَفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،
اللَّهُمَّ عَرَفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرَفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي . " .))
ثُمَّ قَالَ : يَا زُرَّارَةَ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ غُلَامٍ بِالْمَدِينَةِ .
قُلْتُ : جَعَلْتُ فِدَاكَ أَلَيْسَ يَقْتُلُهُ جَيْشُ السُّفْيَانِيِّ ؟

١_ المجلسي / البحار / ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٢_ انظر : مفاتيح الجنان / عباس القمي / ص .

قال: لا ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ جَيْشُ آلِ بَنِي فُلَانٍ ، يَجِيءُ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ ، فَيَأْخُذُ الْغُلَامَ فَيَقْتُلُهُ ، فَإِذَا قَتَلَهُ بَغِيًّا ، وَعَدُوًّا نَا وَظَلْمًا لَا يُمْهَلُونَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَقَّعُ الْفَرَجَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .)) .^(١)

الفهم العام لهذا الدعاء :

والفهم العام لهذا الدعاء ، وبالخصوص معرفة الحجة عليه السلام ، لا بد أن يمر بفهم بعض المقدمات التي لا بد من ذكرها ، ولذا قسمنا الكتاب إلى أقسام عدة سمينها : مراحل .

ولكن قبلها نقول كما قال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (دس سر) ، في فرائده ، بعد أن قدم عدة روايات : ((و الاستفادة من هذه الأخبار المصرحة بعدم اعتبار معرفة أزيد مما ذكر فيها في الدين - وهو الظاهر أيضاً من جماعة من علمائنا الأخيار كالشهيدين في الألفية^(٢) وشرحها^(٣) ، والمحقق الثاني في الجعفرية^(٤) وشارحها ، وغيرهم :

هو أنه يكفي في معرفة الرب التصديق بكونه موجوداً ، وواجب الوجود لذاته ، والتصديق بصفاته الثبوتية الراجعة إلى صفتي العلم والقدرة ، ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث ، وأنه لا يصدر منه القبيح ، فعلاً أو تركاً .

والمراد بمعرفة هذه الامور : ركوزها في اعتقاد المكلف ، بحيث إذا سأله عن شئ مما ذكر ، أجاب بما هو الحق فيه ، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على ألسنة الخواص .

١_ أنظر : الكافي / ج ١ / ك الحجة / باب في الغيبة / ص ٣٣٧ .

٢_ الألفية والنقلية: ٣٨ .

٣_ المقاصد العلية / ٢٠ - ٢١ .

٤_ الرسالة الجعفرية (رسائل المحقق الكركي) / ١ / ٨٠ .

... ويكفي في معرفة النبي ﷺ معرفة شخصه بالنسب المعروف المختص به ، والتصديق بنبوته وصدقه ، فلا يعتبر في ذلك الاعتقاد بعصمته - أعني كونه معصوماً بالملكة - من أول عمره إلى آخره .)) .

- والعجيب أن البعض عندما نقل رأي الشيخ الأعظم في هذه الأمور اكتفى بهذه العبارات منه ، غفلة أو جهلاً ، مع إن نظر الشيخ الشريف رحمه الله تعالى يظهر بعد نقله لعبارة صاحب المقاصد قدس الله نفسيهما الطاهرتين ، حيث قال بعدها مباشرة وبلا فاصل - :

((قال في المقاصد العلية : ويمكن اعتبار ذلك ^(١) ، لأن الغرض المقصود من الرسالة لا يتم إلا به ^(٢) ، فينتفي الفائدة التي باعتبارها وجب إرسال الرسل ^(٣) .

وهو ظاهر بعض كتب العقائد المصدرة بأن من جهل ما ذكره فيها ، فليس مؤمناً ، مع ذكرهم ذلك هـ .

والأول غير بعيد من الصواب ، إنتهى .)) ^(٦) .

((أقول - والقول لا زال للشيخ الأعظم رحمه الله تعالى - : والظاهر أن مراده ببعض كتب العقائد هو الباب الحادي عشر للعلامة (قدس سره) حيث ذكر تلك العبارة ، بل ظاهره دعوى إجماع العلماء عليه - أي الاعتقاد

١ - أي الاعتقاد بالعصمة .

٢ - أي بالاعتقاد بالعصمة .

٣ - أي لو لم تعتبر العصمة . .

٤ - أي في تلك الكتب

٥ - أي مع ذكرهم أنه يعتبر الاعتقاد بالعصمة .

٦ - الشهيد الثاني أعلى الله مقامه (ت ٩٦٦هـ) / المقاصد العلية : ٢٤ - ٢٥ .

بعضته - أعني كونه معصوماً بالملكة - من أول عمره إلى آخره - .^١

نعم ، يُمكن أن يُقال : إن معرفة ما عدا النبوة أي الإعتقاد بالعصمة و أمثالها . واجبة بالإستقلال على مَنْ هو متمكن منه بحسب الاستعداد وعدم الموانع ، لما ذكرنا :

من عموماً وجوب التفقه ، وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة ، وأن الجهل بمراتب سفراء الله جل ذكره مع تيسر العلم بها تقصير في حقهم ، وتفريط في حبههم ، ونقص ، يجب بحكم العقل رفعه ، بل من أعظم النقائص^(٢)....

وقد ورد في بعض الأخبار : تفسير معرفة حق الإمام عليه السلام بمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة .^(٣)

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله : التصديق بما علم مجيئه به متواتراً ، من أحوال المبدأ والمعاد ، كالتكليف بالعبادات ، والسؤال في القبر ، وعذابه ، والمعاد الجسماني ، والحساب ، والصراط والميزان ، والجنة والنار (إجمالاً....).^(٤)

بعد هذا نرجع للدعاء :

إذا لاحظنا الدعاء ، وتمعنا فيه فسنجد :

أن المدار الله .

١ - نقلنا عبارته السابقة هنا حتى يتبين مراده واضحاً .

٢ - وهنا بعد كل ما تقدم تبين نظر الشيخ رحمه الله تعالى ، فانتبه .

٣ - أنظر الوسائل ١٠ : ٤٣٥ ، الباب ٨٢ من أبواب المزار ، الحديث ١٠ .

٤ - فرائد الأصول / الشيخ مرتضى الأنصاري / ج ١ / ص ٥٦٤ - ص ٥٦٨ ، بتصريف طفيف غير محل .

فالطلب من الله .

والطالب عبد لله ، بدلالة " اللهم " .

والمعرفة مطلوبة من الله .

والنبي نبي الله .

والرسول رسول الله .

والحجة حجة الله .

فالمدار كله الله .

إذاً " الدعاء عبارة أخرى من كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

لكن بطريقة برهانية خفيفة ولطيفة .

فهو جامع لمعرفة الله الحقيقية ، وفهم للتوحيد الخالص ، وتطبيق للعبودية

المتمحظة .

وبهذه المعرفة يُعرف الوجود كله .

فهي أساس كل شئ .

ولهذا صار هذا الخط التنازلي .

ولا يمكن أن أطلب هذا إلا إذا مررت بـ " من عرف نفسه فقد عرف ربه " .

ليكون الإحتياج فيظهر الطلب .

فالواقع العلمي و العملي هو هذا الدعاء .

فأولاً هذا الدعاء .

بعد معرفة النفس ، أي الإلتفات للواجد و الوجود .

ثانياً ذاك الدعاء " اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن " .

فبعد معرفته بنوع معرفة يأتي الدعاء له .

ولا مجال للمقارنة بينهما .

فبعد معرفة مضمون الحديث القدسي الذي ذكره السبزواري رحمه الله في شرح الأسماء الحسنی مثلاً : قال (ومن الخفيات مقام الخفى من مقامات النفس مقام الخفا المشار إليه بقوله : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) .^(١)

وبعد معرفة رب العزة لا بد ان نتوصل الى معرفة خلافة الله في الارض ، ولا بد من وجود خليفة ، وهي أي الخلافة اول ما يعبر عنها ويمثلها النبوة .

ثم بعد ادراكها والعلم بالخاتمية ، وبانتقال النبي الخاتم للرفيق الاعلى لا بد وان ندرك الإمامة .

فالخلافة مستمرة والنبوة قد انقطعت . ولا يمكن الوصول الى ذلك لا بالشورى ولا بالانتخاب .

فالحديث كل الحديث في : " إني جاعل في الأرض خليفة "

فه ندرك ابعاد هذا الخليفة سواء اكان نبيا ام وصي نبي .

فبمعرفة المستخلف بكسر اللام نعرف المستخلف بفتحها .

وكذلك بمعرفة النبي والمرسل نعرف وصيه .

وبهذا آمن وعمل الملائكة المقربون حينما قالوا ((سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا)) .

وخُذِل إبليس وأبعد حيث لم يرض باختيار الله .

وبها وقع من وقع لأنهم ما عرفوا الله ، ولا رسوله فظنوا أنهم يستطيعون أن يختاروا ، أمام إختيار الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، فوقعوا في شبك

١_ شرح الأسماء الحسنی : ١ / ٣٧ . وقد أورده المجلسي رحمه الله كذلك في البحار : ٨٤ /

السقيفة ، وبرائن الشيطان .

وما وعوا ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وِرْسُولَهُ أُمِرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ .

وهي من بديهيات الإسلام الأولى .

فعلينا أن نعرف الخليفة ، المعبر عنه بإمام الزمان ، ذاك الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)) ، وإلا ستقع في الضلال .

وليس معرفته شخصياً ، وإلا فالمشركون عرفوا النبي العربي ﷺ من حيث النسب ، ولكنهم جابهوه بالشدة والقسوة حتى اضطر لأن يهاجر من أرض مأنسه ومسكنه ، ثم عزموا على قتاله وقتله ، ولكن الله سبحانه مال دون مخططاتهم ، وكسر شوكتهم ، حتى دخلوا الإسلام خوفاً ، وطمعاً .

والمسلمون عرفوه من حيث النسب والتشخيص والنبوة ، ورأوا ما رأوا من أنوار نبوته ، وبركات وجوده ، ولكنهم وقعوا في كثير من المطبات ، وأخيراً في فخاخ التخلف عن جيش أسامة ، الذي جرهم إلى حرارة شديدة ، جمعتهم كيوم الظلة تحت السقيفة ، فكانت الفتنة الكبرى ، التي لم تُصب الذين ظلموا خاصة ، فكان ما كان مما لست أذكره

فعلينا أن نتبّه ونعرف الحجة ﷺ بما عرف النبي المرسل المؤمنون الذين ثبتوا على الحق مهما تقلبت ظروفهم ، وظهرت فتن شديدة غمرت الناس ، و تركت اللبيب حيرانا .

فمعرفة نسبه فقط لا تنفع .

ومعرفة كونه إماماً فقط لا تنفع .

بل النافع معرفة كونه حجة ، أي أنه هو بنفسه حجة الله على خلقه .

ولذا ورد في الدعاء اللهم عرفني حجتك .

وإلا فالضلال ، فاتبّه يا أخي المسلم .

وفي الفقرات التي هي مسك ختام الزيارة الجامعة الكبيرة للأئمة عليهم السلام جاء :

((...اللهم إنني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار، الأئمة الأطهار، لجعلتهم شفعاي.....فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم، وبحقهم..... وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين، وصلي الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.)).

فهم أقرب الخلق إليه .

وهم أئمة أطهار .

وهم شفعاء خلقه .

وهم أصحاب حق قد أوجبه الله عليه .

ومعرفتهم مرتبطة بالله ولذا أطلبها منه ، فإذا هي محبوبة لديه .

وليست معرفتهم فقط ، بل هناك حق لهم أطلب من الله معرفته .

حتى أكون أهلاً لبلوغ شفاعتهم .

وشفاعتهم مرتبطة بالرحمانية وتوكيدها .

ولا تتم إلا بالصلاة عليهم والتسليم لهم ، والإتكال على الله تعالى .

وهذا هو مؤدى الزيارة كلها .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المرحلة الأولى: ((اللهم عرفني نفسك))

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((أول الدين معرفته .)) .
فإذن إذا أردنا أن نبدأ المسير على صراط الله القويم علينا أن نعرف الله تعالى .

وهذا بديهي غير مُلتفت إليه ، وإلا كيف أسلك طريقاً لا أعرف صاحبه؟

ويظهر أن أول شئ في معرفته هو (لا إله إلا الله) .
ولذا كان أول شئ ابتداءً به رسول الله صلى الله عليه وآله دعوته هو :
(قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) .

((روى عبد الله بن ذكوان عن ربيعة بن عباد الديلمي قال : " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت ، يقول : أيها الناس قولوا : " لا إله إلا الله تفلحوا " ، إلا أن وراءه رجلاً أحول ، وضياء الوجه ، ذا غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد بن عبد الله ، وهو يذكر النبوة ، قلت : من هذا الذي يكذب ؟ قالوا : عمه أبو لهب ، قلت : إنك كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إنني يومئذ لأعقل .))^(١)

١_ أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٤٤٨) ٣ / ٤٦٢ ، ٤ / ٣٤١-٣٤٢ ، وذكره البيهقي في الدلائل برقم ٢١٨٢ ، ٢ / ١٨٢ ، والطبري في تاريخه ٢ / ٣٤٨ ، وقد جاء في المعجم الكبير ٥ / ٥٦ ، وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤ / ٧٢١ ، كما إن الألباني قد صححه في " إرواء الغليل " / ص ٨٣٤ .

وعن طارق بن شدّاد قال : ((رأيت رسول الله ﷺ مرتين ، رأيته بسوق ذي المجاز ، وأنا في بياعة لي ، فمرّ وعليه حلة حمراء ، وهو ينادي بأعلى صوته : أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل يتبعه بالحجارة ، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه ، وهو يقول : يا أيها الناس ، لا تطيعوا هذا ، فإنه كذاب ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا غلام من بني عبد المطلب ، فقلت : من هذا الذي يرميه بالحجارة ؟ فقيل : عمه عبد العزى ، أبو لهب .))^(١) .

بل كل رسول بدأ دعوته بهذا ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٢)

وقولها درجات ، كما لعله سيظهر من مطاوي البحث .

إذن ابتداء معرفة الإمام ﷺ تبدأ من هنا ، لأنها من الدين .

و أما أدنى المعرفة بحسب الروايات ، فيتبين بما يلي :

عن ((مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ الْهَمْدَانِيِّ جَمِيعًا عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ ﷺ قَالَ سَأَلْتَهُ عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ ، فَقَالَ : الْإِقْرَارُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثَبَّتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ قَقِيدٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .))^(٣) .

و عن ((عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ عَنِ سَهْلِ بْنِ زِيَادَ عَنِ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمَ فِي حَالِ اسْتِقَامَتِهِ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الرَّجُلِ مَا الَّذِي لَا يَجْتَزَأُ فِي مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ بَدُونِهِ ،

— ١ مصنف ابن أبي شيبة ٤ / ١ / ٣٠٠ ، ابن خزيمة ١ / ٨٢ ، الحاكم ٢ / ٦١٢ ، وقد ورد برقم ٢٦١٢ فيه ، وصححه ووافقه الذهبي ، موارد الظمان / ص ٤٠٦ ، سنن الدار قطنى ٣ / ٤٤ ، المعجم الكبير ٨ / ٣٧٦ ، سنن البيهقي ١ / ٧٦ .

— ٢ سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

٣_ أصول الكافي / الكليني / كتاب التوحيد / باب أدنى المعرفة / ح ١ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ لَمْ يَزَلْ عَالِماً وَسَامِعاً وَبَصِيراً وَهُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ .

وَسُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الَّذِي لَا يُجْتَرَأُ بِدُونِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ ،
فَقَالَ : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُشَبَّهُهُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ عَالِماً سَمِيعاً بَصِيراً . (١)

ويبقى سؤال مهم عالق ، وسيثار بدواً ، سؤال مؤداه :

كيف ندعوا الله أن يعرفنا نفسه ، وسؤالنا إياه يقتضي أننا نعرفه ؟ وإلا

كيف ندعوه ؟

ويمكن أن يُجاب على ذلك بجوابين :

الجواب الأول :

إذ يمكن الإجابة بصورة سريعة ومختصرة حيث نقول من أننا عرفناه

بالإجمال ونريد معرفته تفصيلاً منه ٢٠

والجواب الثاني :

تارة يكون بالإيجاز إذ نقول :

إن هناك فرقاً بين المعرفة للشئ والعلم به .

لأن العلم يأتي بنفس وجود الشئ في الذهن ، ثم تأتي المعرفة .

فإذا قلنا من أن العلم بشئ ما كما قالوا ارتسام صورة ذلك الشئ في

الذهن ، فالمعرفة تابعة للإرتسام .

إذ بعد الإرتسام يقال أعرفه . أي المعرفة تأتي بعد الإرتسام .

ألا تجد فرقاً بين أن تعلم بوجود زيد من الناس في مكان ما ، وبين أن

تعرف وجوده فيه ؟ .

إذ العلم لا يتعلق بالذات ، فلا يصح أن تقول " علمتُ زيداً " إذ يُحتاج

١_ نفس المصدر / الحديث الثاني .

٢_ على ما تحيط به عقولنا ، وهذا يأتي بعد المعرفة .

إلى بعض أحوال زيد ، أو صفاته لكي يكون العلم منصباً عليها ، وأنت تريد أن تخبر بعلمك بها ، أما المعرفة فلها أن تتعلق بالذات مباشرة فتقول مثلاً " عرفتُ زيداً " .

المعرفة به تقتضي الإطلاع على أحواله .

فارتسام صورة زيد في الذهن تكفي للعلم به ولكن معرفته تقتضي شيئاً آخر. فنقول في جوابنا إنَّ السائل بعد علمه بوجوده سبحانه سألَه ، فصح سؤاله ، فلا إشكال .

هذا إجمال للجواب .

و الجواب التفصيلي ربما يظهر بالتمعن فيما يأتي .

المعرفة الحقيقية :

قبل الانتقال إلى المرحلتين التاليتين علينا أن نتذكر :

روى ((الحسين بن محمد ، عن معلي بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً .

قلت: جعلت فداك ، فما معرفة الله ؟

قال : تصديق الله عز وجل ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وموالاته علي عليه السلام ، والإلتزام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، وهكذا يعرف الله عز وجل . ((^(١)).

ومن هنا نتقل للمرحلتين الأخيرتين .

المرحلة الثانية:

((.... فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك))

معرفة الرسول ﷺ .

وما بين هذه وتلك المعرفة تقع معرفة النبوة ، إذ لا بد أن نعرف أولاً من كونه نبياً من الله حتى نثبت أنه رسول ولديه رسالة ، فمرتبة النبوة أولاً ، ثم مرتبة الرسالة .

ومن هنا كان لدينا أنبياء ، ورسول ، ومن هؤلاء الرسل كان أولوا العزم . وقد جاء التصريح بأسماء أولي العزم عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ .^(١) واعتقادنا بهم جميعاً أنهم عباد الله المخلصون ، وعقيدتنا عند قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ .^(٢)

و منهم من ورد ذكره في القرآن الكريم ومنهم من لم يرد . قال تعالى : ﴿وَمَرْسُلًا قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَرْسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ .^(٣) أما الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم فهم خمس وعشرون نبياً ، وهم :

١_ الأحزاب / ٧ .

٢_ البقرة / ٢٨٥ .

٣_ النساء / ١٦٤ .

آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسى ، هارون ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى و محمد على نبينا وآله وعليهم السلام .

و قال شيخنا الصدوق : ((إعتقادنا في عددهم أنهم مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، ومئة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي ، لكل نبي منهم وصي أو وصى إليه بأمر الله تعالى .

ونعتقد فيهم أنهم جاؤوا بالحق من عند الحق ، وأن قولهم قول الله تعالى ، وأمرهم أمر الله تعالى ، وطاعتهم طاعة الله تعالى ، ومعصيتهم معصية الله تعالى ، وأنهم : عليهم السلام ، لا ينطقون إلا عن الله تعالى وعن وحيه .)) (١)

وعلى ترتيب النبوة والرسالة والوصاية جاءت مفردات الدعاء بالكيفية التي مرت عليك .

فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك .

ثم ورد : اللهم عرفني رسولك

ونبيه ورسوله كما هو أبين من الشمس هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكّي المدني ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأولين والآخرين .

المرحلة الثالثة . معرفة الحجّة

تمهيد :

في الدعاء ثلاثة يجب معرفتهم :

أولاً تجب معرفة الله .

ثم النبي والرسول ﷺ ثانياً .

ثم الحجّة ثالثاً .

ولو لم نعرف ذلك ضللنا عن ديننا ، كما هو نص الدعاء .

وهذا قريب من قول رسول الله ﷺ ((من مات ولم يعرف إمام زمانه

مات ميتة جاهلية .)) ، أو ما يؤدي هذا المؤدى ، الذي ورد عند الفريقين .

فمن هو إمام الزمان الوارد في الروايات ، أو (الحجّة) الوارد في متن

الدعاء ؟

لا أحد من المسلمين يدعي من أن المسلم لو لم يعرف فلاناً أو فلاناً

لأصبح ضالاً .

حتى لو لم يعرف الخلفاء الذين يعلمونهم .

وبكلام صريح لا أحد يجراً فيقول من أن الإنسان المسلم يموت ضالاً لو

لم يعرف أبا بكر (رض) مثلاً ، أو عمر بن الخطاب (رض) ، أو عثمان بن

عفان (رض) ، فضلاً عن بقية أمراء المسلمين ، وحتى قضاتهم ومشايخهم

جميعاً من الأولين والآخرين .

إذاً هناك أمر ما وراء هذه المتون علينا أن نعرفه .

فكل واحد منا أيها المسلمون ولا يُستثنى أحدٌ أبداً منا لو لم يعرف إمام

زمانه مات ميتة جاهلية ، بحسب ما نطق به رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ، على ما جاءت به أخبار المسلمين قاطبة ، فثبت عندهم ذلك ، وضيعه كثير منهم إن لم يكن كلهم ما عدا الذي آمن بأئمة أهل البيت الإثني عشر عليهم السلام ، المتواتر عدتهم وعددهم عند المسلمين قاطبة ، الذين ضيع الظالمون مع الأسف أسمائهم ومنازلهم في خضم أحداث التاريخ ، آمنوا بها عدداً ، وضيعوها في حياتهم العملية إيماناً ، وتمسكاً واقتداءً مع الأسف .

فإذن يا أخي المسلم - أينما كنت - أنت واحد من المغرر بهم ، فانتبه قبل نزول الموت ، وقبل الفوت .

فإني أسأل كل مسلم - بناءً على تواتر ذلك وصحته عندنا جميعاً - ، وأقول له ناصحاً قبل كل شيء : سل مشايخك فإن أجابوك بالحق فيها ونعمت وإلا فاعلم أن من لم يجيبك عنه فهو في ضلال ، فلا تجعل نفسك في ضلالٍ مثله .

من هم خلفاء الرسول الأثنا عشر !؟

ومن الذي إذا لم نعرفه غير النبي الكريم ﷺ ثموت ميتة جاهلية !؟
 روى في الكافي ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَمَّادٍ عَنْ أَبِي بَانٍ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ .)) (١) .

وقد أورد ثلاث روايات قبلها ذات مؤدى واحد ، ننقل واحدة منها :

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَجُوبٍ عَنْ دَاوُدَ الرُّقِيِّ عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ﷺ

قال: **إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ** ^(١) .

وقد بينت روايات أخر صفتها ، سواء أكان نبياً أو مرسلأ أو عبداً صالحاً لله مخلصاً غير نبي ولا رسول بالإضافة للرواية التي ذكرناها في مرحلة النبوة.

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ فَمِنْ عَظَمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، قَالَ لَا يَكُونُ السَّفِيهَ إِمَامًا التَّقِيَّ . ^(٢)

وروى ((الحسين عن معلى ، عن الحسن بن علي ، عن أحمد بن عائذ عن أبيه ، عن ابن أذينة قال حدثنا غير واحد عن أحدهما عليهما السلام ، أنه قال : " لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأئِمَّةَ كُلَّهُمْ ، وَإِمَامَ زَمَانِهِ ، وَيَرُدُّ إِلَيْهِ ، وَيَسَلِّمَ لَهُ . " .

ثم قال : " كَيْفَ يَعْرِفُ الْآخِرَ وَهُوَ يَجْهَلُ الْأَوَّلَ ؟ " . ^(٣)

فإذن إذا أوردنا ما اشتهر واستفاض بل تواتر بين المسلمين من أن خلفائه اثنا عشر ، عرفنا المراد ، واختصرنا المسافات .

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنِ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ أَجَلَ وَأَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَعْرِفَ بِخَلْقِهِ ، بَلِ الْخَلْقُ يَعْرِفُونَ بِاللَّهِ .

١- المصدر نفسه / الروايات الثلاثة الأولى .

٢- المصدر نفسه / بَابُ طَبَقَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْأئِمَّةِ عليهم السلام .

٣- المصدر نفسه / بَابُ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ ، وَالرَّدُّ إِلَيْهِ / ح ٢ .

قَالَ : صَدَقْتَ .

قُلْتُ : إِنْ مِنْ عَرَفَ أَنْ لَهُ رَبًّا فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِدَلِّكَ الرَّبِّ رِضًا وَسَخَطًا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ رِضَاهُ وَسَخَطَهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ ، فَمِنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرَّسْلَ فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ ، وَأَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ ، وَقُلْتُ لِلنَّاسِ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنْ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، قَالُوا بَلَى ، قُلْتُ فَحِينَ مَضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ ؟ فَقَالُوا الْقُرْآنُ ، فَتَنظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يَخَاصِمُ بِهِ الْمَرْجِيَّ وَالْقَدْرِيَّ ، وَالزَّنْدِيْقَ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَغْلِبَ الرَّجَالَ بِخُصُومَتِهِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقِيمٍ ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقًّا ، فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ قِيمِ الْقُرْآنِ ؟

فَقَالُوا : ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ ، وَعَمْرٌ يَعْلَمُ ، وَحَدِيفَةُ يَعْلَمُ .

قُلْتُ : كُلُّهُ ؟ .

قَالُوا : لَا .

فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُقَالُ إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَقَالَ هَذَا لَا أُدْرِي ، وَقَالَ هَذَا لَا أُدْرِي وَقَالَ هَذَا لَا أُدْرِي ، وَقَالَ هَذَا أَنَا أُدْرِي فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قِيمَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً ، وَكَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ . فَقُلْتُ إِنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ وَأَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْحَسِينَ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَقُلْتُ وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَقُلْتُ وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ

أَبَا جَعْفَرٍ وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ قُلْتُ أَعْطِنِي رَأْسَكَ حَتَّى أَقْبِلَهُ فَضَحِكَ قُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَاكَ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةَ مَنْ بَعْدَهُ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّكَ أَنْتَ الْحُجَّةُ وَأَنْ طَاعَتَكَ مُفْتَرَضَةٌ فَقَالَ كَفَّ رَحِمَكَ اللَّهُ قُلْتُ أَعْطِنِي رَأْسَكَ أَقْبِلُهُ فَقَبِلْتُ رَأْسَهُ فَضَحِكَ وَقَالَ سَلِّنِي عَمَّا شِئْتُ فَلَا أَنْكِرُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا .)) (١) .

عن ((عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه ، عن ذكره ، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا ، حتى تصدقوا ولا تصدقوا ، حتى تسلموا ، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها . . . إنما يتقبل الله من المتقين ، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد عليه السلام هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا ، وأشركوا من حيث لا يعلمون ، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى ، وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ، وطاعة رسوله بطاعته ، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله ، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل ، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار .

إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره فقال : وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، تاه من جهل ، واهتدى من أبصر وعقل .

إن الله عز وجل يقول : فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي

فِي الصُّدُورِ ، وَكَيْفَ يَهْتَدِي مَنْ لَا يَبْصُرُ ؟ وَكَيْفَ يَبْصُرُ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ ؟
إِتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَقْرَأُوا بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَاتَّبِعُوا آثَارَ
الْهُدَى ، فَإِنَّهُمْ عِلَامَاتُ الْإِمَامَةِ وَالتَّقَى .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ رَجُلٌ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَقْرَبَ مِنْ سِوَاهُ مِنَ
الرُّسُلِ لَمْ يُؤْمِنَ .

اِقْتَصُوا الطَّرِيقَ بِالتَّمَّاسِ الْمَنَارِ ، وَالتَّمَسُوا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ الْآثَارِ ،
تَسْتَكْمِلُوا أَمْرَ دِينِكُمْ وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ...)) .^(١)

(وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَكْلُوفٍ أَنْ يَعْرِفَ إِمَامَ زَمَانِهِ ، وَيَعْتَقِدَ إِمَامَتَهُ وَفَرْضَ
طَاعَتِهِ ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ أَهْلِ عَصْرِهِ وَسَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَأَنَّهُمْ فِي الْعِصْمَةِ وَالْكَمَالِ
كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

يَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ نَبِيٌّ إِمَامٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ إِمَامٍ نَبِيًّا وَلَا
رَسُولًا ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَجُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَاؤُهُ وَخَاصَّةُ
أَصْفِيَاءِ اللَّهِ ، أَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ
بْنَ هَاشِمٍ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ السَّلَامِ ، وَبَعْدَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، ثُمَّ
عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ
مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، ثُمَّ عَلِيُّ
بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلِيٍّ ، ثُمَّ الْحَسَنُ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ الْحُجَّةُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ ابْنُ
الْحَسَنِ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ مُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لَا إِمَامَةَ لِأَحَدٍ بَعْدَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرِهِمْ ، وَلَا يَسْتَحِقُّهَا سِوَاهُمْ ، وَأَنَّهُمْ الْحُجَّةُ عَلَى كَافَّةِ الْأَنَامِ
كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامِ ، وَالشَّهَادَةُ
عَلَى رِعَايَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى
أُمَّمِهِمْ ، وَأَنَّهُ بِمَعْرِفَتِهِمْ وَوِلَايَتِهِمْ تَقْبَلُ الْأَعْمَالُ ، وَبَعْدَاوَتِهِمْ وَالْجَهْلُ بِهِمْ

يستحق النار.)^(١)

(يجب أن يعتقد أن الإمامة حق ، كما اعتقد أن النبوة حق ، ويعتقد أن الله عز وجل الذي جعل النبي ﷺ نبياً هو الذي جعل الإمام إماماً ، وأن نصب الإمام واختياره إلى الله عز وجل ، وأن فضله منه .

ويجب أن يعتقد أنه يلزمنا من طاعة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبي ﷺ وكل فضل آتاه الله عز وجل نبيه فقد آتاه الإمام إلا النبوة...)^(٢)

ثم بعد ذلك بعدة اسطر يقول ((ويجب أن يعتقد أنهم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسييل إليه والأدلاء عليه ، وأنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده ، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن لهم المعجزات والدلائل ، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماوات ، ومثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح وباب حطة الله ، وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويجب أن يعتقد أن حبههم إيمان وبغضهم كفر ، وأن أمرهم أمر الله ونهيهم نهي الله ، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولي الله وعدوهم عدو الله.

ويجب أن يعتقد أن حجة الله في أرضه وخليفته على عباده في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب غليهم السلام، وأنه هو الذي أخبر النبي ﷺ به عن الله عز وجل بإسمه ونسبه ، وأنه هو الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وأنه هو الذي يظهر الله عز وجل به

١_ المقتعة / ٣٢ .

٢_ الهداية للصدوق / باب الإمامة / ٦ .

دينه ﷺ على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنه هو الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها ، حتى لا يبقى مكان إلا ينادى فيه بالأذان ويكون الدين كله لله ، وأنه هو المهدي الذي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه ، ويكون إذا صلى خلفه مصلياً خلف الرسول ﷺ لأنه خليفته .

ويجب أن يعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره ، بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي في غيبته عمر الدنيا لم يكن القائم غيره ، لأن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عرفوا باسمه ونسبه ونصوا به وبشروا . ((١) .

وقال الصدوق : (حدثنا أبي (رض) قال : حدثنا أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبد الكريم بن عبد الله ، عن سلمة ابن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال أيها الناس : إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه فإذا عبدوا استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه .

فقال له رجل : يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله ؟ .

قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته ؟ .

قال مصنف هذا الكتاب يعني ذلك : أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخلّهم في كل زمان عن إمام معصوم ، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل . ((٢) .

وعن محمد بن علي بن الحسين ، في معاني الأخبار عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبيه ، عن علي بن النعمان ، عن

١_ نفس المصدر السابق .

٢_ علل الشرائع / ج ١ / ص ٩ .

فضيل بن عثمان ، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عما روى عن أبيه : إذا عرفت فاعمل ما شئت وأنهم يستحلون بعد ذلك كل محرم ، فقال : ما لهم لعنهم الله ؟ .

إنما قال أبي عليه السلام : إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك ١ .

وجاء في مستدرك الوسائل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام بيان ذلك تفصيلاً حيث ورد فيه : ((أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعة واستحل المحارم وأنهم يقولون إنما الدين المعرفة فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت !

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنا لله وإنا إليه راجعون ، تأول الكفرة ما لا يعلمون ، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الطاعة فإنه مقبول منك ، لأنه لا يقبل الله عملاً من عامل بغير معرفة . لو أن رجلاً عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليله وأنفق ماله في سبيل الله وعمل بجميع طاعة الله عمره كله ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدق به ، وإمام عصره الذي افترض الله طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشئ من عمله ، قال الله عز وجل في مثل هؤلاء: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً .)) (٢) .

وبنفس ألفاظه إلا القليل منها جاء في دعائم الإسلام . (٣) .

وهكذا بالنص ثبتت أسماؤهم ، وبالدلائل ظهرت .

وبما أن الكتاب مخصص لمعرفة حجة زماننا بالخصوص ، لذا نقول :

أولاً من تواتر المسلمين نعلم من أنه لا بد لآخر الزمان من حجة مهدي بإذن الله .

١ . وسائل الشيعة : ج ١ / ص ٨٨ .

٢ . مستدرك الوسائل : ج ١ / ص ١٧٤ .

٣ . ج ١ / ص ٥٢ .

ومن التواتر عندنا فهو معلوم النسب ومعروف .
بالإضافة إلى ذلك فالنصوص قد دلت عليه وشخصته .
فمن النص على الحجة على اعتباره إمام زماننا عليه السلام :

ما رواه الصدوق عن محمد بن علي بن ماجيلويه عن محمد بن يحيى
الطار عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن معاوية بن حكيم ومحمد بن
أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري قالوا : عرض علينا أبو محمد الحسن
بن علي ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال : " هذا إمامكم من بعدي
وخليفتي عليكم أطيعوه ، ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما إنكم
لا ترونه بعد يومكم هذا . "

قالوا فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو
محمد عليه السلام . ((١) .

وقد روى الشيخ الصدوق في الفقيه بسند صحيح عن عبد الله بن جعفر
الحميري أنه قال : سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ، فقلت له :
رأيت صاحب هذا الأمر ؟ قال : « نعم ، وآخر عهدي به عند بيت الله
الحرام ، وهو يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني .

قال محمد بن عثمان رضي الله عنه وأرضاه : ورأيت صلوات الله عليه
متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم انتقم لي من أعدائك . ((٢) .

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى الطار رضي الله عنه قال : حدثنا سعد
بن عبد الله ، قال : حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي ، قال :
سمعت أبا محمد الحسن ابن علي عليه السلام يقول :

١_ كمال الدين / الشيخ الصدوق / ج ٢ / ص ٤٣٥ .

٢_ كتاب من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق / ج ٢ / ٣٠٦ .

" كآني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني ، أما إن المقر بالائمة بعد رسول الله ﷺ المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله ﷺ ، والمنكر لرسول الله ﷺ كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا ، والمنكر لاخرنا كالمنكر لأولنا .

أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عزوجل . "

حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال : حدثني أبو علي بن همام قال : سمعت محمد بن عثمان العمري - قدس الله روحه - يقول : سمعت أبي يقول : سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ، وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام : (أن الارض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلي يوم القيامة ، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) فقال عليه السلام : " إن هذا حق كما أن النهار حق . "

ف قيل له : يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك ؟

فقال : " إبنني محمد ، هو الإمام ، والحجة بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . "

أما إن له غيبة يُحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويكذب فيها الوقتون ، ثم يخرج ، فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة .)) (١)

ولهذه المرحلة عدة فصول .

الفصل الأول

الفرق بين العلم والمعرفة

كلمة العلم:

العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد ، يدلّ على أثرٍ بالشيء يتميّز به عن غيره .^(١)

والعلم مصدر علم يعلم ، ، وهو تقيض الجهل^(٢) وورد في اللسان أيضاً : أن ((العلم تقيض الجهل ، علم علماً وعلم هو نفسه ، ورجل عالم وعليّ من قوم علماء)) .

وفي (مقاييس اللغة) : (تعلمت الشيء ، إذا أخذت علمه) . ومن أخذ علم علم ما صار من أهل العلم به ... والعلم يرسخ في قلب الإنسان والراسخ في العلم البعيد العلم . . والعالم الراسخ في العلم والدين ، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله ، ويقال له: الرباني .. يجمع على : علماء وعلّام .

وقال الجويني: " وَالْعِلْمُ : مَعْرِفَةُ الْمَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ فِي الْوَاقِعِ " .^(٣)

وقال ابن القيم " هو نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس " .^(٤)

وقال الجرجاني: " هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " .^(١)

١_ مقاييس اللغة (٤ / ١٠٩)

٢_ . أنظر كتب اللغة منها : لسان العرب (مادة علم) .

٣_ الورقات (٨) .

٤_ الفوائد / الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية . / ٩١ .

كلمة المعرفة

العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض ، والآخر على السكون ، والطَّمَانِينَةُ .

فالأولُ العُرفُ : عُرفَ الفَرَسُ ، وسميَ بذلك لتتابع الشعر عليه....

والأصل الآخر المعرفة ، والعِرفان ، تقول : عَرَفَ فلانٌ فلاناً عِرفاناً ،

ومعرفة .

وهذا أمر معروف . وهذا يدلُّ على ما قلناه من سُكونه إليه ، لأنَّ مَنْ

أنكر شيئاً توحشَ منه ، ونَبأَ عنه . ((٢))

وورد في (العباب الزاخر) : المَعْرِفَةُ والعِرفانُ : مصدرًا عَرَفْتَهُ أَعْرِفُهُ ..

و العِرفَةُ - بالكسر - : المَعْرِفَةُ والعِرفان . تقول : عَرَفَ فلانٌ فلاناً عِرفاناً

ومعرفة .

وتقول : هذا أمر معروف .

هذا بعض ما ورد في قواميس اللغة .

وأما من جهة الإستعمال :

ففاعل المعرفة متعدٍ لمفعول واحد : تقول : عرفتُ زيداً ، أو عرفتُ الدار .

قال تعالى : ((فعرّفهم وهم له منكرون)) (٣) ، وقال تعالى : ((يعرفونه

كما يعرفون أبناءهم)) (٤) .

١_ التعريفات (١٩١) .

٢_ أنظر مقاييس اللغة / مادة عرف .

٣_ يوسف / ٥٨ .

٤_ البقرة / ١٤٦ .

وقال الشاعر عنتر بن شداد العسبي في مطلع معلقته المشهورة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
وأما فعل العلم فهو متعدٍ لمفعولين ، ولذا قال ابن مالك في ألفيته في بداية
باب ظن وأخواتها :

انصب بفعل القلب جزأي ابتدا أعني رأى خالَ علمتَ وجدا
وبعدها قال :

إلى ثلاثة رأى وعلما عدوا ، إذا صارا أرى وأعلما

وقد ((أشار بهذا الفصل إلى ما يتعدى من الافعال إلى ثلاثة مفاعيل ،
فذكر سبعة أفعال : منها أعلم ، وأرى .

فذكر أن أصلهما " علم ، ورأى " ، وأنهما بالهمزة يتعديان إلى ثلاثة
مفاعيل ، لأنهما قبل دخول الهمزة عليهما كانا يتعديان إلى مفعولين ، نحو :
" علم زيد عمراً منطلقاً ، ورأى خالد بكرة أخاك " ، فلما دخلت عليهما
همزة النقل زادتهما مفعولاً ثالثاً .))^(١)

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْ دُونِهِمُ الَّذِينَ تَلَّمَوْهُمْ اللَّهُ يَلْعَمُهُمْ ﴾ .

وكانه هنا استعملها للمقابلة ، إذ لا يصح استعمال عرف ومشتقاتها مع
لفظ الجلالة إذا كان فاعلاً ، كما ذكرنا .

نقول بدواً إنه من الممكن أن تستعمل علم بمعنى عرف ، ولذا قال ابن
مالك في ألفيته أيضاً :

١- ج ١ / ص ٤٤٠ . / شرح ابن عقيل / بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني /
الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / الناشر : دار الفكر - دمشق .

لعلم عرفان وظن تهمة تعدية لواحد ملتزمه

"علم" جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وعلم مضاف و "عرفان" مضاف إليه .

"وظن" معطوف على علم ، وظن مضاف ، و "تهمة" مضاف إليه .
"تعدية" مبتدأ مؤخر .

"لواحد" جار ومجرور متعلق بتعدية .
"ملتزمة" نعت لتعدية .

إذا كانت "علم" بمعنى عرف تعدت إلى مفعول واحد ، كقولك : " علمت زيدا " ، أي : عرفته ، ومنه قوله تعالى :

﴿اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ . (١)

ولعل هذا ما حدا ابن منظور ألا يفرق بين العلم والمعرفة . (٢)
فلوجود القرينة الصارفة استعمل أحدهما بدل الآخر .

وقد جاء في تاج العروس :

((وفي البصائر : المعرفة إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره ، وهي أخص من العلم .

والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى :
أما اللفظ :

١- ج ١ / ص ٤٥٢ / شرح ابن عقيل .

٢- انظر في عدم التفريق بين معنى العلم والمعرفة في اللغة : ابن منظور ، لسان العرب / ٩ /

٢٣٦ ، وإن كان قد أشار إلى التفريق كما أشرنا في بداية الحديث .

ف فعل المعرفة يقع على مفعول واحد ، وفعل العلم يقتضى مفعولين ،
وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة .

وأما من جهة المعنى :

فمن وجوه : أحدها : إن المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق
بأحواله .

والثانى : أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ،
فإذا أدركه قيل عرفه ، بخلاف العلم .

فالمعرفة نسبة الذكر النفسي ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر ،
ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل .

والثالث : أن المعرفة علم لعين الشيء مفصلا عما سواه ، بخلاف العلم
فانه قد يتعلق بالشيء مجملا . ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا .)) .

من ذلك و من غيره يظهر لنا :

١ : أن أهل اللغة ربما لم يفرقوا بينهما في المعنى :

ففي مختار الصحاح : وعلم الشيء بالكسر يعلمه علما عرفه . (١)

وقال ابن منظور في لسان العرب : ((عرف : العرفان العلم ، ثم نقل عن

ابن سيده قوله : وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان .)) . (٢)

وكلامه الأخير يدل على التفريق ، بل صرح بالفرق حيث قال :

((وفي التعريفات : المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة

بنسيان حاصل بعد العلم ، بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق بالعالم دون
العارف .

١_ مختار الصحاح (بتحقيق محمود خاطر) / ١٨٩ .

٢_ لسان العرب / ٩ / ٢٣٦ / طبعة دار صادر .

وفي الكلّيات : والعلم يقال لإدراك الكلّي أو المركّب .

والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط ولهذا عرفت الله دون علمته ((. (١)

وهذا أبو هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة)) ؛ في مستهل الباب الرابع منه فرق بين العلم والمعرفة قائلاً :

((إن المعرفة أخص من العلم : لأنها علم بعين الشيء منفصلاً عما سواه ، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً .

قال الزهري : لا أصف الله بأنه عارف ، ولا أعنّف من يصفه بذلك ؛ لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار يعني آثارها التي تعرف بها .

قال : ولا يجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل .

قال والمعرفة تمييز المعلومات ، فأوماً إلى أنه لا يصفه بذلك كما لا يصفه بأنه مميز .

وليس ماقاله بشيء ، لأن آثار الدار إن كانت سميت عرفاناً فسميت بذلك لأنها طريق إلى المعرفة بها ، وليس في ذلك دليل على أن كل معرفة تكون من جهة الأثر والدليل ، وأما وصف العارف بأنه يفيد تمييز المعلومات في علمه فلو جعله دليلاً على أن الله عارف كان أولى لأن المعلومات متميزة في علمه . بمعنى أنها متخيلة له ، وإنما لم يسم علمه تمييزاً لأن التمييز فيما هو استعمال العقل بالنظر ، والفكر اللذين يؤديان إلى تمييز المعلومات . فلم يتمتع أن توصف معلوماته بأنها متميزة ، وإن كان لا يوصف بأنه مميز لأن تمييزها صفة لها لا له .

١_ لسان العرب / مادة عرف .

٢_ وهذا الرد واضح ما فيه ، إذ لم يقل الرجل من أن كل معرفة يجب أن تكون من جهة الأثر ، بل لأن المعرفة مأخوذة من ذلك نزهوا الله عن أن يوصف بذلك - منا - .

والمعرفة بها تفيد ذلك فيها ، لافيه ، فكل معرفة علم ، وليس كل علم معرفة .

وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم .

والشاهد قول أهل العلم العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما إلا أن يكون بمعنى المعرفة كقوله تعالى : ﴿ لاتعلمونهم الله يعلمهم ﴾ ^(١) ، أي لاتعرفونهم الله يعرفهم .

وإنما كان ذلك كذلك لأن لفظ العلم مبهم ؛ فإذا قلت : علمت زيذا فذكرته باسمه الذي يعرفه به المخاطب لم يفد ، فإذا قلت قائما أفدت ، لأنك دلت بذلك على أنك علمت زيذاً على صفة جاز أن لاتعلمه عليها مع علمك به في الجملة .

وإذا قلت عرفت زيذا أفدت لأنه بمنزلة قولك علمته متميزاً من غيره فاستغنى عن قولك متميزاً من غيره لما في لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك .

والفرق بين العلم والمعرفة إنما يتبين في الموضع الذي يكون فيه جملة غير مبهمة ؛ ألا ترى أن قولك علمت أن لزيد ولدأ وقولك عرفت أن لزيد ولدأ يجريان مجرى واحداً .)) . ^(٢)

وقال أبو حيان التوحيدي في المقابسات : في المقابسة السبعون : ((في أن التماس الرخصة عند المشورة خطأ : سمعت أبا سليمان ^(٣) يقول))

١_ الأنفال / ٦٠ .

٢_ الفروق في اللغة / أبو هلال العسكري / الطبعة الرابعة - ١٩٨٠ - ص ٧٢ - ٧٣ .

٣_ ويعني به : محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني ، وهو شيخ أبي حيان التوحيدي في الفلسفة . وكان من علماء بغداد الكبار فيها وفي المنطق والحكمة ؛ كان كريم العين ، أبرص الوجه ، وهذا ما منعه أن يرتاد مجالس الخاصة من الأمراء والوزراء ، واختص بمجلس خاص به ، توفي

ثم قال التوحيدى :

((وسألته^(١) عن الفرق بين المعرفة والعلم ؟ فقال : المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية : والعلم أخص بالمعقولات والمعاني الكلية .

قال غيره : ولهذا يقال في الباري : يعلم ، ولا يقال يعرف ولا عارف))^(٢)
 ٢ : و الإستعمال القرانى فرق بينهما ، حيث استعمل مادة العلم ومشتقاتها صفة لله سبحانه وتعالى ، ولم يستعمل مادة المعرفة كذلك ، كما تبين لك في بعض ما مر .

وهذا شاهد بين على أن هناك فرقاً بينهما .

قالوا من أن الفرق يكمن في أن :

أ : المعرفة ربما يسبقها جهل ، والعلم ليس كذلك .

قال الطوفى في شرح مختصر الروضة : وقيل المعرفة تستدعى سابقة جهل بخلاف العلم^(٣) .

ولكن هذا التفريق يُشكل عليه بعض آي القرآن ، كمثل قوله تعالى : " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " ^(٤) فوصف ما كان مسبوقة بالجهل بالعلم ، ولم يصفه

أواخر القرن الرابع الهجرى .

١ _ أي سأل أبا سليمان المذكور .

٢ _ أبو حيان التوحيدى / المقابسات / المقابسة السبعون : في أن التماس الرخصة عند المشورة خطأ .

٣ _ الطوفى / شرح مختصر الروضة / ج ١ / ص ١٧٤ .

٤ _ النحل / ٧٨ .

وجاء في معلقة زهير ابن ابي سلمى

و أعلم ما في اليوم و الأمس قبله و لكنني عن علم ما في غدٍ عم^(١)
فهنا أيضاً وصف ما كان مسبوqاً بالجهل بالعلم .

ب : إن المعرفة تأتي بعد تدبر وتفكر ، بينما العلم ليس له هذه
الخصوصية .

ولعل قول الزهري المار الذكر قبل قليل " لا أصف الله بأنه عارف ...
لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار يعني آثارها التي تعرف بها . قال :
ولا يجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل . " يعود إلى
هذا .

ولو ألقينا نظرة سريعة نحو أقوال الشعراء وغزلهم لرأينا أنهم يتصورون و
يتوهمون أولاً ، ثم يعرفون إذا صح التعبير :

قال عنترة العبسي في معلقته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
و قال زهير^(٢)

١_ ومطلع المعلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتلم

إلى أن يقول فيها :

رايت المنايا خبط عشواء مَن نُصب ... تمته و من تُخطى يُعمر فيهم
و أعلم ما في اليوم و الأمس قبله ... و لكنني عن علم ما في غدٍ عم

٢_ زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات ، وابنه كعب بن زهير صاحب القصيدة المشهورة
في مدح رسول الله صلى الله عليه و آله المسماة بالبردة :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم
أي بعد إبطاء ، بتقدير محذوف ، أو مبطناً عرفت الدار .

فمن استعمالاتهم يظهر ذلك ، وربما هذه أحد الأسباب الأخر التي لا
تجيز للمتكلم بأن يصف الله من كونه عارفاً .
وحاشا لله أن يتصف بذلك .

و الله سبحانه أبعده الألفاظ التي تعود عليه إذا كان فيها أدنى ملابسة من
جهة هذه الأمور ومشابهاتها ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

بعد أن اطلعنا على ان الله تعالى لم يستعمل في كتابه المعرفة صفة لله
تعالى ، واستعمل العلم ، منها قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

كما أنه وصف نفسه بصفة العلم ، بل من أسمائه الحسنی عالم الغيب
والشهادة ، بل أتى بصيغة المبالغة المضافة للجمع " علام الغيوب " على لسان
عبيده : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢)

بينما المعرفة كصفة له سبحانه لا نجد لها عيناً ولا أثراً في كتابه الكريم .
وهذا يدل على الفرق .

ولكن ماهو؟

هذا ما احتار به أرباب الفكر .

حتى قالوا إنه لا يصح أن تنسب المعرفة لله سبحانه أصلاً .
وهذا يردده ورود أحاديث كثيرة جاءت بهذه النسبة .

١_ البقرة / آية ٢١٦ .

٢_ المائدة / ١٠٩ .

منها :

((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ، ولا عرفني إلا الله وأنت ، ولا عرفك إلا الله وأنا .)) (١)

نعم لا يقال له " العارف " لأن أسمائه الحسنی توقيفية .

و حتى لو استعمل فإنه لا يستعمل إلا بصورة نادرة ، ولعل مرد ذلك :

لأن المعرفة في أغلب الأحيان يسبقها جهل ، بعكس العلم .

كما أنها تأتي بعد تفكر وتدبر .

بعض الألفاظ التي لا يُمكن أن تُستعمل صفة لله تعالى ، ولماذا ؟ :

ولا يستعمل أي لفظٍ فيه مظنة عدم كمال مطلق لله في صفاته ، سبحانه

وتعالى عما يصفون .

فهو لا يوصف باليقين مع أنه أعلى درجات العلم ، لأن اليقين ربما دلّ

على سبق تردد أو نقص في المعلومة ، واضطراب ، أو إن اليقين يأتي بعد

برهان واستدلال ، فتسكن النفس له ، وهذا مما لا يمكن أن يوصف الله

سبحانه به ، فانتبه .

ولا يوصف بالإدراك و كأن الإدراك يطلق على شئ متأخر عن شئ ثم

يدركه ، أي يلحق به ، كما إن الإدراك يستعمل مقابل الإحساس بالشئ ،

فتقول أحسستُ به بجواسي ، وأدركته بعقلي ، لذا ورد :

الإدراك : هو أن يدرك الإنسان الشيء ، وإن لم يحس به .

والإحساس : هو أن يشعر به ، فكل ما تشعر به فقد أحسسته .

١_ إرشاد القلوب / الدليمي / ج ٢ / ص ٢٠٩ ؛ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة

الظاهرة / السيد شرف الدين الحسيني (ت : ٩٤٠ هـ) / ص ١٤٥ .

كما أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بالدراية .

قال المناوي في تعاريفه : (الدراية المعرفة المدركة بضرب من الحيل)^(١) ، وذلك لأنها مشتقة من " دريت الصيد ، وأدريته ، أي ختلته ، وكان العلم قد حصل بضرب من الحيلة .
والله متزه عن هذا كله .

ولذا قالوا إنها أي الدراية : المعرفة المدركة بضرب من الحيل ٢٠
وحتى عندما استعمل المقابلة لم يستعمل هذه اللفظة أصلاً ، مع أنه أولى بالأسلوب العربي ، وذلك لما ذكرنا ،

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ حَافِرٌ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٣)
فراه قد استعمل " عليم خبير " مقابل الدراية .

وإن كان السبب يمكن أن يكون لغير ذلك ، ويمكن إجماله : لأنه لو استعمل الدراية لظن ظان من أن الله يدري ، وهذا يوقع الإنسان بجهل قريب منه ، من أن الله تعالى يدري ما يكسب هو غدا سبحانه ويدري هو بأي أرض يموت جلّ وعلا سبحانه ، وهذا جهل بالله ما بعده جهل ، ولذا استعمل العلم دون هذا الفعل .
أو لكليهما ، فانتبه .

١ _ التعاريف للمناوي / فصل الرءاء / باب الدال .

٢ _ راجع كتب اللغة . أنظر مثلاً : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، و لسان العرب لابن منظور ، وكتاب الخصائص لابن جني وغيرها من كتب اللغة .

و العلم كما أشرنا في مطلع حديثنا من الصفات التي استعملها القرآن الكريم كثيراً ليصف الله تعالى به على اختلاف الصيغ .

وقد قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

فترى في هذه الآية المباركة نسب العلم إلى نفسه ، ونفاه عنا ، لما للعلم من أهمية عظيمة .

وقد قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ .

فلمكانة العلم وصف ذلك الفضل بالعظيم .

فالعلم (صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً) .^(٢)

بحيث يحصل ذلك المطلوب (في النفس حصولاً لا يطرق إليه احتمال

كذبه) .^(٣)

فيعبر عنه بالعلم الحسولي .

أو يحضر بنفسه ، وهو أعلى مراتب العلم ، الذي يُعبر عنه عندهم

بالعلم الحضورى .

وعوداً على بدءٍ نقول :

إذاً يمكن أن يكون ثمة عدة فوارق بين العلم والمعرفة :

(١) : فعل المعرفة يقع على مفعول واحد ، وفعل العلم يقتضى مفعولين ،

وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة .

١_ البقرة / ٢١٦ .

٢_ الشوكاني / إرشاد الفحول / ٢٠ .

٣_ الآمدي / المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين / ٤٢٣ / ضمن كتاب المصطلح

الفلسفي عند العرب / لعبد الأمير الأعسم .

(٢) : إن المعرفة لها تعلق بذات الشيء ، ، مثاله : تقول مستفهماً هل عرفت أباه؟ ولا يصح هل علمت أباه؟ .

أما العلم فيتعلق بأحوال الشيء : ولذا يصح قولك لو قلت : علمت أباه صالحاً .

ولذا قالوا :

((المعرفة حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس ، والعلم حضور أحواله وصفاته ونسبتها إليه ، فالمعرفة تشبه التصور ، والعلم يشبه التصديق .)) (١) .

و((الفرق بينهما أن المعرفة متوجهة إلى ذات المسمى ، والعلم متوجه إلى أحوال المسمى .)) (٢) .

ولذا نلاحظ الإستعمال القراني للمعرفة متوجه إلى الذات ، فلاحظ : (تعرفهم) ، (يتعارفون) ، (تعرف... المنكر) ، ثم أخيراً (تعرف ... نضرة النعيم) فهو متوجه إلى الذات، أو إلى الصفة مباشرة ، كما في الآيات الآتية ، على التسلسل :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ

١_ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (٦٩١ - ٧٥١) / دار الكتاب العربي - بيروت / ١٩٧٣ / ط ٢ / تحقيق محمد حامد الفقي .

٢_ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / في تفسير قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ...) / الجامع في أحكام القرآن / (طبعة الشعب) ج ١ / ص ٤٣٩ .

اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ﴿١﴾

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (٢)

﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَلُونُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَاتَّبِعُكُمْ بِشَرِّ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِلُ الْمَصِيرُ﴾ (٣)

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٤)

وقد جاء الأمر بالعلم دون المعرفة لما يتعلق بالذات الإلاهية ، قال تعالى :
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ، وقال
عز من قائل : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا اللَّهُ﴾ .

٣) : فبالمعرفة تميز المعروف عن غيره ، وبالعلم تميز صفاته عن صفات
غيره .

ولذا تقول : عرفت الله ، ولا يصح علمت الله ، ولما سيأتيك في النقطتين
الأخيرتين .

٤) : إذا كانت هناك صفات لذات مجهوله عندنا ثم رأيناها حاملة
لصفاتنا فسنقول بأننا عرفناها ، ومن هنا جاء قوله تعالى : ((الذين أتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم

١_ البقرة / ٢٧٣ .

٢_ يونس / ٤٥ .

٣_ الحج / ٧٢ .

٤_ المطففين / ٢٤ .

يعلمون)) (١)

وحتى لو كانت الذات مفقودة وليست بمجهولة ورأيناها فإننا نقول بأننا عرفناها ، ومن هنا جاء قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

وقال تعالى : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾
وقال تعالى : ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلِ يُسْتَفْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ .

فنستطيع أن نقول من أن المعرفة تكون بالشئ الذي أدركه العقل ثم غاب عنه لفترة ثم أدركه ، أو لما عرفه بالصفات فقط ثم شاهده .
(٥) : ومن الذي تقدم علمنا من أن ضد المعرفة هو الإنكار ، وضد العلم الجهل .

ولذا قال الله تعالى في محكم كتابه : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ .

(٦) : والذي أراه من أن المعرفة لها حد محدود وعلامات تقود ، منها يتوصل إلى شئ ليصبح معروفاً ، بينما العلم يمكن له الإحاطة التامة بالمعلوم ، من الخصوصيات إلى عموميات الشئ ، وله أن يدرك زوايا منه فقط ، وبهذا تتفاوت مقادير الرجال .

ولذا قال الله تعالى :

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

وقال عز من قائل : ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَمَرْضَىٰ لَهُ قَوْلًا .

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١)

وهذا الشيء نراه في مصاديق كثيرة :

المعرفة والنكرة عند النحاة ، ليست ببعيدة عنا ، لو دققنا فيهما لرأينا نكتة لا بد من ذكرها .

والأول أي المعرفة عندهم كما نعلم هو كل اسم له دلالة معينة .

فأي دلالة فيه صغيرة كانت أو كبيرة ، لها القابلية في نقل الاسم من كونه نكرة إلى ما يجعله صالحاً لأن يوصف بكونه معرفة ، لهذا فهو يُطلق :

على كل علم .

على كل ضمير .

بل على كل من عرّف بالألف واللام حتى وإن كان فقط لأجل ذكره قبل قليل ، فمجرد ذكره جعله أهلاً لأن يتصف بكونه معرفة وهكذا

من هنا أيضاً نستشف من أن المعرفة في لغة العرب تطلق على أي شيء نطلع عليه ، ولو بأدنى معلومة .

فأي أمر حتى وإن كان بسيطاً عن الشيء يتبين لك فلك أن تقول بأنني أعرف ذلك الشيء ولو لأجل تلك المعلومة البسيطة .

ومن أجل ذلك أصبحت للمعرفة مراحل ، استقصاها الشيخ المظفر في كتابه المنطق ، فكانت خمساً :

المرحلة الأولى : المرحلة التصورية :

وقد قال فيها :

((تطلب فيها تصور معنى اللفظ تصوراً إجمالياً ، فتسأل عنه سؤالاً لغوياً صرفاً ، إذا لم تكن تدري لأي معنى من المعاني قد وضع ويسمى التعريف اللفظي ، وقواميس اللغات هي المتعهدة بالتعريف اللفظية .)) .

المرحلة الثانية : السؤال عنه ب (ما) الشارحة .

(ويصح أن يجاب بالفصل وحده أو بالخاصة وحدها ، أو بأحدهما منضمّاً إلى الجنس البعيد ، أو بالخاصة منضمّة إلى الجنس القريب .
وتسمى هذه الأجوبة تارة بالحد الناقص وأخرى بالرسم الناقص أو التام ، ولكنها توصف جميعاً بالاسمي .))

(ولو فرض أن المسؤل أجاب خطأ بالجنس القريب وحده ، كما لو قال) شجرة (في جواب) ما النخلة (- فان السائل لا يقنع بهذا الجواب ، وتتوجه نفسه إلى السؤال عن مميزاتها عن غيرها ، فيقول : أية شجرة هي في ذاتها ؟ (أو) أية شجرة هي في خاصتها ؟

(فيقع الجواب عن الأول بالفصل وحده فيقول) : ثمرة التمر (وعن الثاني بالخاصة ، فيقول) : ذات السعف .) مثلاً .

وهذا هو موقع السؤال بكلمة (أي) وجوابها الفصل ، أو الخاصة) .

المرحلة الثالثة : (وهي طلب التصديق : بوجود الشيء ، فتسأل عنه ب - هل ، (وتسمى) هل البسيطة) ، فتقول : هل وجد كذا ؟ ، أو هل هو موجود ؟

وتسمى ب (ما) الحقيقية :

تلك التي تسأل بها إذا كنت عالماً بوجود الشيء قبل العلم بتفصيل ما أجمله اللفظ الدال عليه ، ثم تسأل عنه ب (ما) ،

أو أنك على خلاف الطبع قدمت السؤال عن وجوده فأجبت .

وحيثُ اذا كان عالماً بوجود الشيء قبل العلم بتفصيل ما أجمله اللفظ الدال عليه ، ثم سأل عنه بـ (ما) ، فإن ما هذه تسمى (الحقيقية) .
والجواب عنها نفس الجواب عن (ما الشارحة) ، بلا فرق بينهما إلا من جهة تقدم الشارحة على العلم بوجوده ، وتأخر الحقيقية عنه .

وانما سميت حقيقية ، لأن السؤال بها عن الحقيقة الثابتة — والحقيقة باصطلاح المناطقة هي الماهية الموجودة — والجواب عنها يسمى (تعريفاً حقيقياً) ، وهو نفسه الذي كان يسمى (تعريفاً اسماً) قبل العلم بالوجود ، ولذا قالوا :

" الحدود قبل الهليات البسيطة حدود اسمية ، وهي بأعيانها بعد الهليات تنقلب حدوداً حقيقية . "

المرحلة الرابعة : وهي طلب التصديق بثبوت صفة أو حال للشيء ، ويسأل عنه بـ (هل) أيضاً ، ولكن تسمى هذه (هل المركبة) ، لأنه يسأل بها عن ثبوت شيء لشيء بعد فرض وجوده ، والبسيطة يسأل بها عن ثبوت الشيء فقط .

فيقال للسؤال بالبسيطة مثلاً : هل الله موجود .

وللسؤال بالمركبة بعد ذلك : هل الله الموجود مريد .

فإذا أجابك المسؤول عن هل البسيطة أو المركبة تنزع نفسك إلى :

المرحلة الخامسة : وهي طلب العلة : أما علة الحكم فقط ، أي البرهان على ما حكم به المسؤول في الجواب عن هل ، أو علة الحكم وعلة الوجود معاً ، لتعرف السبب في حصول ذلك الشيء واقعاً .

ويسأل لأجل كل من الغرضين بكلمة (لِمَ) الاستفهامية ، فتقول لطلب

علة الحكم مثلاً : لِمَ كان الله مريداً ؟

وتقول مثلاً لطلب علة الحكم وعلة الوجود معاً : لِمَ كان المغناطيس

جاذباً للحديد ؟ ، كما لو كنت قد سألت هل المغناطيس جاذب للحديد ؟
فأجاب المسؤول بنعم ، فان حقا أن تسأل ثانياً عن العلة فتقول :
(لِمَ . . .) ^(١).

من هذا يتبين لنا أن المعرفة لها درجات ، وفي أي درجة هي معرفة .
ولكن العلم بالشئ يقتضي الإحاطة به إحاطة تامة ، إلا إذا قامت قرينة
دون ذلك .

ولعله لذا احتجنا لأن يبين لنا أن فوق كل ذي علم عليم ، بينما لم نحتج
لأن يبين لنا أن فوق كل صاحب معرفة صاحب معرفة .

ومن هذه النقطة بالذات ربما وردت صفة العالم وبعض مشتقاتها صفة
الله تعالى في استعمالات القرآن دون المعرفة .

وهي من النكات الخفية ، التي أرشدنا الله إليها ، بالإضافة إلى بعض ما
ذكروا من الفوارق .

(٧) : ولعله منها جاء : في التعاريف للمناوي : العرفان كالمعرفة إدراك
الشئ بتفكير وتدبر ، فهو أخص من العلم . ^(٢)

ومن هذين الأخيرين لعله صح أن يقال عرفتُ الله ، ولا يُقال علمت
الله .

(٨) و أهم شئ ، وأقول ربما لقربه قد غفل عنه من تعرض للفرق بينهما ،
وهو أن المعرفة تحتاج لمعرفٍ دائماً ، بينما العلم ليس كذلك .

فلذا يصح وصف الله بالعلم دون المعرفة .

١_ محمد رضا المظفر / المنطق / الباب الثالث / المُعرّف وتلحق به القسمة / المقدمة / بتصريف

غير محل .

٢_ التعاريف / للمناوي / بتحقيق الداية / ص ٥١١ / فصل الرءاء ، باب العين .

ولذا ورد في الدعاء الذي بين أيدينا : اللهم عرفني نفسك .. فلمعرفته نطلب المعرفة منه سبحانه.

و لو أخذنا بعض ما قاله علماء اللغة و المطلعون عليها مما مر عليك مثل : قول أبي هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة)) :

((إن المعرفة أخص من العلم : لأنها علم بعين الشيء منفصلاً عما سواه ...)) .^(١)

((والعلم يكون مجملاً ومفصلاً . والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط، ولهذا عرفت الله دون علمته .)) .^(٢)

وكما قال أبو حيان التوحيدي في مقابساته عن لسان أبي سليمان : ((المعرفة أخص بالمحسوسات ، والمعاني الجزئية .)) .

وكما قال الزهري : ((لأن المعرفة مأخوذة من عرفان الدار ، يعني آثارها التي تعرف بها .)) .

وقال : ((وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم .)) .

وهو عين الإستعمال القراني في مثل هذه الموارد ، قال تعالى : ((الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) .^(٣)

وهو نفس حال الحجة عند ظهوره مع الناس .

و قد قال تعالى في قضية يوسف الصديق على نبينا وآله وعليه السلام :

١_ الفروق في اللغة .

٢_ لسان العرب / مادة عرف .

٣_ ١٤٦ / البقرة .

((وجاء إخوه يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون))

وهكذا في عدة موارد من هذا القبيل .

ولهذا عندما يظهر الحجة بن الحسن عليه السلام ، ويأتي بالبينات فإن من يعاديه لا يجمله بل ينكره ، بعد إقامة الحجة عليهم .

فلهذا نقول من أن هذه اللفظة جاءت في محلها، قد حلت الكلام وجملته.

ولا يعيننا الآن على أقل تقدير ما قالوا ، حيث قالوا :

((الفرق ما بين المعرفة والعلم :

إن كل علم هو معرفة ، ولكن ليست كل معرفة هي علم ، ذلك باعتبار وجود مصادر أخرى للمعرفة من خارج العلم .

وعلى صعيد تنوع العلوم حسب مادتها ، فأيسر العلوم التي تستطيع أن تلخص موضوعاتها بصيغ القوانين والنظريات هي العلوم الطبيعية ، وذلك من خلال إمكانية استخدام لغة الرياضيات فيها ، وهذا ما يصعب استخدامه في الإنسانيات في الوقت الراهن .

طموح العلماء إدخال لغة الرياضيات ، باعتبارها لغة موضوعية ومجردة إلى حقل الإنسانيات للإرتقاء بها لمستوى العلوم .)) .

لأن هذا مبني على أن العلوم باصطلاحهم هي التي تعتمد على الرياضيات ، واما غيرها فلا تسمى بها .

ولذا قالوا بعدها : ((ومنها نعرف العلم تعريفا بسيطا بأنه هو المعرفة

المنتظمة .)) .^(١)

١_ أنظر مثلاً : الرسائل العلمية ترف أم حل للمشكلات ؟ / الأستاذ الدكتور عبد علي الخفاف عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة / العراق ١٥ / آذار / ورقة مقدمة إلى الندوة المصاحبة للمؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية المنعقد في جامعة الجنان -

علم المعرفة ، ومعرفة هذا العلم .

جرنا الكلام إلى المعرفة وأهلها من أهل العرفان :

((والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن أن المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بامل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالماً بالله وبالطريق الموصل إلى الله ، وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله تشهد له بالمعرفة .

فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبيئاته ، ثم دعا إليه على بصيرة .)) .

ولقد اخص هذا المصطلح بالصوفيين إلى أن انتقل منهم لأهل العرفان .

ولقد طار بعضهم إلى أن قال من أن المعرفة تأتي بعد العلم :

((ولما كانت مرتبة المعرفة فوق مرتبة العلم عندهم ومرتبة الشهود فوق مرتبة المعرفة ومرتبة الوجود فوق مرتبة الشهود (...)).^(١)

وقال أيضاً : ((لما كانت المعرفة فوق العلم وأخص منه كان فناء المعرفة في المعروف مستلزماً لفناء العلم في المعرفة)) .^(٢)

فإذاً هو مصطلح خاص بهم .

ومن حقنا أخيراً أن نسأل : لو كانت المعرفة فوق العلم ، فلم لم تُطلب

بصريح القران ؟

طرابلس / لبنان ، في ٢١-٢٢ نيسان ٢٠٠٧ . والنصان من هذه الدراسة .

١_ مدارج السالكين / ص ٤٧١ / ج ٣ .

٢_ المدارج / ج ٣ / ص ٣٧٢

ولم كانت منازل الآخرة بالعلم دون المعرفة ؟

ولم خُصَّ الأنبياءُ وغيرُهم من عباد الله المكرمين بالعلم صفة عند

مدحهم في القران الكريم دون المعرفة ؟!!!!

الفصل الثاني

من عرف نفسه فقد عرف ربه :

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : " من عرف نفسه فقد عرف ربه . " (١)

ويمكن أن يكون فيه اتجاهان :

الأول : من الرب إلى العبد .

أي من عرف نفسه يكشف أنه قد عرف الله قبل ذلك .

الثاني : ومن العبد إلى الرب .

أي بعكس ذلك ، وله تفسيران ، وسنضيف ثالثاً :

(أ) : تفسير إيجابي ، ب) : وآخر سلبي .

(أ) : الإيجابي منهما :

النفس مدبرة لابد لها من مدبر ، فلا بد للكون من مدبر .

وقالوا : من عرف نفسه من جهات عرف الله منها ، إذ أن الإنسان روح

وجسد :

وقد ((ذكر أحد العلماء الماضين (رحمه الله) في هذا الصدد قوله : "

الروح لطيفة لاهوتية ، في صفة ناسوتية ، دالة من عشرة أوجه على وحدانية

ربانية :

(١) : لما حركت الهيكل ودبرته علمنا أنه لا بد للعالم من محرك ومدبر .

(٢) : دلت وحدتها على وحدته .

(٣) : دل تحريكها للجسد على قدرته .

(٤) : دل اطلاعها على ما في الجسد على علمه .

(٥) : دل استواؤها إلى الأعضاء على استوائه إلى خلقه .

(٦) : دل تقدمها عليه ، وبقاؤها بعده على أزله و أبده .

(٧) : دل عدم العلم بكيفيتها على عدم الإحاطة به .

(٨) : دل عدم العلم بمحلها من الجسد على عدم أينيتها .

(٩) : دل عدم مسها على امتناع مسه .

(١٠) : دل عدم إبصارها على استحالة رؤيته . (((١)

و أضاف السيد كاظم الحائري على ما سبق :

((الروح يعلم بجميع البدن بالعلم الحضوري ، فدل ذلك على احاطته بكل الموجودات بالعلم الحضوري .

و دلت كيفية ارتباطها بالجسم على ارتباطه بالكون و إفاضته له ، فلو قطعت النظر عن الجسم لحظة لانعدم ، كذلك لو قطع الله الإفاضة عن الكون و لو للحظة لانعدم الكون .

ودل تحريكها للجسد بمجرد الإرادة على أنه : ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❖ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) . (((٢)

١_ البحار ج ٦١ / ص ٩٩-١٠٠ .

٢_ تزيكية النفس / السيد كاظم الحائري / ص ٥٢١-٥٢٢ ، بتصرف .

واستشهدوا بأيات كثيرة :

قال تعالى : ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))

وقال تعالى ((لو كان معه الهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سييلا سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً))

وقال تعالى : ((وما كان معه من اله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون)) .

وقال تعالى : { لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم }

و اعتمدوا على قول علي أمير المؤمنين عليه السلام :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر؟!

وقولهم مردود .

وتبياناً للرد :

نقول :

هذا الذي ذكروه ليس منحصرأ بنفس الإنسان بل حتى بالحيوانات الباقية، فعليه يصح أن نقول من عرف الحيوانات عرف ربه مثلاً ، فلماذا هذا الإنفراد والوحدة ؟

إذ يصح بذلك لهذا الشرح صيغة أخرى ، ربما كانت أولى لتكون جامعة: " من عرف النفس عرف الرب " .

هذا أولاً .

بل لنا أن نقول ثانياً :

هل يصح أن نقول إن النفس مكونة من شهوة وعقل -- إذا أخذناها بالمعنى العام ، كما هم فعلوا ، وإذا أخذناها بالخاص ففيها الشهوة مثلاً -- فالمدبر كذلك ؟

أو نقول : من أن الروح لو انقطع عن الجسد لبقى جسداً بلا حراك ، ولا نعبر بما عبر به السيد الحائري من أنه انعدم ، لأنه لا ينعدم بل يبقى ، فهل يصح أن نقول : لو قطع المدبر صلته بالكون لبقى جسداً من دون حراك ؟

وما معنى ذلك أصلاً ؟ لأن الكون سيفنى ولا يبقى .

فمن هنا وغيره علمنا أن كل ما ذكر لا يصح ، لأن المدبر لا يمكن قياسه وتشبيهه بالمدبر ، فاتبه للمزلق .

وإذا قلت : لكن كل الذي ذكره نراه صحيحاً وتاماً .

أقول لك : القضية بنفسها التي سميت بالنتيجة عندهم كانت صحيحة ، وليس التشبيه بنفسه صحيحاً .

ومع الأسف فات هذا حتى الكبار من القوم .

نعم لنا أن نأتي لهذا التشبيه من جهة أخرى يكون فيها صحيحاً :

نقول مثلاً : هذا الكون فيه مطالب متعددة ، فهل يصح أن يكون المتصرف واحد ، ويعلمها كلها في آن واحد كذلك ، نقول نعم ، ودليله الإنسان نفسه ، فهاهو الجسد له مطالب متكثرة في آن واحد ، والروح المتصرف به واحد .

أو نقول :

إن المدبر قريب من الكون كله على نفس البعد ، من الذرة إلى الجرم الكبير ، فيقولون : وكيف يكون كذلك ؟

نقول : مثاله الروح والجسد ، فالروح متساوية البعد عن جميع أجزاء الجسد ، صغير الأجزاء وكبيرها .

وهكذا الباقي ، فاتبه .

فحينئذ يصح التشبيه ، وهو ما ربما أشار إليه الإمام عليه السلام ، ولكن القوم قلبوا فانقلبوا بالمراد .

وقد ألحقوا بهذا القول قولهم : من أن الإنسان لا يجب أن يعترض عليه ، ولا يجب أن يمانع في شئٍ ولا.... فإله كذلك .
وهو كما ترى .

ب) : التفسير السليبي : من عرف نفسه بالعجز ، والإفتقار والإحتياج عرف الله بخلاف ذلك كله .

أو بمعنى جامع من عرف بأن نفسه مخلوقة ولها صفات ، عرف من أن الله تعالى يتصف بصفاتٍ خلاف ذلك ، إذ كل ما تتصف به النفس فلا بد أن يتصف المدبر بغيرها .

أي لا بد أن تكون صفاتها ليست بصفاته ، وإلا لانتقلب الخالق إلى مخلوق ، وهو تقيض الفرض فلا بد أن تكون صفاته مستقلة به .

ج) : و يمكن أن يكون له تفسير آخر : عبارة عن تعليق الأمر ، إذ لك أن تقول في تفسيره :

إنك لا تستطيع أن تعرف نفسك ، التي هي أنت ، وأنت هي ، فكيف تستطيع معرفة ربك ؟

ولكن هذا يستبعد بأحاديث وردت تطلب معرفة النفس .

نعم لو كان معنى النفس هنا الروح فقط لكان لذلك مجال ، حيث أن الروح أمرها خفي ، قال تعالى : ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)) ، فحيث ان الإنسان لا يستطيع أن يعرف مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى الذي هو نفسه ، فأنى له أن يعرف الخالق ؟

د) : وله معنى آخر ، يبتعد قليلاً عن هذا كله ، حيث قالوا :

بما أن الانسان لا يكون لائقاً لمعرفة ربه إلا بتقية النفس ، وتهذيبها ، و تركيتها إذاً كان من الحتم معرفة النفس أولاً .

للتخلية ، فالتجلية و التحلية .

فالعالم الأول العلم الذهني البسيط كما عبرنا عن ذلك قبل قليل ، ثم يأتي العلم الآخر أي العلم التفصيلي إذا صح التعبير .

وإلا لاصطدم هذا مع ما ورد عنهم عليهم السلام : من ذلك ما ورد في دعاء الصباح لأمر المؤمنين علي عليه السلام : ((يا من دل على ذاته بذاته .)) .

و هذا الامام الحسين عليه السلام يقول : ((أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟)) .

والإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعاء أبي حمزة الثمالي : ((بك عرفتك وأنت دللتني عليك ، ودعوتني اليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت .)) . فالمعرفة الذهنية ، ثم المعرفة القلبية بالإحساس والشعور بما ارتسم في ذهنه ، فيدرکه إدراكاً ، ويحس به إحساساً ، كأنه يراه .^(١)

وهذا هو العرفان الحقيقي .

١_ أنظر مثلاً في هذا الأخير : كتاب التقوى في القرآن للسيد كمال الحيدري .

الفصل الثالث

المراحل :

اللهم عرفني نفسك ،
فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ،
اللهم عرفني رسولك
فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ،
اللهم عرفني حجتك
فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .

مقدمة لا بد منها

ال خليفة أو المستخلف :

قال الإمام الصادق عليه السلام : ((الحجة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق)) .

وتصديق ذلك في كتابه العزيز حيث قال عز من قائل : ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)) ^(١)
فبدأ قبل أن يخلق الخلق بخلق الخليفة .

والحكمة باقية ، فلا بد من استمرار النبوة بما إنها تمثل الإستخلاف ، ولو جب ولو بعد حين من إرسال نبي أو رسول ، ولكننا نعلم علم اليقين من

أن محمداً خاتم النبيين ، فعليه نبى متحيرين :

هل فسدت الحكمة ؟

أم أن هناك خليفة حقيقياً يمثل الله في أرضه ؟

فمن هو ؟

هل هو القران ؟

وهاهو بيننا ولا زلنا مختلفين ، لأنه أصلاً حمال وجوه .

قال تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً))^(١)

فإذاً من هذه الآية المباركة نستفيد وجود قوم من الذين آمنوا سيستخلفهم الله في أرضه ، وهو وعد منه غير مكذوب .

ولا يمكن أن يكون المستخلف من الذين آمنوا نبياً لانقطاع النبوة وختامها بنبينا نبي الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ .

إذاً المستخلف أو الخليفة لله في أرضه يومها لن يكون نبياً .

فمن يكون ؟

((قد روى السدير الصيرفي انه قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالسا على التراب وعليه مسح - والمسح: الكساء من الشعر - خيري مطوق بلا جيب مقصر الكمين وهو ييكي بكاء الواله الشكلى ذات الكبد الحرى، قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغيير في عارضيه وأبلى الدموع محجريه وهو يقول: سيدي غيبتك نفت رقادي وضيق علي مهادي وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي

غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد، يفني الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا مثل بعيني عن غواير أعظمها وأفظعها وبواقى اشدها وأنكرها ونوائب مخلوطة بغضبك ونوازل معجونة بسخطك .

قال سدير : فاستطارت عقولنا ولهاً وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل، وظننا انه سمت لمكروهة قارعة، أو حلت به من الدهر بائقة، فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك، من أية حادثة تستنزف دمعتك وتستمطر عبرتك ؟ وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟

قال : فزفر الصادق عليه السلام زفرة انفتح منها جوفه ، واشتد عنها خوفه ، وقال : ويلكم نظرت في كتاب الجفر ، صبيحة هذا اليوم ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، الذي خص الله به محمداً عليه السلام والأئمة من بعده ، وتأملت منه مولد قائمنا وغيبته ، وابطاءه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدس ذكره : (وكل إنسان الزمناء طائره في عنقه)^(١) يعني الولاية - فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان .
(٢).

١_ سورة الإسراء : ١٣ .

٢_ كمال الدين: ص ٣٥٤ .

بعض صفات الحجّة عليّ عليه السلام التي علينا أن نعرفها وأن نؤمن بها

(١) : تجب معرفته .

(٢) : الإلتزام به .

(٣) : البرائة من عدوه .

إذ ورد فيما ورد : الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن عليّ الوشاء قال حدثنا محمد بن الفضيل عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام إنما يعبد الله من يعرف الله فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً قلت جعلت فداك فما معرفة الله قال تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ﷺ وموالاته عليّ عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليه السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم هكذا يعرف الله عز وجل . (١)

(٤) : هو من شهداء الله على خلقه .

عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير عن ابن أذينة ، عن بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله تبارك وتعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . قال : نحن الأمة الوسط ، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه ، وحججه في أرضه .

قلت قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم "

١_ أصول الكافي / الجزء الأول / الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله عليه / باب معرفة الإمام والرّد إليه .

قَالَ: إِيَّانَا عَنِّي، وَنَحْنُ الْمُجْتَبُونَ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ، فَالْحَرْجُ أَشَدُّ مِنَ الضَّيْقِ، مِلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ إِيَّانَا عَنِّي خَاصَّةً، وَسَمَاكُمُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ سَمَانَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي مَضَتْ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ، لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيَّ النَّاسِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغْنَا عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنَحْنُ الشُّهُدَاءُ عَلَى النَّاسِ، فَمَنْ صَدَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صِدْقَاهُ، وَمَنْ كَذَبَ كَذِبْنَاهُ. ((١)).

(٥): هو من الهداة:

تحت هذا الباب أورد الشيخ الكليني أربع روايات نحن ننقل إثنين منها:
 عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد وفضالة بن أيوب، عن موسى بن بكر عن الفضيل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل "ولكل قوم هاد"، فقال كل إمام هاد للقرن الذي هو فيهم.

علي بن إبراهيم عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير عن ابن أذينة، عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد".

فقال رسول الله ﷺ المنذر، ولكل زمان منا هاد، يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ﷺ، ثم الهداة من بعده، علي ثم الأوصياء واحد بعد واحد. (٢)

(٦): هو من ولاة الأمر.

(٧): ومن خزنة علم الله، وعيبة وحي الله.

١_ المصدر نفسه / باب في أن الأئمة شهداء الله على خلقه

٢_ المصدر نفسه / باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

أورد الشيخ الكليني ست روايات اخترنا الأولى منها :

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى
عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ،
يَقُولُ نَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللَّهِ ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ اللَّهِ . (١)

(٨) : خليفة الله عز وجل في أرضه .

(٩) : باب الله الذي منه يؤتى .

أورد ثلاث روايات ، اخترنا اثنتين منها :

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، عَنْ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ :
الْإِمَّةُ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ .

عنه عن مُعَلَّى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَمْهُورٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، الْأَوْصِيَاءُ هُمْ
أَبْوَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا ، وَلَوْلَاهُمْ مَا عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِهِمْ
اِحْتِجَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ٢٠ .

(١٠) : من الذين من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله .

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَدِينَةَ ،
عَنْ بُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " فَقَدْ آتَيْنَا آلَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا "

قَالَ جَعَلَ مِنْهُمْ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْإِمَّةَ ، فَكَيْفَ يَقْرُونَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ
عليه السلام ، وَيُنْكِرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام ؟

١_ المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الْإِمَّةَ عليه السلام وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ وَخَزَنَةُ عَلَيْهِ .

٢_ المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الْإِمَّةَ عليه السلام خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ وَأَبْوَابُهُ الَّتِي مِنْهَا يُؤْتَى .

قَالَ قُلْتُ " وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا "

قَالَ : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أُمَّةً ، مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللَّهَ ، فَهُوَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ .^(١)

(١) : هو من المصطفين .

(١٢) : هو عن ورث الكتاب .

(١٣) : وهو من السابقين بالخيرات .

وقد أورد الشيخ الكليني رحمه الله في هذه العناوين أربع روايات نذكر اثنتين منها :

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمُهورِ عَنِ حَمَادِ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَنْ سَالِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ "

قَالَ : السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ لِلْإِمَامِ ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ .

٣- الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..)) الْآيَةَ .. قَالَ فَقَالَ : وَوُلِدَ فَاطِمَةَ عليها السلام ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِالْإِمَامِ ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ .^(٢)

١_ المصدر نفسه / بَابُ أَنَّ الْإِمَامَةَ عليه السلام وَوَلَاةُ الْأَمْرِ ، وَهُمْ النَّاسُ الْمَخْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

٢_ المصدر نفسه / بَابُ فِي أَنْ مَنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَأَوْرَثَهُمْ كِتَابَهُ هُمْ الْإِمَامَةُ عليه السلام .

(١٤) : الزيارة الجامعة .

وفيها ما فيها ، من أراد أن يعرف بعض ما نُصِّ عليه من صفاتهم ،
وحقائق أنوارهم ، فعليه بهذه الزيارة العظيمة .
و فيما يلي فصل خاص عقدناه لها ، لرفع بعض الأوهام حولها .

بيان خاص:

الزيارة الجامعة : سندها ، و متنها :

نقول بدواً: الذي يريد أن يحيط به ، و بأبائه وأجداده صلوات الله عليهم جميعاً ، صفاتاً وتعريفاً ، فعليه بالزيارة الجامعة الكبيرة ، المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام .

وقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه " من لا يحضره الفقيه " ^(١) ، وفي كتابه الآخر " عيون أخبار الرضا عليه السلام " . ^(٢)

وقد رواها بإسناده الصحيح عنه شيخ الطائفة المحقة الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى ، في كتابه التهذيب . ^(٣)

وتبعاً لذلك روتها أغلب كتب الأدعية المعتمد عليها ، منذ ذلك الوقت و إلى الآن ، ^(٤) وأخيراً لا آخرأ كتاب " مفاتيح الجنان " للعلامة المقدس الشيخ عباس القمي ، وقد قال في آخرها: (وهذه الزيارة كما صرح العلامة المجلسي " رحمه الله " إنما هي أرقى الزيارات الجامعة سنداً و متنأ ، وهي أفصحها و أبلغها .

١ _ من لا يحضره الفقيه / ج ٢ / ص ٣٧٠ .

٢ _ عيون أخبار الرضا عليه السلام ، / ج ١ / ص ٣٠٥ .

٣ _ التهذيب / ج ٦ / ص ٩٥ .

٤ _ وهاك بعضها بالإضافة لمن ذكرنا في المتن : روضة المتقين لوالد العلامة المجلسي / ج ٥ / ص ٤٥٠ . بحار الأنوار للمولى المجلسي / ج ١٠٢ / ص ١٢٧ . تحفة الزائر لشيخنا المجلسي / ص ٣٦٣ . البلد الأمين للشيخ الكفعمي / ص ٢٩٧ . الوافي للفيض الكاشاني / ج ١٠ / ص ٤١٦ / ب ٨٥ / ح ١٧ . عمدة الزائر للسيد حيدر الكاظمي / ص ٣٧٠ . مستدرک الوسائل للمحدث النوري / ج ١٠ / ص ٤١٦ .

وقال والده في شرح الفقيه : إن هذه الزيارة أحسن الزيارات ، و أكملها (...).

ولكن بناءً على مبنى بعض علمائنا الرجالي هناك تأمل في صحة سندها — إنتبه ، في صحة سندها ، لا فيها — ، لأنه لم يثبت لديه وثيقة مشايخ الصدوق ، كما هو رأي أستاذنا السيد الخوئي رحمة الله تعالى عليه .

وما دام الكلام قد انجر إلى هذا فنقول :

أولاً : وقبل كل شئ بناءً على ذلك المبنى وصحته ، لا يعني ذلك التشكيك بها ، كما يحاول البعض أن يفعل ، أو يصرح بذلك لتضليل الناس ، وإبعادهم عنها .

فالتوقف بالسند غير ، و الجزم بعدم كونها صادرة عن مقام الإمامة شئ آخر .

ثانياً : لذا حتى البعض الذي توقف بسندها لم يتوقف عن قرائتها ، والإيمان بمضامينها ، فمضامينها مطابقة لكثير من معتقداتنا الموروثة عن العلماء الأعلام .

ثالثاً : قد وردت كثير من مضامينها في روايات آخر ، فلا ينفع التشكيك فيها ، التشكيك بمضامينها الحقّة ، فدونك بقية الزيارات وكثير من الروايات ، المشحون منها تراثنا الشيعي الصحيح .

رابعاً : و بعض المضامين التي فيها والتي لا تستوعبها بعض عقولنا المشحونة بالثقافات العامة الناتجة من دراسة الكتب المنحرفة قبل التأهل ، وقبل دراسة عقائدنا الحقّة ، أقول تلك المضامين يُمكن توجيهها حتى بناءً على ما تفقّهت به تلك العقول ، بأدنى تأمل ، والتفات .

و أخيراً نقول في هذه النقطة بالذات :

الذي يحتج بمبنى السيد الخوئي عليه الرحمة عليه ألا يقتصر على ذلك

فقط ، وعليه أن يتبع السيد الخوئي قُدس سره بعقائده العملية أيضاً ، وهي متمثلة بإرجوزته في مدح أمير المؤمنين وما جاء فيها ^(١)

التي نظمها في أواخر سني عمره الشريف ، فانظر إليها لتجد صدق ما قدّمناه أولاً حيث قلنا : لذا حتى البعض الذي توقف بسندها لم يتوقف عن قرائتها ، والإيمان بمضامينها ، فمضامينها مطابقة لكثير من معتقداتنا الموروثة عن العلماء الأعلام .

خامساً : لذا من الجهة العملية قد التزم بهذه الزيارة العظيمة جلّ علمائنا الأعلام .

و لم يأت هذا الإلتزام مراعاة لعوام الناس ، كما يحاول بعض المشككين أن يدعي أن كثيراً من المظاهر الإيمانية في مجتمعاتنا الشيعية قد جاءت تسويقاً من العلماء ، ومراعاة لعقائد وعواطف عوام الناس ، وكأن العلماء يمشون على أذواق الناس وميولهم ، ولو كان هذا صحيحاً - لا سامح الله - لدرس التشيع منذ زمن طويل ، فهل هم من حافظ عليه لحدّ كتابة هذه السطور ؟ قلت لم يكن ذلك منهم مراعاة ، لأن قرائتها والإلتزام بها أمر خاص

١- وهي أرجوزة لطيفة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، نظمها في أواخر سني عمره الشريف وهي تبين معتقده الحق ، بحدود المائة والخمسين بيتاً .

وفيها يتجلى عمق إيمان السيد الأستاذ ، وتعلقه بالعترة الطاهرة ، ومعرفته العميقة بمقامهم عليهم السلام . وكان لي الشرف مع أخي الخطيب العلامة الشيخ إبراهيم النصراوي حفظه الله تعالى بكتابتها أولاً بأول ، بل المشاركة الفعلية بمخدمته قدس الله تعالى نفسه الطاهرة لإنجازها ، ولذلك حديث خاص . وقد طلب من العلامة السيد محمد مهدي بن السيد حسن الموسوي الخرساني أن يستخرج مصادرها ، فقام أطال الله تعالى بقاءه بشرحها ، واستخراج مصادرها لإتمام الفائدة ، وقد قامت دار الهادي للنشر بطباعتها بثلاثة أجزاء ، بمقدمة كتبها المغفور له آية الله العظمى السيد علي البهشتي (قدس سره) ، من أرادها فليطلبها من المكتبات العامة والخاصة .

بهم ، لا يطلع عليه كل أحد .

سادساً : وعلى المثل العربي " رمتني بدائها وانسلت " .

أهؤلاء الأعلام من يعمل لأجل الغير وعلى ذوقه ، أم أنتم من حيث تدرّون ، أو لا تدرّون ؟

وما وجهة نظركم هذه إلا لأجل أن يرضى عنكم ذلك الغير ، ولثلاث يقولوا عنكم من أنكم من الغلاة ، وما هو بقول غال إذا ثبت ، وما هو بثابت إذا كان غال .

أو يقولوا عنكم من أنكم ضدّ الوحدة الإسلامية ، وما بوسائلكم تدرك الوحدة الإسلامية ، ولا بإبائاتها تنتهي الوحدة ، فلكل حدّ ومد .
وتأتي الوحدة بالتفاهم ، والتدارس والتعقل ، لا بتغيير العقائد ، وطمس الحقائق .

ولكل وجهة هو موليها ، والحساب عند الله تعالى .

ولذا كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، وسنتهم يعتقدون بتواتر حديث " ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة واحدة ناجية والباقي في النار " ، نصاً أو معنى ، لكنه ما ضرّ في صلاتهم ، وتكاتفهم ، واجتماعهم الديني ، فالدنيا شئ ، والكلام عن الآخرة شئ آخر .

فكثير من المسلمين يرتكب الموبقات ، ويقترف الجرائم وما أثار ذلك في أخوته لك ، فلماذا تؤثر أنت ؟

ثم لماذا نتنازل نحن عن عقائدنا ، أو متسامتنا لأجل الوحدة ، ولا يتنازل الآخرون حتى عن كلمة واحدة ، أو حرف واحد ؟
مثاله وإن أطنبت :

لماذا لا يتنازل هؤلاء عن " الصلاة خير من النوم " التي ما تُقال إلا بأذان صلاة الصبح فقط ، ولا نسأل عن أنه لماذا رفعت " حي على خير العمل " ،

قبلها ، لأجل مصلحة الحروب التي أقاموها في مطلع حكمهم ، فلذلك مقام آخر؟^(١)

مع علمهم من أنها - أي " الصلاة خير من النوم " - دخيل في الأذان .
وقد صرح بهذا : مالك في موطنه من أنه بلغه أن المؤذن جاء على عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح ، فوجده نائماً ، فقال : الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح^(٢) .

و ذكر ذلك أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال .^(٣)

((وأنت تعلم أن لا عين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله ﷺ من كيفية الأذان ، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأول من صحيح البخاري ، وباب صفة الأذان ، وهو في أول كتاب الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول .))^(٤)

وهي تتردد في أذان واحد فقط ، كما قلنا ، ويعلمون على مروياتهم من أنه أي الأذان ما هو إلا رؤيا قد شاهدها أحد الصحابة ، وهو عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري .

وقد ذكر هذه القضية كل من تعرض لهذا الصحابي من أهل التراجم ،

١_ مَنْ أحب أن يطلع على ذلك بالتفصيل ، ومع ذكر المصادر المختلفة لهم ، فعليه بكتاب "النص و الإجتهد" للعلامة السيد عبد الحسين شرف الدين / المورد " ٢٤ " تحت عنوان " إسقاط حي على خير العمل " من الأذان والإقامة / ص ٢٣٨ .

٢_ أنظر : الموطأ للإمام مالك / ج ١ / كتاب ٣ الصلاة / باب ١ ما جاء في النداء للصلاة / حديث ٨ / ص ٧٢ ؛ وفي طبعة بيروت ص ٥٨ / ح ١٥١ .

٣_ أنظر : كنز العمال / المتقي الهندي / ج ٨ / حديث ٢٣٢٤٣ و ٢٣٢٤٢ .

٤_ شرف الدين / الفصول المهمة / ص ١٨٩ .

ولذا ربما أطلقوا عليه صاحب الأذان .^(١)

وهو مما ياباه دين الله ، من أن يكون أعظم نداء في الإسلام ، لأعظم فريضة فيه ، قد شرع من رؤيا قد رآها صحابي ، ولكن القوم اعتقدوا بذلك ، وتسالموا عليه ، ورب شائع لا أصل له .

المهم إن القوم لم يتنازلوا ، ولن يتنازلوا عن فصل واحد ، باعتقادهم أنه قد أدخل في الأذان من صحابي جزماً ، بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

فهو فصل قد أدخل على رؤيا قد رآها صحابي ، فهو "بدعة" قد أدخلت على "رؤيا" ، ويؤتى بها في وقت واحد فقط في اليوم ، ولم ، ولن يتنازلوا عنها ، وأنت تنازلت عن "الشهادة الثالثة" ، في كل أذانك وإقامتك ، لأجل الوحدة على أحسن محمل ... ، يا مولانا "يا أبا موسى الأشعري"!!!!^(٢)

مالككم كيف تحكمون ؟

ثم على صحة ذلك ، وهو ليس بصحيح ، فهم يناغمون عوام الشيعة ، واما أنتم فحقيقة أمركم أنكم تحاولون مداراة أهل السنة والجماعة ، و مساومتهم على حساب مذهبكم ، فشتان بينهم وبينكم إن كنتم تفقهون .

سابعاً :

سل كل العلماء أنفسهم - وإذا كنت منهم فسهلاً ، وسلها - ما هي غايتهم ؟

أصحة السند بنفسه الغاية ، أم هو وسيلة لغاية ؟

١- أنظر كتب الفقه و السير والتراجم : مثلاً مالكا في موطاه ، والخلبي في سيرته الجزء الثاني ،

باب بدء الأذان .

٢- لا أقصد أحداً بعينه ، بل كل من فعل ذلك ، ويفعل .

فإذا كان وسيلة ، فحيثئذٍ لو وجدنا وسيلة تُضم لتلك فيها ، ونعمت .
ثامناً :

حتى على ذلك المبني ، يمكن أن نرضي صاحبه ليقول إنها غير صحيحة
السند بنظري وعلى مبني ، إلا أنها صادرة عنهم عليهم السلام ، وذلك :
لأن أساس تلك الدعوى عدم وثاقة مشيخة الصدوق ، أقول :
لو سلمنا تلك الدعوى ، والترضي لم يكن كافياً ، و المشيخة لم تكن
نافعة .

لكن لو أن رواية واحدة رواها أكثر من واحدٍ من المشايخ ، لا واحد
منهم ، فهل نشكك في الجميع ؟

مع أن المبني الذي سلكتاه ولم يشفع به لا المشيخة ولا الترحم ، ولا
الترضي لأجل أن الشيخ الصدوق قد روى عن الضبي ، فهل ضباب الضبي
قد غطى جميع المشايخ ، وإن اجتمع عدة منهم ، وضباه يطعن في صدور
القوم كلهم ، مع هذه القرائن القوية للصدور ؟

أي لو طبقنا نظرية الإحتمالات هنا فسوف يكون احتمال الصدور أقوى،
و أرسخ .

تاسعاً :

لنتظر في سندها ، ونحن أحرار من كلمات فلان وفلان ، نستعرضه
متوكلين على الله تعالى :

جاء في كتاب عيون أخبار الرضا : (١)

((حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه ،
ومحمد بن أحمد السناني ، وعلي بن عبد الوراق ، والحسين بن إبراهيم بن

أحمد بن هشام المكتب .

قالوا : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، وأبو الحسين الاسدي .

قالوا : حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي .

قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي .

قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : علّمني يا ابن رسول الله ، قولاً ، أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم فقال : الزيارة .

فالراوي هو :

الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي :

وهو غني عن التعريف .

روى في كتابيه المذكورين ، ١ ، ونحن نسطر ما رواه في كتابه " عيون أخبار

الرضا عليه السلام " عن الإمام الهادي عليه السلام ، أنه قال :

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رضي الله عنه) :

وهذا الشيخ من مشايخ الشيخ الصدوق الذين ترضى لهم ، وترحم

عليهم .

ألا يكون الترحم ، والترضي على شخص ، - وليس هذا الشخص عابر

سبيل ، بل هو شيخ للرواية - ، ولا يصدر هذا الترحم والترضي ، من

شخص نكرة ، لا علم له ، ولا دراية ، بل يترحم عليه مثل الشيخ الصدوق ،

ألا يكون ترحمه ، وترضيه عليه ، مدحاً له ، وتوثيقاً منه له ؟

وإلا لعدّ ترحمه عليه ، وترضيه تغريراً لمن يأتي بعده من المؤمنين ، إن

١ - " من لا يحضره الفقيه " / ج ٢ / ص ٣٧٠ . ، وفي كتابه الآخر : " عيون أخبار الرضا

عليه السلام " / ج ١ / ص ٣٠٥ ، كما ذكرنا ذلك قبل قليل .

كان يعتقد باعتماد الآتين على كلماته .

كما يحصل ذلك إن كنا ندعي أن لكلماتهم وزناً ، إلا إذا علمنا أنه يترحم على كل ميت ، حتى على مثل الشمر بن ذي الجوشن ، أو يترحم على كل ميت من مشايخه ، حتى لو كان الضبي أو شخصاً مثله ، حيثُ لا ينفع الترحم ، ولا الترضي .

لذا قال بعضهم : " كما هو معلوم أن الترحم والترضي يأتيان في مقام المدح ، بل هما عديلا التوثيق . " .

وكما ذكر هو في أول كتاب " المقتنع " : (إذ كان ما أُبينه فيه من الكتب الأصولية موجوداً مبيّناً عن المشايخ العلماء والفقهاء الثقات (رحمهم الله)) .^(١)

فانظر تر الترحم قد جاء بعد وسمهم بالثقات ، فانتبه .

ونكرر روايته عن الضبي في بعض الموارد لا تمنع كل الذي تقدم .

فضلاً عن أن الراوي لم يكن واحداً مفرداً ، بل تعدد .

إذ كما مر عليك قال الشيخ الصدوق حدثنا ...الدقاق ..

ومحمد بن أحمد السناني :

من مشايخ الصدوق الذين أكثر الحديث عنهم ، وترحم عليهم .

وعلي بن عبدالله الوراق :

من مشايخ الصدوق ، ومن روى عنهم مترحماً عليهم أيضاً .

والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّب :

هو الحسين بن إبراهيم المؤدّب المكتّب .. روى عنه الصدوق مترضياً عليه

كذلك .

فانظر لكل هؤلاء ، فكل واحد قد روى عنه ما حدثه به الراوي .
 وبنظرية الإحتمالات ، تتضاعف نسبة الصدق على عدد الرواة ، وهم
 أربعة ، فيزداد صحة السند أربع مرات ، عما لو كان الراوي واحداً فقط .
 فإلى هنا نقول من أنه على أقل تقدير إلى الآن الرواية عنهم صحيحة ،
 حتى وإن كانوا قد رووها مجتمعين ، فضلاً إذا كانوا متفرقين ، وقد حدثوه
 بها ، كل على حده .

حينئذٍ يُستبعد بنظرية الإحتمالات أنهم تواطؤ على الكذب ، واجتمعوا
 عليه ، في هذه الرواية بالخصوص ، على أقل تقدير .

من هنا قلنا من أنه حتى لو التزمنا بهذا المبنى ، فلربما قلنا بصحتها أيضاً .

قالوا : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، و أبو الحسين الأسدي

فمن هو المحدث الأول : محمد بن عبد الله الكوفي ؟ :

هو محمد بن عبد الله بن نجیح الكوفي المعروف بالشيخ ، ذكره العلامة في
 القسم الأول من رجاله المعد للمعتمدين في الخلاصة .^(١)

وفي محكي الوجيزة والبلغة أنه ممدوح ، وفي محكي منتهى المقال أنه من
 مصنفي الإمامية ، وذكره بهذه الصفة تكفيه حسناً .

والمحدث الثاني : أبو الحسين الأسدي : وهو محمد بن جعفر الأسدي
 الكوفي المحقق وثاقته ، وقد قال فيه النجاشي في رجاله :^(٢) أنه ثقة صحيح
 الحديث .

فانظر تجد أن ثقتين قد رويَا ذلك ، وهنا نكرر نفس القول كل واحد ممن
 تقدم قد رواها لا عن واحد بل عن اثنين من الثقات ، وهذا مما يرفع إذ

١_ الخلاصة / ص ١٥٦ / الرقم ١٠٨ .

٢_ ص ٢٦٤ .

يضاعف صحة احتمال ما روه ، فانتبه.

فيرتفع اللبس .

قالوا :

حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي :

وقد وثقه النجاشي في رجاله :^(١) حيث قال : كان ثقة مستقيماً ، له كتب منها كتاب التوحيد.

ووثقه السيد الخوئي لأنه قال في معجم رجاله :

" محمد بن إسماعيل البرمكي : الرازي : وهو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي الآتي .

وقال في محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير :

قال النجاشي : " محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشير البرمكي المعروف بصاحب الصومعة ، أبو عبد الله ، سكن قم ، وليس أصله منها ، ذكر ذلك أبو العباس بن نوح ، وكان ثقة ، مستقيماً ، له كتب ، منها كتاب التوحيد . " و بما إن كتاب الغضائري الوارد فيه قدح فيه ، لم يثبت عند السيد رحمه الله لذا أكمل ، وقال :

" ثم إنك قد عرفت غير مرة أن الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري لم يثبت صحة نسبه ، وعليه فتوثيق النجاشي لمحمد بن إسماعيل هذا ، بلا معارض . "

قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي :

والظاهر أنه تصحيف ، والصحيح هو " موسى بن عبد الله النخعي " ، بقرينة ذكره هكذا في الفقيه من نفس الصدوق (رحمه الله) ، ونقله عنه في

التهديب : (١)؛ على أن موسى بن عمران النخعي لم يذكر له حديث عن الإمام الهادي عليه السلام ، وإن كان هو أيضاً ثقة ، ورد في اسناد تفسير القمي (٢) ، إلا أنه ليس هو الراوي لهذه الزيارة الشريفة .

وموسى بن عبدالله النخعي ورد أيضاً في اسناد مشايخ علي بن إبراهيم ، في الكافي . (٣)

وقد صرح بتوثيقه المحقق المامقاني في تنقيح المقال حيث قال : (٤) وفي روايته الزيارة الجامعة دلالة على كونه إمامياً ، صحيح الاعتقاد ، بل في تلقين مولانا الإمام الهادي عليه السلام هذه الزيارة المتضمنة لبيان مراتب الأئمة شهادة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية ، وعلى الجملة فهو مقبول ، بل هو موثق بالتوثيق العام من علي بن إبراهيم ، الذي وثق عموماً سلسلة رواته بقوله في مقدمة تفسيره : (٥)

(ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم ، وأوجب ولايتهم ..) .

ولو فرضنا مجهوليته ، فنقل الثقات لهذه الزيارة – المليئة بهذه المضامين الملفتة للنظر – عنه دليل صارخ على أنه ثقة .

إذ ليس من معنى أن ينقل الثقة المثبت مثل هذه المضامين عن شخص ليس بثقة ، فحتى لو فرضنا مجهوليته فهو ثقة ، قد وثقه حال الرواية ، فدقق فيه فإنه حري للتدقيق .

١- ج ٦ ص ٩٥ .

٢- ج ١ ص ٣٨٨ .

٣- ج ١ / ص ٢٧ / ح ٣١ .

٤- المحقق المامقاني / تنقيح المقال / ج ٣ / ص ٢٥٧ .

٥- تفسير القمي / ج ١ ص ٤ .

و أتصور أن هذا هو مقصود الشيخ العلامة المامقاني في تنقيح مقاله ، حيث قال :

((وفي روايته الزيارة الجامعة دلالة على كونه إمامياً ، صحيح الاعتقاد ، بل في تلقين مولانا الإمام الهادي عليه السلام هذه الزيارة المتضمنة لبيان مراتب الأئمة ، شهادة على كون الرجل من الحسان ومقبول الرواية .))^(١)

قال : قلت : لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

عاشراً :

قال العلامة السيد عبد الله شير : (((إعلم) أن هذه الزيارة قد رواها جملة من أساطين الدين ، و حملة علوم الأئمة الطاهرين ، وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار إشتهار الشمس في رابعة النهار . و جواهر مبانيها ، وأنوار معانيها دلائل حق ، وشواهد صدق على صدورها عن صدور حملة العلوم الربانية ، وأرباب الاسرار الفرقانية ، المخلوقين من الأنوار الإلهية .

فهي كسائر كلامهم ، الذي يغني فصاحة مضمونه ، وبلاغة مشحونه عن ملاحظة سنده ، كنهج البلاغة ، و الصحيفة السجادية ، وأكثر الدعوات ، والمناجات ...))^(٢)

١_ المحقق المامقاني / تنقيح المقال / ج ٣ / ص ٢٥٧ . كما مر عليك الآن .

و انظر مثلاً : " في رحاب الزيارة الجامعة ، البيان الكامل لفضائل اهل البيت عليهم السلام ، و مناقبهم الرائعة في زيارتهم الجامعة / السيد علي الحسيني الصدر / ص ١٦-١٨ .

٢_ ص ٣١ / الأنوار الالامعة في شرح الزيارة الجامعة / السيد عبد الله شير / طبع بالأفست : مطبعة أمير / الناشر : مكتبة الرضى - قم المقدسة .

ولذا قال بعضهم : ((والسند تام ، بل إن هذه الزيارة لا تحتاج إلى ملاحظة السند ، لأن فصاحة مشحونها ، وبلاغة م

ضمونها تغني عن ذلك ، كنهج البلاغة العلوية ، والصحيفة المباركة السجّادية ، كما أفاده السيّد شبر (قدس سره) . (١)

ولقد صححها الكثير من علمائنا الأعلام ، كما مر عليك كلام بعضهم الآن .

ومن هنا وصفها العلماء بالقبول ، حيث قالوا " ... الزيارة الجامعة المتلقاة بالقبول لدى عامة الشيعة ، وخاصتهم ، من غير رادٍ لها ، ولا معارضٍ فيها . " (٢)

وقد وصفها أحد الكتاب المعاصرين بقوله في كتابه حول " الإمام علي الهادي " :

(هذه الزيارة من المرويات عن إمامنا عليّ الهادي عليه السلام ، وهي من الفصاحة والبلاغة على جانب عظيم ، يكاد لا يبلغ شأوه ، ومن الإحاطة والشمول بمكان قل نظيره ، لأن فيها من المعاني الكريمة ما يجعل الإنسان يتعجب من هذا البحر ، وذلك النحت من الصخر ، إذ يحار وهو يقرأها من القريحة الفياضة التي ابتدعتها ، ومن القلب الكبير الذي احتوى معانيها ، ومن الفكر الحصيف الذي أنشأها مجرد اقتراحها عليه ! .

بل إنه ليقف دهشاً أمام اللفظ الذي يزري بالجواهر ، والمعاني الأبركار التي يقف الفكر أمامها مبهوراً ، يسبح الله تعالى ويقدسه حين يرى ما وهب الله تبارك وتعالى أئمة أهل هذا البيت صلوات الله عليهم من سني العطاء ، وسخي الفضل ، وجزيل العلم والمعرفة .

١ - " في رحاب الزيارة الجامعة ، البيان الكامل لفضائل اهل البيت عليهم السلام ، ومناقبهم الرائعة في زيارتهم الجامعة / السيد علي الحسيني الصدر / ص ١٨ .

٢ - الشيخ محمد أمين زين الدين / بين السائل والفقير / ص ٨٧ / تحت عنوان صحة الزيارة الجامعة .

وهي - كما وصفها راويها - تحتوي (قولاً بليغاً كاملاً) ، يتجلى فيه التوحيد بأصدق معاني التوحيد ، والشهادة للرسول بأحق الشهادة ، وأرسخها إيماناً.))^(١)

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب " الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة " :
 ((إن السّفَر القِيمَ الموسوم بـ (الأنوار اللامعة) هو شرح للزيارة العالية المضامين - الجامعة الكبيرة - ذات السند الصحيح ، والمتن الذي يعجز عن إدراكه بتمامه أصحابُ العقول .

ثم إن هذه الزيارة موسوعةٌ كاملة في عالم معرفة الإمام المعصوم ، تعطي لكل من تدبر في فصولها وكلماتها ، معرفةً جديدةً حول الإمام ، فهي بحق كنز من كنوز أهل البيت (عليه السلام))) ٢.

وكتب العلامة السيد عبدالله شبر قبل ذلك في مقدمة كتابه المذكور : ((لا يخفى على أولي البصائر النقادة ، وأرباب الأذهان الوقادة ، وذوي العقول السليمة ، وأصحاب الأفهام المستقيمة ، أن الزيارة الجامعة الكبيرة هي أعظم الزيارات شأناً ، وأعلاها مكانةً ومكاناً ، وأن فصاحة ألفاظها وفقراتها ، وبلاغة مضامينها وعباراتها ، تُنادي بصدورها من عين صافيةٍ نبعت عن ينابيع الوحي والإلهام ، وتدعو إلى أنها خرجت من السنة نواميس الدين ومعامل الأنام ، فإنها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق الملك العلام .

وقد اشتملت (هذه الزيارة الشريفة) على الإشارة إلى جملة من الأدلة والبراهين المتعلقة بمعارف الدين ، وأسرار الأئمة الطاهرين ، ومظاهر صفات رب العالمين . وقد احتوت على : رياضٍ نضرة ، وحدائق خضرة ، مزينة

١_ كامل سليمان / الإمام علي الهادي / تحت عنوان رئيس " الزيارة الجامعة " .

٢_ " الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة " / السيد عبدالله شبر (ت ١٢٤٢ هـ / تحقيق فاضل الفراقي ، وعلاء الكاظمي / دار الانتصار - قم المقدسة / ط ٢ / ١٢٧٧ هـ / ٢٠٠٧ م .

بأزهار المعارف والحكمة ، مخفوفة بثمار أسرار أهل بيت العصمة .

وقد تضمنت شرطاً وافراً من :

حقوق أولي الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم .

و حقوق أهل البيت الذين حث الله على متابعتهم .

وذوي القربى الذين أمر الله بمودّتهم .

وأهل الذّكر الذين أمر الله بمسألتهم.....)) .

ويؤيد ذلك ، إن لم يدل عليه مواظبة كثير من علمائنا الأعلام عليها في

زياراتهم ، بل لعل بعضهم جعلها رداً يومياً لهم .

كالشيخ المجلسي لما رأى من آثارها العظيمة ، كما صرح هو في بحار

أنواره .

وكالشيخ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري ، حيث نقل من أنه كان

يزور أمير المؤمنين عليه السلام يوماً بها ، ولا يدخل لحضرته حتى يقرأها واقفاً .

ومنهم السيد الخميني ، الذي نقل عنه أنه كان يزور الإمام علياً عليه السلام ،

يقرأ زيارة أمين الله واقفاً ، ثم يجلس ويقرأ هذه الزيارة ، كل ليلة تقريباً ،

طوال الأربعة عشر عاماً التي قضاها في النجف الأشرف ، وإن كان أحد

الثقات نقل لي من أنه لم يكن يقرأ هذه الزيارة ، بل الزيارة الجامعة الثانية أو

الثالثة ، الواردتين في مفاتيح الجنان ، والتردد منه ، فحينئذ لا يكون هذا

شاهداً .

ونقل العلامة السيد عباس الكاشاني أن إحدى خصوصيات المرحوم

المحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي ، المشهور بالكمباني ^(١) صاحب

كتاب "نهاية الدراية" هو التزامه الدائم بذهابه لحرم أمير المؤمنين عليه السلام المطهر ،

وزيارته له بهذه الزيارة الجامعة عن ظهر قلب...^(١)

وما ورد فيها من معانٍ جليلة قد توهم للقارئ الساذج ، أو الذي يقرأها أول مرة من دون تدبر أنها ذات معانٍ تدل على الغلو ، والشرك ، فهو مدفوع من عدة جهات :

١ : التكبير الوارد في أولها مائة مرة تدفع ذلك التوهم ، ولعله لذا ورد فيها بهذه الكيفية ، وبهذا العدد .

٢ : ذكر الشهادة بالوحدانية والربوبية والألوهية في أولها ، لرفع شبه الشرك والضلال .

فقد جاء بعد السلام عليهم أولاً : ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه ، وشهدت له ملائكته ، وأولو العلم من خلقه ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب المرتضى ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ...)) .

٣ : وكما أنها مشحونة بالضمائر التي تعود إليه سبحانه ، فما يذكر لهم من مقام إلا وهو يعود لفضل من الله عليهم وعلينا لنكون من الشاكرين ، فلاحظ ، ثم احكم .

ومن جملتها لا على سبيل الإستقصاء : ((.. حتى يحيي الله تعالى دينه بكم ، ويردكم في أيامه ، ويظهركم لعدله ، ويمكنكم في أرضه ...)) .

٤ : هذه التعبيرات ليست ببعيدة حتى في كتاب الله تعالى ، لو استنطقناه و تدبرناه :

كيف ، وقد ورد فيها ما استشهدوا به عليه ، كجملة :

" وإياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم " ؟

حيث قالوا فيها :

إن الله تعالى يقول : " إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم " بينما الزيارة تفيد أن إياب الخلق يكون إلى محمد وآل محمد ﷺ ، والحساب يكون عليهم كذلك ﷺ !!؟

ولعل قولهم مأخوذ من قول بعض علماء العامة : ((وفي الآية رد على كثير من الشيعة ، حيث زعموا أن حساب الخلائق على الأمير ..)) . (٢)

والجواب أبين من الشمس ، ولكن

إذ أعجب ممن قرأ كتاب الله ، ويدعي من أنه أديب ، وقد قرأ دواوين العرب ، وتفحص كلامهم ، وتدبر فيه ، كيف فاتته المعاني عن هذه التراكيب ، وقد ورد مثلها حتى في كتابه الكريم !؟

ولا حاجة لذكر الأمثلة ، ولكن لبيان جهل المشكل ، وعدم فهمه للكلام العربي ، ولكتابه العظيم ، وكلام آل محمد صلى الله عليه وآله ، المستقى من علم الله ، وتعليمه بالخصوص إما لعناد ، أو مكابرة ، أو لسوء فهم :

فهاهو يقول عزمن قائل في كتابه العزيز :

" الله يتوفى الأنفس حين موتها " (٣)

فالله هو الذي يتوفاها ، وهذا من جملة معتقداتنا ، فهو المحيي المميت ، ولا أحد يميت ويحيي غيره ، سبحانه وتعالى .

فإذا قلتُ مثلاً من أن المَلِكُ الفلاني يميت ، هل يصح قلبي ؟

١_ سورة الغاشية آية ٢٥ - ٢٦ .

٢_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود الألوسي أبو الفضل / ج ٣٠ / ص ١١٨ / الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣_ الزمر آية ٤٢ .

بل إذا قلت من أن الملائكة الفلانيين هم يميّتون الناس ، هل هناك شرك في كلامي ؟

طبعاً هذا العلامة وغيره مَن لفَ لفهُ وسلك سبيله سيقول لا ، أو يفصّل ، بنفي القدرة عن الله أو إثباتها له وهؤلاء يفعلون بأوامره ، وسيختار الأول أو الثاني من الثاني ويقول لا ، أو يختار الآخر فيقول نعم .

ولكنه يعلم من أني موحد وعلى طريق الإسلام ، فحسن ظنه بمنّ ظاهره الإسلام سيجبره على القول بالأول ، فكيف بكلام المعصوم ، الذي هو إمام الهداية والتوحيد ؟

هذا لو لم يكن شاهد من كتاب الله على ذلك ، فكيف وهو يقول عزّ من قائل :

" إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم " (١)

ويقول تعالى : " ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة... " (٢)

ويقول الله سبحانه : " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين " (٣)

وأخرى يقول سبحانه وتعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون " (٤)

فالملك مرة ، والملائكة أخرى ، والله يتوفى الأنفس ثلاثة ، فكيف ؟

الملائكة ، أو الملك منهم يتوفى الناس بأمر من الله ، وتمكين منه ، فيكون الملك بنفسه يميت بأمر من الله تعالى ، والله المميت .

١_ النساء ٩٧ .

٢_ الأنفال الآية ٥٠ .

٣_ النحل الآية ٣٢ .

٤_ السجدة الآية ١١ .

وهذا يظهر جلياً في قول عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه السلام: "أبرئ الأكمه والأبرص وأحیی الموتی بإذن الله".^(١)
فلا يقول أحد من أن هذا شرك، لأن الله هو المحيي، لتصريجه بكونه بإذن الله.

وهكذا هنا إياب الخلق إليهم، وحسابهم عليهم.
بل لو أتعب نفسه قليلاً، وراجع ما يقوله العلماء بهذا الصدد لما قال قوله.

قال العلامة السيد عبد الله شبر رحمه الله تعالى في معرض بيانه لهذه الفقرة، من شرحه لهذه الزيارة الجامعة المباركة:
(و (إياب) بكسر الهمزة، أي رجوع (الخلق):

في الدنيا، لإمور دينهم ودنياهم، وأحكام شرائعهم، وإصلاح معادهم ومعاشهم..
أو في القيامة لأجل الحساب، والشفاعة، إليكم.

(وحسابهم عليكم) فقوله تعالى "إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم"^(٢)
أي إلى أوليائهم، كما يشعر به صيغة الجمع. ((^(٣)

وعلى ما يوجه قول من قال: ((وقد قيل إنه يأمر ملائكته بحاسبة الخلق بأمره، وقد قيل إنه يتولى حساب المؤمنين بنفسه، ويأمر الملائكة بحاسبة الكفار، وما دل عليه ظاهر ما ذكرناه من السنة الصحيحة، وأشرنا

١_ (آل عمران ٤٩).

٢_ سورة الغاشية آية ٢٥ - ٢٦.

٣_ ص ١٣٦.

إليه ، أصبح الأقاويل في ذلك ، والله أعلم .))^(١) مع الغض عما ثبت عنده من الظاهر من سنته الصحيحة ، فعلى ما يوجّه به ذاك القول الضعيف عنده من أنه يأمر ملائكته بحاسبة الخلق ، بأمره ، أو يأمر الملائكة بحاسبة الكفار ، يوجّه كلامنا . ولذا قال العلامة شبر ، متماً كلامه ، لأجل مثل هذه الإستباعات الواهية ، بعد القول بالتوحيد المطلق لله سبحانه : ((فقد وكل تعالى بالعذاب والحساب والكتاب جمعاً من الملائكة ، وهم^(٢) أفضل من الملائكة .

(عن جابر عن) أبي جعفر عليه السلام قال : يا جابر ، إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، ودعا امير المؤمنين عليه السلام ... إلى ان قال : ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ... الحديث .

وعن سماعة قال كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول ، والناس في الطواف ، في جوف الليل فقال : يا سماعة (إلينا) إياب هذا الخلق (وعلينا حسابهم) ... الحديث .

وعن (قيصه) عن أبي عبد الله في قوله تعالى (إن إلينا إيابهم) ثم إن علينا حسابهم) قال : فينا .

قلت انما اسألك عن التفسير ، قال : نعم ، يا قبيصة ، إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا إلينا))^(٣) .

١_ شعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى ، ١٤١٠ / تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول / ج ١ / ص ٢٤٥ .

٢_ أي محمد و آل محمد .

٣_ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

الفصل الرابع علامات الظهور

القسم الأول :

نقول بدأً ، والله أعلم متى سيكون الختام :

نحن المسلمين مأمورون بانتظار الفرج منذ اللحظة الأولى للغيبة .

عن علي بن محمد الصيمري ، عن علي بن مهزيار: قال: كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام : أسأله عن الفرج ؟

فكتب: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين ، فتوقعوا الفرج .^(١)

وهكذا امتثل المؤمنون ، وإن كانت إخبارات ساداتهم كانت واضحة بطول فترتها ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

والآن بعد هذه السنين العجاف ، المميتة ببرودتها حيث غابت عنا شمس الحقيقة ، إذ أنها حُجِبَتْ بما ووجهت به من أحقاد أموية ، وسيرة دموية ، ونفوسٍ بهيمية ، فهامت البشرية كلها في هذه الظلمات لمدة جاوزت في السنين المئات ، لتطل على الألف عام وتتجاوزه ، مع أن عيون المؤمنين مليئة بالدموع ، وقلوبهم معصورة بالآهات ، وصدورهم مشحونة بالزفرات ، من بعد هذا كله ، بدأ ما ربما يُشعرُ بكونه مفتاح فرج ، وإن كان هذا الأمل لم يغادر قلوب المخلصين من اللحظة الأولى لغيابه عليه السلام ، أقول بدأً في ظنون الرجال ، وظن اللبيب إن شاء الله عين اليقين ، أن الأيام والساعات قد اقتربت لموعده ظهوره المبارك .

١_ الإمامة والتبصرة من الحيرة / علي بن الحسين بن بابويه القمي ، والد الشيخ الصدوق (ره)

بل كتب بعضهم كتباً ، وأرخ الظهور بما لا مجال له للمناقشة .

فهل يا ترى نحن على أبواب الظهور ، أم أن بيننا وبينه أمداً بعيداً ؟
وأين يكمن الحق ؟

أولاً وقبل كل شيء نسأل الله تعالى أن يكون هذا الزمن هو زمن الظهور ،
ويعجل لولينا الفرج بحق محمد وآل محمد ﷺ ، فقد طال الصدى .
وإن كان في كل ما ذكر تأمل واضح .

وإن شاء الله تعالى ما ذكره بعضهم هو ليس من التوقيت بشئ ، ولكن
علامات ، وإشارات ، ودلالات .

وذلك :

إن أمر الظهور كالساعة قد أخفي وقتها ، كما يُعلم ذلك من روايات
عديدة .

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : (إنما مثله كمثل الساعة ، ثقلت في
السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة .) (١)

وهذا الأمر لعله كان كذلك لعل كثيرة .

يمكننا أن ندرك بعضها ، وإن خفي بعضها الآخر علينا .

ولذا لعنَ الوقتون .

والعلماء أدرى بهذا .

ثم إن كثيراً من العلامات قد تهيئت سابقاً ، ولم يظهر .

وذلك لأن الأيام تتشابه ، والأحداث تتداخل .

بل ربما حتى من أمثال المؤمنين من أمثال الشيخ الطوسي قدس الله نفسه

الزكية قد رجا ظهوره في زمنه ، وهاهو ما يزيد على الألف عام ولم يظهر .

ولو تفحصنا الحقائق لرأينا أن كل زمن قد توقع الناس - وحتى بعض العلماء - ظهوره فيه ، وما ظهر .

وهنا يكون سؤال آخر مهم :

إن تلك العلامات ذكرها أهل البيت عليهم السلام ، وما ذكروه لابد و أن يتحقق ، فلماذا لم يظهر بعد تحقق تلك العلامات ؟

أقول :

نعم ، ذكروها ، وتحقق ما تحقق منها .

و تأخر ظهوره ، ولا ننس من أن هذا التأخير بنفسه يدل على صدقهم ، لأنهم قد أخبروا بذلك كله .

ولكنهم لحكمة أشاروا لعلامات ، تمتد تلك العلامات على سنين طوال ، تبدأ من أول غيبته إلى ظهوره عجل الله له الفرج .

تقوية للقلوب وتثبيتاً للنفوس ، و توكيداً لوجوده المبارك ، و تصديقاً لهم .

و لولاحظت كلماتهم ، وما ورد عنهم لرأيت أنهم ذكروا علامات ، و أشاروا إلى أنها تحدث قبل الظهور ، ولكن ما هي المسافة الزمنية بينهما ؟

المسافة الزمنية أمرٌ مسكوت عنه .

ولم يُخبروا أن العلامة الفلانية إذا حدثت فإنه سيظهر ، بل هي من علامات الظهور .

ولكن هذا الظهور متى ؟

الله تعالى أعلم بوقته .

إلا أنهم أخبروا بتوقيت بعضها المتأخم لوقت الظهور ، ومنه سننبه

إخواننا على أمور ، عسى أن ينهنا الله تعالى لأقرب من هذا رشدا .

و يمكن أن يكون لمعرفة العلامات المتاخمة لظهوره بعض الأثر الفعال في معرفة الحجة ، وتشخيصه عند ظهوره عجل الله له الفرج ؛ بل هي أساساً قد جعلت للمؤمنين :

وهذه إحدى فوائد معرفة العلامات التي ذكرها أهل البيت عليهم السلام لغيبته وانتظاره و ظهوره .

فكانت تلك الإشارات من جملة آيات صدقهم .

والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : ((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) (١) .

فسنعرف تلك الآيات والدلائل ونقول الحمد لله رب العالمين .

فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام أنها للمؤمنين ، فعنه عليه السلام : " إن قدام المهدي علامات من الله عز وجل للمؤمنين .)) (٢) .

١_ النمل / ٩٣ .

٢_ كمال الدين / ص ٦٤٩ / ح ٣ .

القسم الثاني :

أبعاد علامات الظهور :

و علامات الظهور ما دام الكلام قد انجر إليها ، لها عدة أبعاد :

(١) : نشرف بذكر كلامهم سلام الله عليهم جميعاً :

عن حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " هذه فتن قد أظلت كجباه البقر ، يهلك فيها أكثر الناس ، إلا من كان يعرفها قبل ذلك .) . (١)

وعن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : (هما صيحتان ، صيحة في أول الليل ، وصيحة في آخر الليلة الثانية، قال : فقلت : كيف ذلك ؟ قال : واحدة من السماء ، وواحدة من إبليس . فقلت: كيف تُعرف هذه من هذه ؟

فقال : يعرفها من كان سمع بها من قبل أن تكون .) . (٢)

فمن هذا يتبين أن معرفة العلامات له أثره الفعال في المحافظة على توازن الشخص في زمن الفتن ، فهي أمان من الضلال .

وفي رواية سئل عن الندائين : (فمن يعرف الصادق من الكاذب ؟ .

فقال : يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون إنه يكون قبل أن يكون،

١_ كتاب الفتن / لابن حماد / ص ١٤ / طبع دار الفكر ، بيروت ؛ عقد الدرر / طبع القاهرة /

ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون . (١)

وفي رواية قالوا له : ((فما يدرينا أيهما الصادق من الكاذب ؟
فقال : يصدقه عليها من كان يؤمن بها قبل أن ينادي ، إن الله عز وجل ،
يقول :

{ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ } ٢٠٢ . (٣)

(٢) : تدل على صدقهم .

ومن جملة صدقهم التي تأتي مرتبة قبل العلامات هي علامة بجد ذاتها ،
فإنهم أخبروا من أن

غيبته ليست بقصيره ، بل تطول وتطول ، وهذا ما عاشه غيرنا ، وعشناه ،
والله أعلم إلى متى
ستكون ؟

فهذه من أول الأدلة القائمة المتينة ، التي تبين صدقهم .

ويمكن اعتبارها حجة لهم على الناس .

(٣) : نفس العلامات ، ذكرها يفيد وجوده المبارك وطلعته المترتبة ، فإن
بعضها الحادث ، يدل على بعضها الآخر ، فيكون الإنسان صادقاً بانتظاره ،
ومصدقاً على ذلك .

(٤) : وهذا التوزيع العجيب على مساحة التاريخ الواسعة من أسرارها
العجيبة ، إذ تحث الناس على الإنتظار ، فضلاً عن تذكيرهم به دائماً .

١_ الغيبة للنعماني / ص ٢٦٤ / ج ٢٨ .

٢_ الآية ٣٥ / سورة يونس .

٣_ روضة الكافي / ص ٢٠٩ / ح ٢٥٣ .

٥) : فيرتبطون به عند حدوثها أكثر فأكثر ، فيكون هذا مدعاة للخير لهم دائماً ، وجذباً حقيقياً لهم نحو الدين الخفيف .

٦) : و مهما قسى الزمان عليهم فلهم الأمل الكبير في تحقق النصر ، فهاهي طلائعه تظهر لهم وتبرق ، بتحقق ما ذكره الأئمة عليهم السلام ، وإن كانت غيبته لا زالت مستمرة .

٧) : فمن جهة يزدادون صبراً مع شدة المصائب .

٨) : ومن جهة يزدادون يقيناً وإيماناً .

ومضمون رواية الإمام الصادق عليه السلام: " إن قدام المهدي علامات من الله عز وجل للمؤمنين . " ^(١) تبين هذا .

٩) : و الإنتظار للشئ المهم ، ثم بعد ذلك تلوح طلائعه وتختفي ، ، ستكون المحافظة عليه أتم عندما يأتي ، إذ يشعر الناس ويتلمسون ما اقترفوه بحق هذه الصفوة التي كانت لسعادة البشرية همها ، بعد أن فرط الناس بأجداده وآبائه عليهم السلام ، فتكون علاقتهم به أقوى ، والمحافظة عليه أتم .

١٠) : ستكون لتلك العلامات الأثر الفعال في أيام الظهور إذ سيشتد بعضهم بعضاً للوصول إلى خدمته والكون بين يديه ، إقتداءً بالإمام الصادق عليه السلام إذ لعل في بعضها قد ورد انه عليه السلام يتمنى أن يكون معه لخدمته .

عن الصادق عليه السلام قال : (لو أدركته لخدمته أيام حياتي .) ^(٢)

وقال سدير الصيرفي : دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب ، وعليه مسح خيبري ، مطوق بلا جيب مقصر الكمين ، وهو يبكي بكاء الواله

١_ كمال الدين / ص ٦٤٩ / ح ٣ .

٢_ الغيبة / النعماني / ٢٤٥ .

الثكلى ، ذات الكبد الحري ، قد نال الحزن من وجنتيه ، وشاع التغيير في عارضيه ، وأبلى - ولعله وبلى - الدموع محجريه ، وهو يقول : (سيدي ، غيبتك نفت رقادي ، وضيق علي مهادي ، وابتزت مني راحة فؤادي ، سيدي ، غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد ، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد ، فما أحس بدمعة ترقى في عيني ، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا ما لقيني...)^(١).

(١١) : ولهذه العلامات الأثر الفعال في بيان كذب كل من يدعي أنه المهدي قبل ذلك ، لأن ظهوره لم يتم بحسب ما جاءت به الروايات عنهم .
فمثلاً لو ادعى أحدهم أنه الإمام فيكفي في بطلان دعواه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام ، حيث قال :

((خروج اليماني والسفياني والخراساني في سنة واحدة ، وفي شهر واحد ، وفي يوم واحد ، ونظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً .))^(٢) .

فكيف سينسق ظهوره مع هؤلاء المذكورين ؟

ولو ادعى أنه اليماني ، فالأيام تثبت كذبه ، لأنه لم يتحقق خروجه مع السفياني والخراساني .

وهكذا .

لذا فإن فتن هؤلاء وأولئك سوف لن تنطلي على من فهم تلك الدلائل ووعاها ، فعرف الحق والتصق به ، فيكون في أمان من هؤلاء الجهال اللعناء .

(١٢) : لبعضها الأثر الفعال في معرفة شخصه إذ تُعرّف الناس عليه عند ظهوره عجل الله تعالى له الفرج ، كما بدأنا الحديث بها .

١_ كمال الدين / ٣٥٢ / ح ٥٠ .

٢_ الغيبة للنعماني / ص ٢٥٣ / ح ١٣ .

روى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام : مَا عَلَامَةُ الْإِمَامِ الَّذِي بَعْدَ الْإِمَامِ ؟

فَقَالَ : طَهَارَةُ الْوِلَادَةِ ، وَحُسْنُ الْمَنْشَأِ ، وَلَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ .)) . ١ .

وروى ((مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : " نَحْنُ وِلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللَّهِ ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ اللَّهِ . " (٢) .

هم ممن علمهم الله تعالى ، فعليه كل من دخل معهداً ، وتلمذ على يد أحد حتى لو كان ذلك في صغره ، وكل من تعلم من أحد شيئاً لا يمكن أن يكون هو الإمام .

بل دعوانا بناءً على روايات صادقة من أنه لا أعلم منه موجود .

ولو ثقل ذلك على كثير من الناس ، فلا بد من أن يفهموا من أنه لا يحتاج إلى أحد في الترجمة مثلاً أبداً ، فإنه يعرف كل لغات أهل الأرض ، ولو ثقل هذا في أسماع بعض فإنه يعلم حتى لغة الطير .

فإذا لا يسأل عن شيء ويقول لا أدري .

وهكذا أراد الله له أن يكون حجة الله على خلقه .

فإذا من ظهر ، ومن يظهر ممن يدعي هذه المناصب لا حاجة لمعرفة ما عنده ، فكفى به أنه لا يجيد اللغة العربية ، فإنه يكفي ذلك وحده ليدل على إنه كذاب وضال مضل ، وكذا لو احتاج إلى ترجمة في تكلمه مع أي أحد .

فضلاً عن معروف النسب ومعلومه .

١_ الكافي / بابُ الامور التي تُوجبُ حُجَّةَ الامام عليه السلام / ر ٤ .

٢_ المصدر نفسه / بابُ أنَّ الائمة عليهم السلام ولاةُ أمرِ الله وخزنةُ علمِهِ .

القسم الثالث :

بقيةً لأبدٍ منها :

ولكن ما هي العلامات ؟

وكما يعلم المتتبع لرواياتها أن الأمور قد اختلطت في كثير منها وذلك :

لأن علماءنا الأعلام قد ركزوا على الفقه ، دون بقية موارد الروايات ليعرفوا الحلال من الحرام ، لأجل المحافظة على دين الله في الأرض ، وعدم ضياعه ، فكانت مدرستهم الفقهية هي ملجأ الوافدين لمعرفة أحكام الله التي شرعها للناس ، بعد أن فرط الناس في خلفائهم ، وأجأوهم للإبتعاد عنهم ، بل للغيبة .

وبطبيعة الحال إشتغالهم بالأهم فالأهم جعلهم يصرفون وقتهم فيه ، ولا يغيصون في أعماق هذه الروايات المتعلقة بالظهور ، فنقل بعضها على ما هو عليه .

وبعضها قد طمر خوفاً من ظلم السلاطين وبتشهم .

أو ضاع في غمرة السنين .

ثم هناك القصاصون الذين يعيشون عالم الخيال ، قد وضعوا ما وضعوا فيها .

ثم السلاطين و الحكام قد كذبوا على أنفسهم قبل الآخرين عند أمرهم وعاظهم أن يضعوا بعض ذلك فيهم .

ومحبوهم ربما قد شغفوا في ذلك .

وتحريف السنين ، من حيث التلف ، والنسيان ، والسهو ، والغلط ، والإشتباه ، فانتبه لهذا .

كل ذلك اشترك في اختلاط الأوراق بعضها ببعض ، من حيث الصدق والكذب ، والزيف والإفتراء ، والواقع والحقيقة ، فضاعت كثير من المعالم ، وتشوهت كثير من الحقائق في هذا الزخم الهائل من الأيام والأشهر والسنين .

وعالمنا عالم الإستكبار فيه قد ضاعت حقوق الضعفاء .

فاختلط الحابل بالنابل ، والغث بالسمين .

لذا جاءت بعض الروايات كالأحجية ، وبعضها قد اختلط ببعض الآخر ، وبعضها قد اقتطعت أوصاله ، وبعضها يشعرك بوضعها إسلوبها .

ولكن ما بين هذا الزخم الهائل ظهرت معالم تدلنا على ما يهم من الطريق ، وحاشاهم أن يتركونا نضيع ، وهم سفينة نجاتنا .

لذا أمرنا بالتدقيق في رواياتهم ، والإنتباه لما جاء فيها :

ورواية أبي عبيدة الخذاء ، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام ، تنبيك عن ذلك : حيث قال له صلوات الله ، وسلامه عليه : (والله ، إن أحب أصحابي إليّ : أروعهم ، وأفقههم ، وأكتمهم لحديثنا .

وإن أسوأهم عندي حالاً ، وأمقتهم ، لَلَّذِي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا ، ويروى عنا ، فلم يقبله ، اشمأز منه ، وجحده ، وكفر من دان به ، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج ، وإلينا أسند ، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا .) .^(١)

القسم الرابع :

وهاك بعضها ، وما قالوا فيها :

" رجل من قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم ، قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح و العواصف ، لا يملون من الحرب ، ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين . " (١)

وفي حديث عن الباقر عليه السلام :

" كآني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق ، فلا يعطونه ، ثم يطلبونه فلا يعطونه ، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا ، فلا يقبلونه حتى يقوموا... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء... أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر (٢) . " (٣)

عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يخرج قوم من قبل المشرق فيوطنون للمهدي سلطانه " . (٤)

وإن كان قد علق عليه مباشرة : ((رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه

١_ البحار / ج ٦ / ص ٢٩٦ .

٢_ أي المهدي عج .

٣_ البحار / ج ٥٢ / ص ٢٤٣ - ٣٤٣ .

٤_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ علي بن أبي بكر الهيثمي / ج ٧ / باب ما جاء في المهدي ، وهو

آخر ما جاء فيه / الحديث رقم ١٢٤١٤ .

عمرو بن جابر ، وهو كذاب .)) . (١)

قالوا أي تبدأ عملية التوطئة للظهور من المشرق ، من قبل بلاد إيران ، و فارس .

وعن الصادق : عليه السلام ((وإن البلايا مرفوعة عن قم وأهلها ، وسيأتي زمان تكون قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره .)) . (٢)

ويقول الإمام الصادق : عليه السلام ((ستخلو الكوفة من المؤمنين ، و يأزرَ عنها العلم ، كما تآزر الحية في جحرها .)) . (٣)

((ثم يظهر العلم ببلد يقال لها قم ، وتصير معدناً للعلم والفضل ، حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين ، حتى المخدرات ، (٤) وذلك عند قرب ظهور قائمنا عجل الله تعالى فرجه الشريف .)) . (٥)

عن أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى علامات الظهور : (بين يدي القائم موت أحمر ، وموت أبيض ، وجراد في حينه ، وجراد في غير حينه ، أحمر كالدم .

١_ المصدر نفسه .

٢_ البحار / ج ٦٠ / ص ٢١٣ .

٣_ سفينة البحار / ص ٣٦٥ .

٤_ ويمكن أن يكون ذلك إشارة لِمَا نشاهده اليوم من انتشار الثقافة الدينية عند الناس كافة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لوجود وسائل الإنتشار السريع للمطبوعات والمقروءات و المسموعات ، بواسطة الأنترنت والفضائيات ووسائل الإعلام الأخر ، فالكل يستطيع أن يصل لأي معلومة مهما دقت ، ولأجل ذلك أصبح المؤمنون أقوياء في دينهم .

٥_ المصدر نفسه .

فأما الموت الأحمر فبالسيف ، وأما الموت الأبيض فالطاعون .^(١) وعنه عليه السلام :
 " قتل فظيع وموت سريع وطاعون شنيع ^(٢) " .

وعن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قدام
 القائم موتان : موت أحمر ، وموت أبيض ، حتى يذهب من كل سبعة
 خمسة ، الموت الأحمر السيف ، والموت الأبيض الطاعون . ^(٣)
 وعن الإمام الباقر عليه السلام :

" لا يقوم القائم إلا على خوف شديد ، وطاعون قبل ذلك . "

والظاهر أن المقصود من الطاعون في مثلها الأوبئة .

و عن سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : - ((... أبشروا بالمهدي
 فإنه يأتي في آخر الزمان على شدة ، وزلازل ، يسع الله له الأرض عدلاً و
 قسطاً .)) ^(٤) .

وربما ما يحدث هذه الأيام من أحداث أرضية وسماوية ، علامات
 واضحة ، وإشارات لائحة تنبيك عن قرب الظهور ، ولكن كما قلنا الزمن
 طويل ، فالقرب قد يكون بسنين معدودة ، أو قد يكون بعد عشرات منها ، أو
 قد يتجاوزها بمقدار لا يعلمه إلا الله تعالى .

ف " تسونامي " آسيا الذي حدث أواخر سنة ٢٠٠٤م. الذي تسبب بموت

-
- ١_ النعماني / ٢٧٧ ، الإرشاد / ٣٥٩ ، وغيبة الطوسي / ٢٦٧ ، وإعلام السورى / ٤٢٧ ،
 والبحار / ج٥٢ / ص ٢١١ .
 ٢_ الهداية للحصني / ص ٣١ .
 ٣_ كمال الدين : ٢ / ٦٥٥ ، البحار : ٥٢ / ٢٠٧ .
 ٤_ دلائل الإمامة / ٢٤٩ .

أكثر من ربع مليون إنسان تقريباً لا زالت مأساته حاضرة في الأذهان . (١)

و أعاصير أمريكا لا زال لها وقعها الخاص ، منذ عام ٢٠٠٤ م حيث أصبحت " نيو أورليانز " لا جديد فيها إلا الخرائب .

و لا زالت أعاصير أمريكا يُضربُ بها المثل .

و زلازل سومطرة المتكررة ، بقوة درجاتها العالية ، وهكذا اليابان ، ذكرها يزلزل القلوب قبل الأقدام ؛ فكل زلزال قوي يتبعه زلزال آخر أقوى ، وهذا ما لم يُسجل في سجل الزلازل منذ أنشأ ، وهو ما صرح به علماء الأرضاد بأنفسهم .

ولو أخذنا فقط الشهرين الأولين لسنة (٢٠١٠ م .) التي نحن فيها لرأينا أنه قد حدث فيها أكثر من (٤٢) اثنين و أربعين زلزالاً في محيط العالم ، على ما أحصاه علماء الجيولوجيا ، من بينها زلازل مدمرة عدة ، ناهيك عن الكوارث الطبيعية من الفيضانات ، والثلوج العجيبة ، والهزات الأرضية التي تجاوزت الأعداد المعقولة لها ، فضلاً عن الحروب والأمراض ، و الأوبئة ، ولعلها هي البداية فقط ، فأين المعتبر !؟ (٢)

١_ وقد حدث من جراء زلزال ضرب المحيط الهادي قرب أندونيسيا فتسبب بقتل (٢٨٣ ألف

نسمة) .

٢_ وهاك جدولاً بزلزل عام ٢٠١٠ م. لشهرين متتاليين فقط ، حسب وكالات الأنباء المتنوعة ، لبيان الحقيقة التي نحن غافلون عنها أصلاً :

يوم ١ / ٠١ : أفاد مركز المسح الجيولوجي الأمريكي أن زلزالاً متوسطاً بلغت قوته ٥٫٩ درجات على مقياس ريختر ضرب اليوم مدينة مكسيكالي المكسيكية.

٢ / ٠١ : ضرب زلزال بقوة ٣٫٥ درجة على مقياس ريختر اليوم محافظة زنجان غرب العاصمة الإيرانية طهران.

٣ / ٠١ : سجل مركز رصد الزلازل الأمريكي اليوم زلزالاً بقوة ٦٫٢ د. غرب منطقة غوام

الامريكية في المحيط الهادىء .

.... زلزال مدمر ضرب المنطقة الجبلية الواقعة جنوب شرقي العاصمة الطاجيكيستانية دوشنبه ، و قد بلغت قوته ٥.٢ د. ونقلت وكالة أنباء رويترز اليوم عن عظيم شمس السدينوف نائب رئيس منطقة فانجي الواقعة على بعد ٣٩٠ كيلومترا جنوب شرقي دوشنبه قوله ان " الزلزال دمر ١٠٥٠ مبنى سكني في منطقتنا . "

٤ / ١ : ضرب زلزالان متوسطا القوة مناطق شرق اندونيسيا وغربها اليوم مما أثار الخوف بين سكان المناطق الساحلية .

وقالت هيئة رصد الزلزال والبحوث الجيوفيزيائية الاندونيسية إن الزلزال الأول ضرب جزر مالوكو/بشرق اندونيسيا/ وبلغت قوته ٥.٧ د. ، وكان مركز الزلزال يقع على عمق ٣٣ كم تحت سطح البحر ، ويبعد نحو ٧٧ كم عن أمبون ، بجزر مالوكو .

و أن الزلزال الثاني ضرب السواحل الشمالية من جزيرة سومطرة ، غرب اندونيسيا ، وبلغت قوته ٥.٥ د. . و كان مركز الزلزال يقع على عمق ١٤ كيلومترا تحت سطح البحر ، ويبعد نحو ١٧٧ كيلومترا عن مدينة تاناهاالا ، بجزيرة سومطرة .

..... : ضرب زلزال متوسط القوة مساء اليوم الشطر الشمالي من إقليم بلوشستان الباكستاني الجنوبي الغربي .

وأوضح مكتب الأرصاد الجوية والمسح الزلزالي في مدينة كويتا عاصمة الإقليم أن الزلزال بلغت قوته ٣.٢ درجة على مقياس ريختر ، وكان مركزه بالقرب من مدينة زيارت .

.... ذكرت هيئة المسح الجيولوجي الامريكية اليوم إن زلزالا قوته ٦.٥ د. وقع قرب جزر سولومون جنوب المحيط الهادي .

الساعة ٢١٤٨ دق. ، وكان مركزه على بعد ٨٨ كم ج ش جيزو ، بجزر سولومون ، على عمق (١٠) كم .

٥ / ٠١ : يوم الاثنين : أعلن المركز الجيوفيزيائي الأميركي أنه قد وقع زلزال عنيف بلغت قوته ٧,٢ د. صباح اليوم قبالة سواحل جزر سليمان ، في جنوب غرب المحيط الهادئ ، عند الساعة ٠٩,٣٦ صباحاً في البحر على عمق ٣٠ كم. وعلى مسافة نحو ١٠٠ كم. من مدينة

جيزرو.

..... وسقت الزلزال قبل ساعة من وقوعه تقريبا هزة أرضية وقعت عند الساعة ٤٨، ٠٨ بالتوقيت المحلي على بعد ١٤٣ كم.

جنوب شرق جيزرو ثاني كبرى مدن الأربيل .

١٠ / ٠١ : غمرت الفيضانات أجزاء من وسط أستراليا مع كونها معروفة بالجفاف ، مما أدى إلى عزل فنادق المنتجعات وغلق الطرق ، وهطلت المزيد من الأمطار على البلدة السياحية الأسبوع الماضي أكثر من العام الماضي كله .

وألغى المئات من السياح الأجانب برنامجهم عقب إلغاء خدمات قطار غان الشهير الفاخر. و قد توقف القطار بسبب جرف الفيضانات لجزء من قضبان السكة الحديدية ، قرب أليس سبرنجز .

١٣ / ٠١ : ضرب زلزال كبير بقوة ٧.٣ درجات في وقت متأخر من مساء أمس الثلاثاء دولة هاييتي متسببا في دمار كبير .

ونقل عن سفير هاييتي في الولايات المتحدة قوله إن بلاده تعرضت لكارثة كبيرة جراء الزلزال الذي كان مركزه في البر على بعد ١٦ كلم جنوب العاصمة بورت أوبرانس ، على عمق ١٠ كلم فحسب.

وقال الصليب الأحمر في هاييتي : إن العدد الإجمالي لقتلى الزلزال الذي وقع يوم الثلاثاء قد يتراوح بين ٤٥ ألفا و ٥٠ ألف قتيل بالإضافة إلى ثلاثة ملايين شخص بين مصاب ومشرد .

وقال وزير الداخلية الهايتي انطوني باين -إيمي: جمعنا بالفعل نحو ٥٠ الف جثة ونتوقع ان يكون هناك في المجمل ما بين ١٠٠ الف و ٢٠٠ الف قتيل على الرغم من اننا لن نعرف قط العدد على وجه الدقة .

١٤ / ٠١ : غمرت الفيضانات مناطق شاسعة من دول غرب البلقان ، بسبب هطول الأمطار وذوبان الجليد بسرعة غير متوقعة ، لاسيما بعد فيضان عدة أنهار ، وقد حصلت انزلاقات طينية جراء ذلك، و تمّ إجلاء الآلاف إلى مناطق أكثر أمنا .

١٥ / ٠١ : قالت مصادر في اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العاصمة الكينية نيروبي إن الفيضانات التي ضربت منطقة ماليندي الساحلية خلفت ٣٨ قتيلًا وأكثر من ٤٠ ألف مشرد .

وكان منسوب الأمطار منخفضا في أجزاء كثيرة من كينيا لكن الأمطار الغزيرة التي هطلت على المناطق الساحلية منذ الشهر الماضي تسببت في فيضانات مفاجئة وخلقت حالة من الفوضى والدعر في صفوف السكان.

وعزا خبراء الأرصاد الجوية هذه الفيضانات إلى ظاهرة "النينو" الناجمة عن ارتفاع درجة حرارة الجزء الشرقي من المحيط الهادئ بطريقة استثنائية وعلى نحو يؤثر في أحوال المناخ العالمية ويتسبب في هطول الأمطار الغزيرة.

وتحتاج هذه الظاهرة المناخية المناطق الشرقية من القارة الأفريقية، وتركت نتائج كارثية على كينيا التي كانت وحتى فترة قريبة تعاني من ظاهرة الجفاف .

١٦ / ٠١ : ضرب زلزال بقوة ٥.٦ درجات على مقياس ريختر بلدة كاروبانو الفنزويلية الكاريبية الساحلية بعد ثلاثة أيام من الزلزال القوي الذي ضرب هايتي. وقالت هيئة المسح الجيولوجي الأميركية إن الزلزال وقع على عمق ١٢ كلم وعلى مسافة ٣٩ كلم جنوب غربي كاروبانو .

١٩ / ٠١ : ضرب زلزال بلغت قوته ٥.٢ درجة على مقياس ريختر مساء اليوم غرب اليونان .

وقال معهد قياس الزلازل في أثينا إن مركز الزلزال كان على بعد عشرة كيلومترات تحت سطح الأرض وفي منطقة تقع شمال شرق مدينة ناباكتوس بحوالي تسعة عشر كيلومترا. ضرب زلزال قوي الليلة جواتيمالا ومناطق من السلفادور ، و هاتان الدولتان تقعان في أمريكا الوسطى.

وقالت مصلحة الرصد الجيولوجي الأمريكية إن الزلزال بلغت قوته المبدئية ٦ درجات على مقياس ريختر وأن مركزه كان على بعد نحو مائة كيلومتر جنوب غرب مدينة جواتيمالا سيتي . ٢١ / ٠١ : جدد الدعر في هايتي أمس بعد أن ضربها زلزال جديد بلغت قوته ٦ درجات بعد ثمانية أيام من الزلزال المدمر الذي خلف كارثة إنسانية فيها .

٢٤ / ٠١ : قال مركز المسح الجيولوجي الأمريكي ومقره ولاية فرجينيا إن بوليفيا تعرضت لزلزالين خلال ساعة واحدة ، بلغت قوة أحدهما ٥.٣ درجة ، والآخر ٥.٢ درجة .

كما شهدت المنطقة الحدودية لكوستاريكا وبما زلزالين متزامنين مع زلزالي بوليفيا ، بقوة ٥.٢ درجة و ٤.٧ درجة. ولم ترد تقارير بوقوع خسائر أو أضرار .

٣٠ / ٠١ : جاكركتا في ٢٩ يناير : قال الناطق باسم هيئة الرصد الزلزالي والبحوث الجيوفيزيقية الاندونيسية اديسون بيرينج اليوم ان الزلزال الذي استمر لمدة دقيقة كاملة تسبب في هروب الاف الاشخاص من منازلهم خشية حدوث كارثة موجات المد العاتية ، و أضاف الناطق في تصريحات صحفية ان مركز الزلزال يقع على عمق ١٠ كيلومترات تحت سطح البحر وبعده حوالي ٢٣ كيلومترا عن شمال غرب مدينة تاكينجون / باقليم اتشيه. /

٣٠ / ٠١ : ضرب زلزال بقوة ٣ر٥ درجة بمقياس ريختر ولاية غليزان الواقعة غرب الجزائر. وذكر بيان صادر اليوم عن مركز البحث في علم الفلك والفيزياء الفلكية والجيوفيزياء أن الزلزال وقع مساء أمس وقد حدد موقع الهزة على بعد ١٨ كلم شمال شرق ولاية غليزان. وكان المركز قد أعلن أن الجزائر سجلت خلال الفترة من ٢٦ أكتوبر الماضي إلى يوم ١٧ يناير الحالي (١١) هزة أرضية شملت العديد من الولايات الداخلية والساحلية قاربت شدتها في بعض الأحيان خمس درجات من مقياس ريختر .

.... ضربت أمس الجمعة هزة بقوة ٦ درجات على مقياس ريختر جزر فانواتو التي تقع جنوب المحيط الهادي . وأفاد مركز الرصد الجيولوجي الأميركي على موقعه على الإنترنت ان الهزة سجلت على عمق ٨٥ كيلومتراً ، وعلى بعد ٦٥ كيلومتراً جنوب شرق بلدة إيسانغيل و١٩٥ كيلومتراً جنوب شرق العاصمة بورت فيلا، و١٩٣٥ كيلومتراً شمال شرق مدينة بريسباين بمقاطعة كوينزلاند الأسترالية.

٣١ / ٠١ : أعلن المعهد الاميركي للجيوفيزياء أن زلزالا قوته ٥,٦ درجات ضرب صباح اليوم شمال تشيلي .

وحدد مركز الزلزال الذي وقع عند الساعة (٥,٥٠ توقيت جرينتش) في الجبال على بعد حوالي ٩٦ كيلومترا جنوب غرب مدينة كوبيايو

..... ضرب زلزال بقوة ٣ر٨ درجة على مقياس ريختر فجر اليوم أجزاء من محافظة

كرمان جنوب غرب ايران.

وحددت مؤسسة رصد الزلازل الايرانية مركز الزلزال في ضواحي بلدة بلوك جنوب مدينة كرمان مركز المحافظة .

..... أعلن المعهد الأميركي للجيوفيزياء أن هزة أرضية بلغت قوتها ٥,٢ درجات ضربت إقليم سيشوان الصيني اليوم .

وتم تحديد مركز الهزة على عمق ١٨ كلم من بعد ٣٦ كلم جنوب شرق مدينة سوينينغ في سيشوان الذي يقع جنوب الصين.

١ / ٠٢ : ضرب زلزال بلغت قوته ٣.٥ درجات على مقياس ريختر أمس ضواحي مدينة (قم المقدسة) الأيرانية الواقعة على بعد ١٢٠ كم. جنوب طهران وذكرت وكالة الأنباء الايرانية ان الزلزال وقع في الساعة الرابعة و ٥٥ دقيقة من فجر أمس .

..... كما ضرب زلزال بقوة ٤.٢ درجة على مقياس ريختر ضواحي منطقة (وهبنان) الواقعة بين حدود محافظتي كرمان ويزد شرق إيران .

٢ / ٠٢ : تعرضت العاصمة الجزائرية فجر اليوم الى زلزال بقوة ٣ر٣ درجات على مقياس ريختر.

وحددت مصادر الرصد الجزائرية مركز الزلزال على بعد كيلومترين اثنين جنوب شرق منطقة الشرافة التابعة لولاية الجزائر .

..... ضرب زلزال بلغت قوته ٤ر٨ درجات على مقياس ريختر اليوم مدينة سان دييغو الاميركية /جنوب غرب/ ومدينة تيخوانا على الجهة المقابلة في المكسيك . وحدد المعهد الاميركي للجيوفيزياء مركز الزلزال في شمال غرب ولاية كاليفورنيا السفلى المكسيكية على بعد ٣١ كلم من تيخوانا وعمق ٦ر٩ كلم.

١٣ / ٠٢ : ضرب زلزال متوسط شرق كوبا صباح اليوم . وقالت هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية إن قوة الزلزال بلغت ٥ر٤ على مقياس ريختر وكان مركزه على بعد ٥٥ كم. ج. ش. (باراكوا) بالقرب من حافة أقصى شرق الجزيرة الكاريبية.

..... ضرب زلزال جزيرة (بالي) باندونيسيا أمس . وذكرت وكالة الأرصاد الاندونيسية أن الزلزال بلغت قوته ٦.٦ درجات على مقياس ريختر.. وان كان مركز المسح الجيولوجي بالولايات

المتحدة قدرها بمجالي ٥.٧ درجات. وأوضحت الوكالة الاندونيسية أن الزلزال وقع صباح أمس وتمركز على عمق ١٠ كيلومترات تحت قاع البحر وعلى بعد ٢١٠ كم جنوب شرق مدينة (نوسادوا) في جزيرة بالي.. وشعرت بالهزة أيضا مدن (دنباسار) و(باندونج) بالجزيرة ومناطق أخرى في شرق جاوة.

..... أعلن المعهد الوطني للجيوفيزياء التابع للمركز الوطني للبحث العلمي والتقني أن زلزالا ضرب إقليم شفشاون في جماعة بريكشة بقوة (٣.٧) درجات على سلم ريختر المفتوح تم تسجيلها الساعة الخامسة وثلاث دقائق من صباح اليوم السبت .

..... وكان المعهد قد أعلن عن زلزال خفيف بقوة ٤٫٣ درجات على سلم ريختر المفتوح ، تم تسجيلها في الساعة السابعة و ١١ دقيقة من مساء يوم أمس بالجماعة ذاتها.

٢١ / ٠٢ : ضرب زلزال بقوة ٤.٣ درجات على مقياس ريختر ظهر اليوم مدينة "لنده" الواقعة في محافظة "كهكيلوية وبويرأحمد" بين محافظتي "كهكيلوية وبويرأحمد" و"خوزستان" في جنوب غرب إيران.

وأفادت وكالة الانباء الايرانية الرسمية أن مؤسسة رصد الزلازل الايرانية حددت مركز الزلزال حول مدينة لنده الواقعة على الحدود.

..... وكان زلزال بقوة ٣.٧ درجات على مقياس ريختر ضرب المنطقة نفسها كذلك قبل ظهر اليوم.

..... سجلت محطات الرصد الزلزالية (٤٢٦) هزة أرضية خلال شهر يناير/ كانون الثاني الماضي موزعة على مدينة دمار وخليج عدن وعدة مناطق متفرقة في اليمن.

وأفاد نائب رئيس مركز رصد ودراسة الزلازل والبراكين في اليمن صالح الفلححي امس "أن هذه الهزات تفرغت على هيئة حشود ذات مقادير زلزالية ضعيفة."

٢٣ / ٠٢ : أعلنت السلطات في تايوان أن زلزالا بقوة ست درجات على مقياس ريختر هز اليوم شمالي البلاد. وقع عند الساعة ١.٢١ ظهرا بتوقيت تايوان (٠٥.٢١ صباحا بتوقيت غرينتش) . وذكر المكتب المركزي للطقس أن مركز الزلزال حدد على بعد حوالي ١٦٠ كلم شرق سواو على الساحل الشمال الشرقي وعلى عمق ٢٨ كلم.

..... قالت هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية إن زلزالا متوسط القوة بلغت شدته ٤.٧ درجات هز هايتي امس الإثنين الساعة صباحا (٠٩٣٦ بتوقيت جرينتش) على بعد ٣٥ كيلومترا

ومرض السارس ، وإفلاونزا الخنازير ، ناهيك عن أمراض العراق

إلى الغرب من بورت او برنس على عمق (١٠) كم .

٢٧ / ٠٢ : قالت هيئة المساحة الجيولوجية الأميركية إن زلزالا قوته ٥.٩ درجات وقع قبالة الساحل الغربي لنيكاراغوا مساء الأربعاء ، على الحدود مع كوستاريكا ، وكان مركز الزلزال على بعد ستين كيلومترا إلى الجنوب الغربي من بلدة ريفاس في المحيط ، وعلى عمق ٤٣ كيلومترا .
..... ضرب زلزال عنيف بلغت قوته ٦.٩ درجات بمقياس ريختر جزيرة أوكيناوا اليابانية .

وذكرت وكالة الأرصاد الجوية اليابانية أن تحذيرا صدر من موجات مد يصل ارتفاعها إلى مترين في بعض المناطق بعد الزلزال الذي وقع قبل فجر اليوم السبت على عمق عشرة كيلومترات وعلى مسافة ٨١ كيلومترا شرق جزيرة أوكيناوا بسواحل اليابان الجنوبية على المحيط الهادي .
..... وضرب زلزال عنيف بقوة ٨.٨ درجات على مقياس ريختر فجر اليوم منطقة كونسيبيون (٣١٧) كيلومترا جنوب غرب العاصمة التشيلية (سانتياغو) ، ثاني أكبر مدن البلاد ، وقال مركز المسح الزلزالي الأمريكي إن مركز الزلزال يقع على بعد تسعين كيلومترا جنوب شرق مدينة كونسيبيون .

وتبعته هزتان ارتداديتان واحدة بقوة ٦.٩ على بعد ٢١٠ كلم غرب مركز الزلزال ، والأخرى بقوة ٥.٥ قبالة ساحل فاباريسو (٨٤) كيلومترا غرب سانتياغو . وامتدت تأثيرات الزلزال إلى سانتياغو حيث أصيب عدد من المباني التاريخية في وسطها بأضرار بالغة ، وهرع سكانها مذعورين إلى الشوارع . و أعلن مركز رصد التسونامي في المحيط الهادي إن موجات تسونامي يبلغ ارتفاعها ٢.٣٤ مترا ، ضربت سواحل ١١ مدينة ، وبلدة ساحلية في تشيلي .

٢٨ / ٢ : في اليابان ضرب زلزال قوته ٦.٩ درجات على مقياس ريختر مقاطعة (أوكيناوا) اليابانية والمناطق المجاورة لها . وذكرت وكالة الأرصاد الجوية أن مركز الزلزال الذي وقع في حوالي الخامسة والنصف صباحا كان على عمق (١٠ كم) تحت قاع البحر وعلى بعد ٥٠ كيلومترا من مدينة (ناها) عاصمة المقاطعة .

١ / ٠٣ : ضرب زلزال معتدل القوة باكستان وأفغانستان ، و وفق وكالة أسوشيتد برس إن هيئة المسح الجيولوجي الأميركية قالت إن قوة الزلزال بلغت ٥.٧ درجات وإن مركزه كان جبل هيندوكوش الذي يقع على بعد ١١٠ كلم شمالي كابل. وشعر به سكان شمال غرب باكستان والعاصمة الأفغانية كابل .

فهذه إحصائية شهرين ، و أكثر من أربعين زلزالاً ، قد وقعت في الأرض التي نعيش فيها .

السرطانية التي تولدت من هذه الحروب الفتاكة .

ومما جاء في كتب القوم واستشهدوا به :

روى صاحب مجمع الزوائد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق ، وما حوله ، على أبواب بيت المقدس ، وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين إلى يوم القيامة ."

رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه الوليد بن عباد ، وهو مجهول ^(١) .

وقد أورد في موضع آخر ذلك بعينه ، عن أبي هريرة كذلك ، ولكنه ذكر بعده : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات ^(٢) .

لو تأملنا لرأينا أن هناك عدة أسماء ، ركزت عليها الروايات :

الخراساني ، واليماني ، والسفياني .

ومنها شعيب بن صالح ، والرايات السود .

وما دام الحديث قد وصل إلى هنا ، فلو تأملنا في ما ورد في شخصيات زمن الظهور ، عسى أن نستبين منه شيئاً .

١- علي بن أبي بكر الهيثمي / مجمع الزوائد / ج ٧ / باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق / الحديث ٣٥٢٢١ .

٢- المصدر نفسه / ج ١٠ / باب ما جاء في فضل الشام / رقم الحديث ٢٦٦٦١ .

القسم الخامس :

لتتعرف على بعض تلك الشخصيات المتاخمة للظهور :

فمن هو الخراساني :

ورد في الروايات عند الطرفين أن مواصفات الخراساني كالتالي:

(١) : سيد هاشمي حسيني.

(٢) : من خراسان.

(٣) : صبيح الوجه.

(٤) : في خده الأيمن خال.

(٥) : في يده اليمنى خال ، وقالوا لعله تصحيف خلل .

(٦) : إنه قائد القوم .

شعيب بن صالح :

ومن رواية : محمد بن الحنفية الوارد فيها : " ثم تخرج من خراسان رايات سود ، فلانسهم سود وثيابهم بيض ، على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح ، من تميم ، يهزمون أصحاب السفيناني ، حتى تنزل بيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه . "

استدلوا على أن قيادة جيش الخراساني سيكون بيد المسمى بشعيب بن صالح .

فمن هو شعيب بن صالح يا ترى ؟

هو نفسه الوارد اسمه في رواية عن عمار بن ياسر جاء فيها :

" المهدي على لوائه شعيب بن صالح ^(١) .

وفي رواية أخرى : إن على مقدمة جيش المهدي رجلاً من تميم ضعيف

اللحية ، يقال له شعيب بن صالح ^(٢) .

وفي مختصر البصائر ^(٣) : من جملة خطبة لسيد البلغاء :

((....ولذلك آيات وعلامات أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق ،

وتحريق الزوايا في سكك الكوفة ، وتعطيل المساجد أربعين ليلة ،.....)) .

وجاء عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " بينا الناس وقوف

بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبية يخبرهم بموت خليفة ، يكون عند

موته فرج آل محمد عليهم السلام ، وفرج الناس جميعاً ^(٤) . "

وورد في رواية خطبة البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام : " ألا يا ويل بغداد

من الري ، من موت و قتل و خوف يشمل أهل العراق ، إذا حل بهم السيف

فيقتل ما شاء الله ، فعند ذلك يخرج العجم على العرب و يملكون البصرة ^(٥) .

وما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب

بيت المقدس و ما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق ،

إلى أن تقوم الساعة ^(٦)) . - و التعبير بالساعة يمكن أن يكون إشارة لساعة

الظهور . - .

١- الشيعة والرجعة / ج ١ / ص ٢١١ .

٢- ابن حماد / ص ٨٦ .

٣- ص ١٩٩ .

٤- غيبة النعماني / ٢٦٧ .

٥- إلزام الناصب / ج ٢ / ص ١١٩ .

٦- مجمع الزوائد / ج ١٠ / ص ٦٠ .

النفس الزكية :

ومن العلامات التي أشارت إليها الراويات قتل النفس الزكية ، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض^(١) .

وجاء :

" قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين^(٢) .

وقد قال الامام الصادق عليه السلام : " ليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة . "

عبد الله ، و موته :

و عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم ، ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ، و لم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام ، فقلت : يطول ذلك ؟ قال : كلا^(٣) .

البترية :

عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبي الجارود ، وفيه : (ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، يسير إلى المدينة فيسير الناس حتى يرضى الله عز وجل ، فيقتل ألفاً وخمسمائة قرشياً ليس فيهم إلا فرخ زينة.... و يسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية ، شاكين في السلاح ، قراء القرآن ، فقهاء في الدين ، قد قرحوا جباههم ، وسمروا ساماتهم^(٤) ، وغمهم

١- البحار / ج ٥٢ / ص ٢٩٠ .

٢- البحار / ج ٥٢ / ص ٢٢٠ .

٣- غيبة الطوسي / ٢٧١ ؛ و البحار : ٥٢ / ٢١٠ عن النعماني .

٤- السامة [سوم] - : واحدة السام لضرب من الخيزران جمعها : سام . أنظر كتب اللغة منها

النفاق ، وكلهم يقولون : يا ابن فاطمة إرجع ، لا حاجة لنا بك !

فيضع السيف فيهم على ظهر النجف ، عشية الإثنين من العصر إلى العشاء ، فيقتلهم أسرع من جزر جزور ، فلا يفوت منهم رجل ، ولا يُصاب من أصحابه أحد ، دماؤهم قربان إلى الله .^(١) . فَمَنْ هُمْ هَؤُلاءِ البتريّة التي تتحدث الرواية عنهم ، يا تّرى ، والبتريّة فرقة كانت ثم انقرضت ؟ لورجعنا لسبب تسميتهم بالبتريّة ، لانكشف الأمر .

جاء في مرويات البحار^(٢) ، وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣) عن زيد بن علي عليه الرحمه أنه خاطب قوماً : ((قال لهم : أتتبرؤون من فاطمة عليها السلام ، بترتم أمرنا ، بتركم الله .)) .

وقد أورد ذلك الكشي في رجاله ، عن سدير الصيرفي حينما قالوا : لأبي جعفر ﴿ نحن ﴾ نتولى علياً ، وحسناً وحسيناً ، ونتبرأ من أعدائهم ؟ قال الإمام : نعم .

ثم قالوا : نتولى أبا بكر وعمر ، ونتبرأ من أعدائهم ؟

قال : فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم : أتتبرؤون من فاطمة ؟! بترتم أمرنا ، بتركم الله .

فيومئذ سموا بـ " البتريّة " .

فمن هذا يظهر أن البتريّة هم الذين يتبنون الولاية لأهل البيت عليهم

لسان العرب مادة سام .

ولعل ذلك كناية عن طول وقوفهم في الصلاة .

١- الإرشاد / الشيخ المفيد / ج ٢ / ص ٣٨٤ ؛ دلائل الإمامة / ٢٤١ .

٢- البحار: ٣٧/٣١

٣- الفقيه: ٤/٤٤٥ .

السلام من دون البراءة من أعدائهم .

ويحتمل أنهم إنما سموا بالبترية : لأنهم يؤمنون بالسيف دون غيره ،
فحالهم حال البترية المذكورين ، و الذين هم أساساً من فرق الزيدية ، الذين
يؤمنون بالسيف دون التقية ، في زمن الغيبة^(١) ، فسمي بهذه اللفظة هؤلاء لأن
مردهم واحد .

وهذا يأتي من عدم الوعي العقيدي .

و أساس فكرة التقية والانتظار لعله جاء من الامور التي حدثت في الفترة
التي تلت انتقال الرسول صلى الله عليه وآله ، وكان أيام الإسلام انقلبت ،
وانكفأت ، و خاصة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ، فرجع المؤمنون إلى ما
قبل سني هجرة الرسول صلى الله عليه وآله ، حيث يقول ، وهو الصادق
المصدق : (ما أؤذي نبي مثلما أؤذيت .^(٢)) . ، وهو صابر محتسب ، لم
يجرب ليحارب ، مع ما يرى من تعذيب المشركين للمؤمنين بشتى الأساليب ،
سامعاً أناتهم ، وهم تحت وطأة التعذيب ، فلا يأمرهم بقتال ، بل يوشحهم
بقوله عليه السلام : " صبراً يا آل ياسر ، إن موعدكم الجنة " ^(٣) .

١- محمد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام ق ٣ الهجري / فرق الشيعة / ص ٢٠ .

٢- بحار الأنوار / ٣٩ / ٥٦ .

٣- وقد رواه ابن شهاب عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ، قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله
بياسر وعمار وأم عمار ، وهم يؤذون في الله ، فقال لهم : " صبراً يا آل ياسر إن موعدكم الجنة " .
الاستيعاب في تمييز الأصحاب / ج ٢ / حرف الياء / باب الأفراد في حرف الياء .

وقد وردت هذه الجملة في كتب القوم بصيغ مختلفة ذكر صاحب كنز العمال أربعة منها ، وهي :
" اصبروا يا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة " وهي الحديث المرقم ب - ٣٣٥٦٨ ، و - ٣٣٥٦٥
" أبشروا يا آل عمار ! فإن موعدكم الجنة . " ، و الثالثة ٣٣٥٦٦ " صبراً يا أبا ياسر ، وآل
ياسر ! فإن موعدكم الجنة . " ، والرابعة - ٣٣٥٦٧ صبراً يا آل ياسر ! فإن مصيركم إلى الجنة .

وإنها لترسم لنا أروع لوحة للمواجهة الحقة عرفها الإنسان .

وبهذا نفهم ما جاء عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما دخل سلمان (رضي الله عنه) الكوفة ، ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها ، حتى ذكر ملك بني أمية ، والذين من بعدهم . ثم قال : فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم ، حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر المطهر ، ذو الغيبة الشريد ، الطريد .))^(١) .

ولعله لهذا قال الصادق عليه السلام كما نقل الكشي في رجاله ، إذ قال : عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :

" لو أن البترية صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ، ما أعز الله بهم ديناً . "

لأنهم قد قالوا :

كما جاء في العوالم: عن علي بن الحسين عليه السلام قال: والله لا يخرج واحد منا قبل خروج القائم (عج) إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به^(٢).

ومما جاء في إسناد الصحيفة السجادية ، عن أبي الفضل ، بسنده عن متوكل بن هارون حيث قال : ((فلما قتل يحيى بن زيد صرت الى المدينة ، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فحدثته الحديث عن يحيى ، فبكى ، واشتد وجده به ، وقال : رحم الله إبن عمي ، وألحقه بأبائه وأجداده ، والله يا متوكل .. ما معني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه ، وأين الصحيفة ؟

" . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / حرف الفاء .

١- غيبة الطوسي / ح ١٢٤ / ص ١٦٣ .

٢- غيبة النعماني: ١٩٩ ح ١٤ .

فقلت : هاهي .

ففتحها.. وقال : هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين عليه السلام . ((.

ثم قال : ((قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا متوكل.. كيف قال لك يحيى.. إن عمي محمد بن علي وابنه جعفرأ دعوا الناس إلى الحياة ، ودعوناهم إلى الموت ؟

قلت : نعم أصلحك الله ، قد قال لي ابن عمك يحيى : ذلك . فقال : يرحم الله يحيى ، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره ، فرأى في منامه رجلاً ، ينزون على منبره نزو القردة ، يردون الناس على أعقابهم القهقري ، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً ، والحزن يعرف في وجهه ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية :

" وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً " .. يعني بني امية .

إلى أن قال عليه السلام : ((... وأنزل الله تعالى فيهم : " ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرأ وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار " و نعمة الله محمد وأهل بيته ، جهنم إيمان يدخل الجنة ، و بغضهم كفر ، و نفاق يدخل النار .

فأسر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك إلى علي عليه السلام ، و أهل بيته عليهم السلام .

قال : ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : ما خرج ، ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلمأ ، أو ينعش حقأ إلا اصطلمته البلية ، و كان قيامه زيادة في مكروهننا و شيعتنا . ((.

ولم يحدث أن سيطر البتريون على النجف الأشرف ، وإن كانت بوادره قد ظهرت في الأفق ، والله الساتر .

فأول الخوارج على الإمام عليه السلام في العراق هم هؤلاء البترية .
 وهؤلاء هم الذين يخرجون إلى الإمام عليه السلام ، ويقاتلونه .
 فانتبهوا يا أخوان الصفا .

هؤلاء هم الذين سيخرجون للإمام ، ويقاتلونه ، لا هؤلاء العلماء
 الأعلام ، والمراجع العظام الموجودون حالياً في العراق الذين نذروا أنفسهم في
 سبيل الله تعالى ، لبيان أحكام دينه لأيتام آل محمد عليهم السلام ، كما يحاول بعض
 المجرمين أن يطلي الشبهة على بعض السذج من الناس ، ممن يأخذ بقولهم ،
 فيجعلهم يظنون من أن هؤلاء العلماء هم أول من يخرج على الإمام المعصوم
عليه السلام ، عند ظهوره .

فانتبه ، لتتجو من الهلكة ، ومن نار جهنم ، وبئس المصير .
 وهذه إحدى فوائد الإطلاع على روايات أهل البيت عليهم السلام ، وفهمها
 بصورة دقيقة .

وَمَنْ هُوَ الْيَمَانِيُّ يَا تَرِي؟ ...

قالوا: من أن اليماني حسب الروايات سيد ، واسمه حسن ، وهو
 صاحب راية .

عن الصادق عليه السلام : " وليس في الروايات راية أهدي من راية اليماني ،
 هي راية حق ، لأنه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح
 على الناس .

وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن
 يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى
 صراط مستقيم . " (١) .

و لكن هذه الرواية في غيبة النعماني جاءت هكذا :

عن الإمام الباقر عليه السلام ، (... وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو إلى صاحبكم ، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس ، وكل مسلم .

وإذا خرج اليماني فانفض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم . ^(١) .

فلذا قالوا هو :

سيد هاشمي ، من نسل الإمام الحسين (أي حسيني) .
اسمه حسن .

وجعلوا له اسماً ثانياً ، اشتقوه مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : " صاحب الأعماق الذي يهزم الله العدو على يديه ، اسمه (نصر) ، ثم قال : " إنما سمي نصر لنصر الله إياه " .

وبحث عن هذه الرواية الأخيرة ، فوجدت رواية شبيهة لها أخيراً ، في كتاب " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال " ولعلها هي ، بتعديلات أدخلت عليها لتكون مناسبة للتوجيهات التي ستوجه بها .

و الكتاب كما هو واضح ، من كتب العامة ، كما أن الراوي للمقطع المتعلق بالاسم هو " أبو هريرة " ، وهو من هو ، هذا أولاً .
ثم ثانياً الرواية تقول :

" عن أبي غسان المدني ، قال : قدمنا الشام مع داود بن فراهج ، ومعنا رجل من بني وعلة السبائي ، كان صاحب علم ، و حكم .

فقال داود : أنت رجل شريف ؛ إلق هذا الرجل أي الرجل الذي هو من بني وعلة السبائي . وتعرض له - يعني الوليد بن يزيد الذي كان حاكماً وقتها- ، فبالخري أن ترد علينا خيراً .

فقال : إنه مقتول لتمام أربعين ليلة من هذا اليوم ، وهو انقضاء خلافة العرب ، إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ، ثم يعود إلى الشام سنتهم ، حتى يكونوا أصحاب الأعماق .

فقال داود بن فراهج : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صاحب الأعماق الذي يهزم الله العدو على يديه نصر ، فقال : إنما سمي نصراً لنصر الله إياه ، فأما اسمه فسعيد^(١) . فمن أين فهمنا أنها تنطبق على زماننا ؟

بالإضافة إلى أنه إذا دققنا النظر في المقطع الذي يقول : " وهو انقضاء خلافة العرب إلى قيام صاحب الوادي من آل أبي سفيان ، ثم يعود إلى الشام سنتهم ، حتى يكونوا أصحاب الأعماق ."

لرأينا أن أهل الشام هم أصحاب الأعماق ، وبذكر " آل أبي سفيان " لعل الأقرب أن يكون صاحب الأعماق منهم ، وخاصة أن الشام هي دولتهم ، فقوله : " ثم يعود إلى الشام سنتهم " ، يشعر بذلك . وهذا الشخص الذي ترجح أن يكون من آل أبي سفيان سيكون على يديه نصر .

وأهل الشام أبعد ما يكونون عن أهل البيت عليهم السلام ، ثم ألا تلاحظ الرواية إن اسمه سعيد فيها ، واليماني اسمه حسن أو حسين .

و الإمام يقول عليه السلام : " فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس ، وإذا خرج اليماني فانهض إليه ، فإن رايته راية هدى ، ولا يحل لمسلم أن

١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ج ١١ / حرف الفاء/ تمة فصل في متفرقات

يلتوي عليه ، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار ، لأنه يدعو إلى الحق ، وإلى صراط مستقيم ."

وما أبعد كل هذا عن ذاك ، فانتبه .

وجملة : ((فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس)) :

إما بتشديد الراء " حَرَمَ " أو بدونه ؛ فالأول إذا كان فعلاً ماضياً " حَرَمَ " أي اليماني يُحَرِّم ؛

وأما إذا كان مبنياً للمجهول " حُرِّمَ " فهو إخبار منه ﷺ من أن هذا سيحدث .

وبدون التشديد " حَرَمَ " فهو حكم شرعي من الإمام المعصوم ﷺ ، يبين فيه حرمة بيع السلاح ، ولعله لوجوب الإحتفاظ بالسلاح ، للحاجة إليه وقت الظهور مثلاً ، فوقت الظهور على الأبواب .

فهل هو كذلك اليوم ؟؟؟؟

وقد جاء :

((ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه حسين أو حسن ، فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركاً زاكياً ، فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء .))^(١)

وقد جاء ((عن هشام بن الحكم أنه لما خرج طالب الحق ، قيل لأبي عبد الله ﷺ: أترجو أن يكون هذا اليماني ؟

فقال : لا ؛ اليماني يتوالى علياً ، وهذا يبرأ منه .))^(٢)

فالله ، الله بأيتام آل محمد ﷺ يا أصحاب القلم .

بل أين نضع هذه الرواية ، ومثيلاتها :

قال الإمام الصادق عليه السلام : " خروج الثلاثة : الخراساني والسفياياني و اليماني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد .

وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني ، تهدي الى الحق . " .

فإذا كان من ذكروا هم اليماني و الخراساني واقعاً ، فأين هو السفياياني ؟

إذ أن خروجهم في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد .

((وتدل روايات مصادرنا الصحيحة على أن حركة الخراساني وشعيب

الذين يسلمان الراية للإمام عليه السلام تكون مقارنة لظهور اليماني والسفياياني ،

كرواية النعماني^(١) عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام ، من حديث طويل ،

ذكر فيه عدداً من الأحداث ، والعلامات ، جاء فيه : (خروج السفياياني

واليماني و الخراساني في سنة واحدة ، في شهر واحد ، في يوم واحد ، نظام

كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً ، فيكون البأس من كل وجه ؛ ويل لمن ناوهم

، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني ، هي راية هدى ، لأنه يدعو

إلى صاحبكم .))^(٢) .

وهكذا يمكن الخدشة بكل من ادعى أنه أحد الثلاثة ، لعدم تلازم ظهوره

وظهور الآخرين ، فانتبه ، فإنه من أحسن وأدق الموازين لمعرفة التأويلات

الباطلة .

فمثلاً : يمكن إسقاط دعوة بعضهم من أنه اليماني هذه الأيام بقولنا لمن

١- غيبة النعماني / ٢٥٣

٢- ومثله الإرشاد/ ٣٦٠ ، ونحوه إثبات الرجعة/ ١٧ ، ومثله إعلام السورى/ ٤٢٩ ، وغيبة

الطوسي/ ٢٧١ ، وعنه الخرائج: ٣/ ١١٦٣ ، وإثبات الهداة: ٣/ ٧٢٨ ، والبحار: ٥٢/ ٢١٠ .

دراسة في علامات الظهور / الفصل الثالث والعشرون/ الإيرانيون في عصر الظهور / حديث

أصحاب الرايات السود ، وأهل المشرق / الشيخ علي الكوراني .

اعتقدها : إن الروايات تنص على إنه يخرج في وقت خروج الخراساني والسفياني ، فإذا كان هذا اليماني فأين الخراساني والسفياني يا هذا ؟ لأنه يجب أن يخرجوا في وقت واحد ، ولم يخرج الآخران لحد الآن مع إن هذا المدعي له أكثر من عام قد ظهر أمره ورفع رايته .
و أما السفياني :

عن السجاد عليه السلام ^(١) : إن القائم حتم من الله ، وأمر السفياني حتم من الله ، ولا يكون قائم إلا بسفياني .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يخرج ابن أكلة الأكباد (إشارة إلى أنه من نسل هند ، أم معاوية ، إلا أن رواية أخرى عن حذلم بن بشير عن علي بن الحسين تصرح من أنه من ولد عتبة بن أبي سفيان) من الوادي اليابس (ويقصد بها سوريا .) ، وهو رجل ربعة (أي مربع) ، وحشي الوجه ، ضخم الهامة ، بوجهه أثر جذري ، إذا رأته حسبته أعور ، إسمه عثمان ، ... وهو من ولد أبي سفيان ، حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها ^(٢) .

ومن العلامات الصحيحة :

وعن محمد بن مسلم : ينادي مناد من السماء باسم القائم ، فيسمع ما بين المشرق والمغرب ، فلا يبقى راقد إلا قام ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام على رجله من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرائيل ، الروح الأمين ^(٣) .

عن شرحبيل قال : قال أبو جعفر ، وقد سألته عن القائم عليه السلام : إنه لا

١- البحار / ج ٥٣ / ص ١٨٢ .

٢- البحار / ج ٥٢ / ص ٢٠٥ .

٣- البحار / ج ٥٢ / ص ٢٩٠ .

يكون حتى ينادي مناد من السماء ، يسمعه أهل المشرق والمغرب ، حتى تسمعه الفتاة في خدرها .^(١) .

وفي رواية يصيح أن الحق مع آل محمد ﷺ .

وتكون هذه الصيحة في النصف من شهر رمضان المبارك .

وفي رواية أخرى إن إبليس بعدها ينادي في الأرض بنداء مضاد لهذا النداء ، لكي يربك الناس ، مؤداه أن الحق مع بني أمية .

وعن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : النداء حق ؟

قال : إي والله ، حتى يسمعه كل قوم بلسانهم .^(٢) .

يمكن أن يكون الأمر خارج الموازين الطبيعية المتعارفة ، ويمكن أن يتم الأمر بالترجمة بواسطة الفضائيات وغيرها .

والزوراء لها حديثها الخاص :

عن المفضل بن عمر والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، قال المفضل يا سيدي فالزوراء التي تكون في بغداد ما يكون حالها في ذلك الزمان؟

فقال : (تكون محل عذاب الله وغضبه ، والويل لها من الرايات الصفر ، ومن الرايات التي تسير إليها في قريب وبعيد ، والله لينزلن من صنوف العذاب ما نزل بسائر الأمم فالويل لمن اتخذ بها مسكناً .^(٣) .

ويمكن أن يكون ذلك إشارة لقوات التحالف التي احتلت العراق في هذه السنين ، وما مر من ويلات عليه بعد ذلك وقبلها.

١- غيبة النعماني / ٢٥٧ .

٢- البحار : ٥٢ / ٢٤٤ .

٣- بشارة الإسلام / ص ١٤٣ .

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

(... ويعود دار الملك إلى الزوراء ، وتصير الأمور شورى من غلب على شيء فعله .

— ولعله إشارة إلى ما يسمى اليوم بالديمقراطية ، ومسألة الإنتخابات في العراق —

فعند ذلك خروج السفيناني فيركب في الأرض تسعة أشهر يسومهم سوء العذاب ، فويل لمصر وويل للزوراء ، وويل للكوفة ، والويل لواسط ، كأنني انظر إلى واسط وما فيها مخبر بخبر ، وعند ذلك خروج السفيناني ، ويقل الطعام ، ويقحط الناس ، ويقل المطر فلا أرض تنبت ولا سماء تنزل ، ثم يخرج المهدي الهادي المهدي الذي يأخذ الراية من يد عيسى بن مريم ... (١) .

و عن أبي عبد الله عليه السلام (... إذا هدم حائط مسجد الكوفة مؤخره ، مما يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان ، أما إن هادمه لا يبينه . (٢) .

وقد لاحظت أن بني فلان يمكن أن يكون المراد منهم " آل سعود " ، إذا كان زمننا زمن الظهور .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ، وفيه : (ولذلك آيات وعلامات : أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق ، وتخريق الروايا في سكك الكوفة ، وتعطيل المساجد أربعين ليلة ، وكشف الهيكل ، وخفق الرايات حول المسجد الأكبر ، تهتز ، القاتل والمقتول في النار ، وقتل سريع ، وموت ذريع ، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين - الخبر (٣) . عن المفضل

١- الملاحم والفتن / السيد بن طاووس الحسني / ص ١٣٤ .

٢- البحار / ج ٥٢ / ص ٢١٠ .

٣- نفس الرحمن في فضائل سلمان / ميرزا حسين النوري الطبرسي / ص ٣٠٤ .

بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام (... فقال لي يا أبا عبد الله إياكم و التتويه ، و الله ليغيبن سبتا من الدهر ... لترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي قال المفضل فبكيت ، فقال لي ما ييكيك ؟ قلت جعلت فداك كيف لا أبكي و أنت تقول ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي .

قال فنظر إلى كوة في البيت التي تطلع فيها الشمس في مجلسه فقال : أهذه الشمس مضئة ؟

قلت نعم ، فقال : " و الله لأمرنا أضوا منه ^(١) " .

ولدينا رواية ترتب خروجهم و بعض العلامات :

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ، متى خروج القائم عليه السلام ؟ .

فقال : يا أبا محمد إنا أهل بيت لا نوقت ، و قد قال محمد صلى الله عليه و آله كذب الوقاتون . يا أبا محمد إن قدام هذا الأمر خمس علامات :

أولاهن النداء في شهر رمضان ، و خروج السفيناني ، و خروج الخراساني ، و قتل النفس الزكية ، و خسف بالبيداء .

ثم قال : يا أبا محمد : إنه لا بد أن يكون قدام ذلك الطاعونان : الطاعون الأبيض ، و الطاعون الأحمر .

قلت : جعلت فداك و أي شئ هما ؟

فقال : أما الطاعون الأبيض فالموت الجارف ، و أما الطاعون الأحمر فالسيف ،

ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث و عشرين ، (في شهر رمضان) ليلة جمعة .

قلت : بم ينادى ؟

قال : باسمه واسم أبيه : ألا إن فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوه ، فلا يبقى شئ خلق الله فيه الروح إلا يسمع الصيحة ، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره ، وتخرج العذراء من خدرها ، ويخرج القائم بما يسمع ، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام . (١) .

فلاحظ أن الموت الشامل يكون قبل خروج هؤلاء .

نار المشرق :

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :

" إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي العظيم (٢) . " . تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد عليه السلام إن شاء الله عز وجل إن الله عزيز حكيم (٣) .

و عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

" إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي ، فعندها فرج الناس ، وهي قدام القائم عليه السلام بقليل (٤) . "

ويمكن أن تكون هناك إشارات خفية للتقدم التكنولوجي الهائل ، قبل الظهور وبعده ، في روايات عدة :

عن الإمام الباقر عليه السلام قال : " منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة ، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً ، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته

١- غيبة النعماني / ٢٨٩ ، وعنه البحار / ٥٢ / ١١٩ ؛ وبشارة الإسلام / ١٥٠ .

٢- الهردي : الثوب المصبوغ بالأخضر والأحمر . والهرد : صبغ الكركم الأصفر ، ويضعون معه طيناً أحمر ، وعروق شجر .

٣- النعماني / ٢٦٢ .

٤- غيبة النعماني / ٢٦٧ ؛ البحار / ٥٢ / ص ٢٤٠ .

ونسبه - فيمكن أن تكون هذه إشارة لوسائل النقل الجوية ، وجواز السفر المذكورة فيه المعلومات المذكورة - قلت : جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً ؟ . قال: الذي يسير في السحاب نهاراً - يمكن أن يكون كذلك لأنه يأتي أمام أعين الظالمين . - .^(١) .

ويمكن أن يكون عن طريق الإعجاز .

و عن أبي الربيع الشامي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

" إن قائمنا إذا قام مد الله لشيئتنا في أسماعهم وأبصارهم ، حتى لا يكون بينهم وبين القائم عليه السلام بريد - أي رسول - يكلمهم فيسمعون ، وينظرون إليه وهو في مكانه . (٢) ."

و عن ابن مسكان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

(إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب ، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق . (٣)) .

فيمكن أن يكون ذلك بالوسائل المتاحة هذه الأيام ، وما أدرانا ما أخفى لنا الغد من عجائب اختراعات أخر ، ويمكن أن يكون عن طريق الإعجاز .

و إن كنا نرجح في أغلبها إن لم يكن جميعها التقدم العلمي الهائل ، الذي سيصل إليه الإنسان خاصة لوجود روايات مثل :

ما ورد عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :

(كأني أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف ، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق ، بين عينيه شمراخ ، ثم ينتفض به فرسه فلا

١- البحار / ج٥٢ / ص٣٦٨ .

٢- بحار الأنوار / ج٤٧ / ص١٢٤ / ح١٧٦ .

٣- الكافي ج٧ ص٤١٤ ح١ ، معاني الأخبار ص٢٧٩ ، وسائل الشيعة ج١٨ ص١٦٩ .

يقتى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في بلادهم . (١) .

وعنه عليه السلام أيضاً بشأن خروج الإمام المهدي عليه السلام ، قال :

(لا تراه عين في وقت ظهوره إلا رآته كل عين ، فمن قال لكم غير هذا فكذبوه . (٢)) .

وعن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليه السلام قال :

(إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً ، يقول : عهدك في كفك فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ، ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك ، واعمل بما فيها . (٣)) .

وهذا ما يحدث فعلاً في الزمان الحاضر بالوسائل الحديثة والمتطورة عبر شاشات التلفزيون وكاميرات الاتصالات وشاشات الرادار ، والأقمار الصناعية ، والإنترنت وغيرها .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

" إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض ، وخفض له كل مرتفع منها ، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته ، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها؟! . (٤) " .

وهذا ربما يظهر من هذه الرواية ومثيلاتها :

عن الصادق عليه السلام ، قال : (إن قائمنا إذا قام أشرفت الأرض بنورها ، و

١- الكافي / ج ١ / ص ٣٩٨ / ح ٢ ؛ وسائل الشيعة / ج ٢٧ / ص ٢٣١ / ح ٥ .

٢- الإرشاد / ج ٢ / ص ٣٨٦ ؛ إعلام الوري بأعلام الهدى / ج ٢ / ص ٢٩٣ ؛ كشف الغمة / ج ٣ / ص ٢٦٦ .

٣- بحار الأنوار / ج ٥٢ / ص ٣٧٥ ح ١٧٤ ؛ مستدرک سفينة البحار / ج ٣ / ص ٢٧٨ .

٤- غيبة النعماني / ص ٢٣٩ / ح ٣٢ .

استغنى العباد عن ضوء الشمس ، وصار الليل والنهار واحداً ، وذهبت الظلمة .^(١) . وها هي بوادره ، فهذه الطاقة الكهربائية قد جعلت الليل البهيم نهاراً مبصراً .

تأمل :

وجعلوا هذه المسميات تنطبق على بعض الشخصيات ، و الحركات التي يعرفها الناس ، ولكن في كل ما ذكروه تأملات واضحة ، يلتفت إليها اللبيب .

وعلى فرض أننا سمعنا قولهم فس نجد بعض الصعوبات في فهم ما يقولون ، فضلاً من أن بعضها لا يمكن المساعدة عليه إلا باللوي والطي ، ومخالفة القواعد العربية ، و معاني الكلام .

و حتى لو انطبقت على بعضهم تلك الموصفات فللتبته إلى أن التاريخ ملئ بالتشابهات ، أي بمعنى آخر أنه ليس كل من تنطبق عليه بعض الموصفات يكون هو المعني .

لأن هذا يحصل كثيراً ، خاصة مع تقادم السنين ، و مجئ ملايين الناس .
فكيف إذا كان بعضها بالطي واللي ؟ .

و لو وجد الكاتب أي رواية فيها أي إشارة ، أو إثارة فيحسبها تلميحاً أو تصريحاً على شئ يعرفه ، لا لشئ إلا لتطابق الأسماء ، أو باللوي ، والطي سيجعلها تشابه ، لأنه يكره تلك الشخصية أو يجبها ، فيزمر و يطبل من أن هذا ذاك ، فهذا تغرير بالناس و كفر بالنعمة .

و حينئذ أحسب أن هذه تصلح فاتحة لفتح البيت الأبيض الأمريكي ، حيث جاء في صحيح مسلم :

((عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ

غَلَامِي نَافِع ، أَن أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فَكُتِبَ إِلَيَّ : سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رَجْمِ الْأَسْلَمِيِّ يَقُولُ :

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ " عَصِيَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ ، بَيْتَ كِسْرَى ، أَوْ آلِ كِسْرَى " . ((^١)).

خاتمة الفصل :

إرشاد الشيخ المفيد و علاماته :

ونحن نذكر العلامات التي وردت في إرشاد الشيخ المفيد ، مكتفين به ، إذ الحديث المتشعب بها يحتاج لوقت أطول ، وليس فيها ما يُعادل بقية الأمور :
قال الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد : ((قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام ، وحوادث تكون أمام قيامه ، وآيات و دلالات .

فمنها :

(خروج السفيناني

و قتل الحسيني ،

و اختلاف بني العباس في الملك الدنياوي ،

و كسوف الشمس في النصف من رمضان

و خسوف القمر في آخره على خلاف العادات ،

و خسف بالبيداء ،

و خسف بالمغرب ،

و خسف بالمشرق ،

و ركود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر ، و طلوعها

من المغرب ،

و قتل نفس زكية بظهر الكوفة ، في سبعين من الصالحين ،

و ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام ،

و هدم حائط مسجد الكوفة ،

و إقبال رايات سود من قبل خراسان ،
و خروج اليماني ،
و ظهور المغربي بمصر ، و تملكه الشامات ،
و نزول الترك الجزيرة ،
و نزول الروم الرملة ،
و طلوع نجم بالمشرق ، يضى كما يضى القمر ، ثم يعطف حتى يكاد
يلتقي طرفاه ،
و حمرة تظهر في السماء ، و تنتشر في آفاقها ،
و نار تظهر بالمشرق طويلاً ، و تبقى في الجو ثلاثة أيام ، أو سبعة أيام ،
و خلع العرب أعنتها ، و تملكها البلاد ، و خروجها عن سلطان العجم ،
و قتل أهل مصر أميرهم ،
و خراب الشام ، و اختلاف ثلاث رايات فيه ،
و دخول رايات قيس والعرب إلى مصر ،
و رايات كندة إلى خراسان ،
و ورود خيل من قبل الغرب ، حتى تربط بفناء الحيرة ،
و إقبال رايات سود من المشرق نحوها ،
و بثق في الفرات ، حتى يدخل الماء أزقة الكوفة ،
و خروج ستين كذاباً ، كلهم يدعي النبوة ،
و خروج اثني عشر من آل أبي طالب ، كلهم يدعي الإمامة لنفسه ،
و إحراق رجل عظيم القدر من بني العباس ، بين جلولاء و خانقين ،
و عقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام ،

و ارتفاع ريح سوداء بها ، في أول النهار ،
 و زلزلة حتى ينخسف كثير منها ،
 و خوف يشمل أهل العراق ، و بغداد ،
 و موت ذريع فيه ، و نقص من الأموال ، و الأنفس و الثمرات ،
 و جراد يظهر في أوانه ، و في غير أوانه ، حتى يأتي على الزرع و الغلات ،
 و قلة ريع لما يزرعه الناس ،
 و اختلاف صنفين من العجم ، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم ،
 و خروج العبيد عن طاعات ساداتهم ، و قتلهم مواليتهم ،
 و مسخ لقوم من أهل البدع ، حتى يصيروا قردة و خنازير ،
 و غلبة العبيد على بلاد السادات ،
 و نداء من السماء ، حتى يسمعه أهل الأرض ، كل أهل لغة بلغتهم ،
 و وجه و صدر يظهران للناس ، في عين الشمس ،
 و أموات ينشرون من القبور ، حتى يرجعوا إلى الدنيا ، فيتعارفون
 و يتزاورون .

ثم يختم ذلك بأربع و عشرين مطرة تتصل ، فتحيا بها الأرض بعد موتها ،
 و تعرف بركاتها ،

و يزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام ،
 فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ، فيتوجهون نحوه ، لنصرته كما جاءت بذلك
 الأخبار .

وجملة من هذه الأحداث محتومة ومنها مشروطة ، والله أعلم بما يكون ،
 وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول ، و تضمنها الأثر المنقول .) .

إنتهى^(١).

ونختم هذا الفصل بما نختم به هذه العلامات ، فقد جاء في كمال الدين^(٢): عن عبد العظيم الحسيني ، عن الإمام الجواد عليه السلام ، قال :

(و يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض ، و ذلك قول الله عز وجل : " أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ^(٣) .

فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره .

فإذا كمل له العقد ، وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل ، فلا يزال يقتل أعداء الله ، حتى يرضى الله عز وجل .

قال عبد العظيم : فقلت له : يا سيدي وكيف يعلم أن الله عز وجل قد رضى ؟

قال يلقي في قلبه الرحمة ، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما .) ^(٤).

و اللات والعزى هما صنما قريش ، اللذان ما أنزل الله بهما من سلطان ، فيقطع دابر القوم الذين كفروا ، و قيل الحمد لله رب العالمين .

فتنتهي هذه الفتنة الكبرى ، بعد أن امتدت طويلا ، وأخذت من العالمين ما أخذت .

١- الإرشاد / الشيخ المفيد / ٢ / ٣٦٨ .

٢_ ٢ / ٣٧٧ .

٣- سورة البقرة / ١٤٨ .

٤- كفاية الأثر / ٢٧٧ ، إعلام الوری / ٤٠٩ ، و الإحتجاج / ٢ / ٤٤٩ .

الفصل الخامس

القسم الأول علّة الغيبة و أسبابها :

يتساءل كثيرون لم غاب الإمام المفترض الطاعة ؟ .
والعجيب أنه يصدر ممن يدعي العلم قبل غيره ، والأمر واضح وضوح
الشمس .

الله سبحانه اختبر عباده بأوليائه .

إلى أن وصل الأمر لأشرفهم محمد بن عبد الله فعانى ما عانى ، إلى أن
منّ الله على الأمة جمعاء بالنصر المؤزر .

وقد أوصى بأهل بيته ، وأوجب مودتهم وطاعتهم ، فلم يُقدّم لهم إلا
السيف والسم .

ونسوا أو تناسوا أن المرء يُكرّم في ولده .

بل الأمر كان أخطر من ذلك ، إذ جهر قوم بمخالفتهم له ، وهو بعد في
الدنيا ، في حال مرضه ﷺ ، إلى أن لعن المتخلفين عن جيش أسامة .

وتجرأ آخرون فرموه بالهجر ، وسبوا نزاعاً عنده .

والأعجب أن هذه الأمور تُنقل ولا أحد يُعلّق .

وانتقل إلى الرفيق الأعلى والله أعلم بمقدار حزنه على هذه الأمة المسكينة
، وكيف ستقاذفها الأهواء ، وترمي بها الشهوات إلى بحار من ظلمات ، بعد
أن أخرجهم من الظلمات إلى النور .

فكمدت الزهراء ، وذبلت ، بلتيا ولتي ، إلى أن فارقت الدنيا بعد أيها
بعده أشهر ، واجدة على القوم .

وإظهاراً لهذا الوجد أمرت ألا يحضر أحد من المسلمين جنازتها ، وألا يحضر دفنها إلا ثلة قليلة ممن ثبت ، وتفهم معنى الولاية ، وبيعة علي في يوم الغدير .

فضاع قبرها بين القبور ، مع شدة ضيائها .

إلى أن جلس الإمام علي عليه السلام ، وهو ابن الإسلام البار ، في بيته ، رداً من الزمن .

وتنقل الأمر بين العرب دون العجم ، وبين قريش العدو الأول للإسلام والمسلمين دون أهل البيت عليهم السلام .

ومن عجائب الأمور وغرائبها - وما أكثرها للمتبع في تاريخ المسلمين والسيرة - أن الكل يشهد بأن رسول الله قد قال " الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا " وإذا بالناس تحارب الحسن مع معاوية ، فكيف يكون إماماً ويكون معاوية على حق ؟ .

ثم يحارب الإمام الحسين عليه السلام لأجل يزيد ، ويُقتل بأشنع قتلة ويمثل بجثته تمثيلاً ، وهو إمام المسلمين وسيد شباب أهل الجنة .

ويسبي المسلمون أهل بيت نبيهم من بلد إلى بلد ، إلى عاصمة الأمويين ، إلى أمير المسلمين وقائدهم ، حيث كان يقبع يومها في دمشق .

وهكذا دواليك ، الإثنا عشر إماماً الذين أشار إليهم محمد بن عبد الله عليه السلام ، مع حيرة أرباب التاريخ بهم ، وهم من هم في زمانهم ، يقتلون الواحد بعد الآخر من دون رادع ، ويبقى أخيرهم ولو وصلت أيديهم إليه لقتلوه .

وبهذا تبلغ حصيلة ما قتل المسلمون وأمرؤهم من أهل البيت المنصوص عليهم أحد عشر إماماً مفترض الطاعة ، مع مصيبة سيدة نساء العالمين ، وما جوبه به حبيب الله ورسوله صلى الله عليه وآله بفترة قياسية لا تتجاوز المئتي عام .

فعلام السؤال لم غاب ؟ .

أريدون أن يقتلوه كما قتلوا آبائهم من قبل ، ما لهم كيف يحكمون ؟ .
المهم :

أن الإمام المنتظر غاب ، في منتصف القرن الثالث الهجري ، الغيبة الصغرى ، ثم بعدها بسبعين سنة صارت الغيبة الكبرى .
وقد عرفنا إجمالاً لماذا صارت .

و لكن لم ما زالت ، ولقد ماتت دول ، وتبدلت آخر ؟

فمتى سيكون الفرج ؟

نقل الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق :

((ثم روى بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال لعبد الحميد ابن أبي الديلم : يا عبد الحميد ، ان لله رسلاً مستعلنين ، ورسلاً مستخفين ، فاذا سألتهم بحق المستعلنين فسله بحق المستخفين .

ثم قال الصدوق : فكانت حجج الله تعالى كذلك من وقت وفاة آدم عليه السلام إلى وقت ظهور ابراهيم عليه السلام ، أو صيأه مستعلنين و مستخفين .

فلما كان وقت تكوين ابراهيم عليه السلام ، فإمكان ظهور الحجة كان متعذراً في زمانه (و ذلك أن) نمرود كان يقتل أولاد رعيته ، و أهل مملكته في طلبه .

و لذلك ستر الله وجوده ، و أخفى ولادته .

و بعد أن بلغت الغيبة أمدها ، دلهم ابراهيم على نفسه ، و أظهر لهم أمره الذي أراد الله من إثبات حجته ، و إكمال دينه .

فلما كان وقت وفاة ابراهيم عليه السلام كان له أو صيأه حججاً لله عز وجل في أرضه ، يتوارثون الوصية كذلك ، مستعلنين و مستخفين إلى وقت موسى عليه السلام .

و في وقت موسى عليه السلام كان فرعون يقتل أولاد بنى إسرائيل ، في طلب

موسى عليه السلام ، الذى كان قد شاع ذكره ، و خبر وجوده .

فستر الله ولادته ، حتى قذفت به أمه في اليم ، كما أخبر الله عزوجل في كتابه ، ثم كان من أمره بعد أن أظهر دعوته ، و دلهم على نفسه ، ما قصه الله في كتابه كذلك .

ولما كان وقت وفاة موسى عليه السلام كان له أوصياء حُججاً لله كذلك ، مستعلنين و مستخفين ، إلى وقت ظهور عيسى عليه السلام .

و عيسى عليه السلام ظهر منذ ولادته مُعلنًا لدلائله ، مُظهراً لشخصه ، شاهراً لبراهينه ، غير مُخفٍ لنفسه ، لأن زمانه كان زمان إمكان ظهور الحجة كذلك .

ثم كان له من بعده أوصياء ، حُججاً لله عزوجل كذلك ، مستعلنين و مستخفين ، إلى وقت ظهور نبينا عليه السلام .

و بعد ظهور نبينا عليه السلام كان مما قيل له - على سنن من تقدمه من الرسل - أن يقيم لنفسه أوصياء كإقامة من تقدمه لأوصيائهم .

فأقام رسول الله أوصياء كذلك .

و من المعروف المتسالم عليه بين الخاص و العام من أهل هذه الملة : أن الإمام الحسن بن على العسكري والد إمام زماننا عليه السلام كان قد وُكِّلَ به طاغية زمانه حتى وفاته ، فلما توفى وُكِّلَ بحاشيته و أهله ، و حُبست جواريه ، و طُلب مولوده هذا ، أشدّ الطلب .

فجرت السنة في غيبته بما جرى من سنن غيبة من ذكرنا من الحجج المتقدمين ، و ثبت من الحكمة فى غيبته ما ثبت من الحكمة في غيبتهم .)) .

وكان قد قال قبلها :

((قال الصدوق أقول : إنه قد ثبت ان ظهور حُجج الله تعالى في مقاماتهم في دول الباطل ، على سبيل التدبير و الإمكان لأهل ذلك الزمان ؛ فإن كانت الحال ممكنة لوجود الحجة بين الخاص و العام ، كان ظهور الحجة كذلك .

وإن كانت الحال غير ممكنة لوجود الحجة بين الخاص والعام ، و كان مما توجب الحكمة و يقتضيه التدبير استتاره ، ستره الله و حجه إلى وقت بلوغ الكتاب اجله . كما قد وجدنا ذلك في حجج الله المتقدمين من عصر آدم عليه السلام إلى حين زماننا هذا.

فمنهم المستعلنون ، و منهم المستخفون ، و بذلك نطق الكتاب العزيز ، و ذلك قوله تعالى : " ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك " (١) .
و بناءً على كل ما ذكر نقول :

إننا نعلم علم اليقين من أن ذلك صلاح للمؤمنين في الجملة :
يقول - عجل الله فرجه - في رسالته الأولى للشيخ المفيد :

(نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، مادامت دولة الدنيا للفاسقين .) (٢) .

ومن وراء ذلك حكمة عظيمة .

وهذا هو الشيخ الكليني قدس سره قد أورد في أصول الكافي ما يقرب من الستين رواية حول الإمام المهدي عليه السلام ، يُمكن أن يُقتنص منها أسباب الغيبة ظاهراً .

ويمكن إجمالها بما يلي :

- ١- المحنة و التمحيص .
- ٢- الخوف على النفس .

١- رسائل في الغيبة - الشيخ المفيد ج ٤ / ص ١ / الرسالة الرابعة في الغيبة / تأليف الامام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم ابي عبد الله ، العكبري ، البغدادي .

٢- معادن الحكمة : ٢ / ٣٠٣ ، بحار الانوار : ٥٣ / ١٧٤ .

٣- وأن لا تكون عليه بيعة^(١).

وقد جاء من بعده الشيخ النعماني فكتب أول كتاب مستقل في الغيبة .

وقد كتب ((غيبة الإمام في هذا الزمان الذي نحن فيه لتمحيص مَنْ يُمَحَّص ، وهلكة مَنْ يهلك ، ونجاة مَنْ ينجو بالثبات على الحق ، ونفي الريب والشك ، والإيقان بما ورد من الأئمة عليهم السلام من أنه : لا بد من كون هذه الغمة ثم انكشافها عند مشيئة الله ، لا مشيئة خلقه واقتراحهم .

جعلنا الله من المؤمنين ، المتمسكين بجملة ، وممن ينجو من فتنة الغيبة ، التي يهلك فيها مَنْ اختار لنفسه ، ولم يرض باختيار ربه ، واستعجل تدبير الله ، ولم يصبر كما أمر . ((^(٢))).

وليس من الضرورة معرفة أسباب الغيبة على وجه التحديد والتعيين ، ولا حتى على الإجمال .

بل يكفي الإيمان بالغيبة نفسها ، والله أعلم بحقيقة الحكمة التي من ورائها ، فهي أشبه بالآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، كما شبهها السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس الله نفسه الطيبة .

ولكن هذه الحكمة يمكن إدراك بعضها

ولا يمكن الوصول لبعضها إلا بإرشاد أو دلالة المعصوم عليها :

وهذه أيضاً على قسمين :

قسم منها أخفي أمره علينا :

لحكمة قد خفيت علينا كما يظهر ذلك من الروايات التالية :

١- أنظر : أصول الكافي / الصفحات : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٧٠ . ففيها الأحاديث

المتفرقة حول هذه النقاط .

٢- غيبة النعماني / ختام الباب السابع .

روى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : ((إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها ، يرتاب فيها كل مبطل ، فقلت له : ولم جعلت فداك ؟

قال : لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره .

إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره ، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام إلا بعد افتراقهما .

يا بن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا ان الله عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة ، وان كان وجهها غير منكشف . ((^(١))).

وقد أشار إليها الشيخ الصدوق في : (إكمال الدين) وقال : إن إيماننا بعصمة الإمام المهدي يقتضي منا التسليم بوجود حكمة وراء غيبته ، انطلاقاً من آثار حكمة الله في حججه المتقدمين)) .

ولذا قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : إن السؤال عن الحكمة ساقط ، إذا قامت البراهين على وجوب وجود الإمام في كل عصر ، وان الأرض لا تخلو من حجة ، وان وجوده لطف ، وتصرفه لطف آخر . ((^(٢))).

وقسم من الأسباب والعلل أخبرنا بها المعصوم :

و لولا إخباره لما كنا ندرکها :

١- كمال الدين / ٤٨١ ، علل الشرائع / ١ / ٢٤٥ .

٢- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء / (أصل الشيعة وأصولها) .

وهذه على قسمين مجملة :

روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (ان للقائم منا غيبة يطول أمدها فقلت له : يا بن رسول الله ولم ذاك ؟

قال : لأن الله عز وجل أبى إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم ، وإنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدة غيباتهم ، قال الله تعالى : (لتركن طبقاً عن طبق) ، أي سنن من كان قبلكم . (١) .

وقسم آخر بينت فيه بعض العلل :

(١) : منها علل خفية ، مثالها : إخراج الودائع :

فقد روي عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخي قال :

(قلت لأبي عبد الله عليه السلام أو قال له رجل : أصلحك الله ألم يكن علي قوياً في دين الله ؟ قال : بلى قال : فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم وممانعه من ذلك ؟

قال : آية في كتاب الله عز وجل منعته ، قال : قلت : وأي آية هي ؟

قال : قول الله عز وجل : (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً)

إنه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون ، في أصلاب قوم كافرين ، ومنافقين ، فلم يكن علي ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع ، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله ، وكذلك قائمنا ، أهل البيت ، لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل ، فاذا ظهرت ظهر على من ظهر فقاتله . (٢) .

(٢) : وعلل آخر كان يمكن الوصول إليها ، وأن ندرکہا بعقولنا ، ومع

هذا أخبرنا المعصوم عليه السلام بها ، منها :

١ - إثبات الهداة / ٣ / ٤٨٦ - ٤٨٧ .

٢ - علل الشرائع : ١٤٧ ؛ كمال الدين : ٦٤١ .

أ) : للحفاظ عليه ، بعد أن فرط القوم بالمعصومين عليه السلام قبله :
 منها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال : (إن للقائم غيبة قبل
 ظهوره ، قلت : ولم ؟ قال : يخاف . وأوماً بيده إلى بطنه ، قال زرارة يعني
 القتل . ^(١) .

ومنها ما روي عن عبد الله بن عطا ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (قلت له
 إن شيعتك بالعراق كثيرة ، والله ما في أهل بيتك مثلك ، فكيف لا تخرج ؟ .
 قال : فقال : يا عبد الله بن عطاء ! قد اخذت تفرش اذنيك للنوكى ، إي
 والله ما أنا بصاحبكم .

قال : قلت له : فمن صاحبنا ؟

قال : انظروا من عمى على الناس ولادته ، فذاك صاحبكم ، إنه ليس منا
 أحد يشار إليه بالاصبع ويمضغ بالألسن لإمات غيظاً ، أو رغم أنفه . ^(٢) .
 فسبب غيبته عليه السلام هو الخوف على الحياة والتقية ، وكل علمائنا متفقون
 على ذلك .

فقد روى كل من الشيخ الكليني والشيخ الصدوق رحمهما الله تعالى ،
 هذا في الكافي ، وهذا في إكمال الدين عدة روايات في ذلك ، عن الإمام
 الصادق عليه السلام .

كما ذكر بعدهما ذلك الشيخ المفيد في (الإرشاد) ، وفي رسالة " الفصول
 العشرة فى الغيبة " الفصل الرابع منها : ما الداعى إلى ستر ولادته ، و السبب
 فى إخفاء أمره ، و غيبته ؟

ركّز فيها البحث فى حكمة الخوف على النفس .

١ - علل الشرائع : ١ / ٢٤٦ ؛ غيبة النعماني / ١٧٦ ؛ غيبة الطوسي / ٢٠١ .

٢ - الكافي / ١ / ٣٤٢ ، غيبة النعماني / ١٦٧ - ١٦٨ .

و السيد المرتضى كاستاذة المفيد في (الشافى) ذكر بعدهم ذلك أيضاً ، و ركز في ذخيرته البحث فى حكمة الخوف على النفس ..

ثم جاء الشيخ الطوسى ليركز على هذا السبب بالخصوص ، و يحصر الأمر فيه .

وقال بصريح العبارة : " لا علة تمنع من ظهوره ﷺ ، إلا خوفه على نفسه من القتل ، لأنه لو كان غير ذلك لما ساع له الاستتار ، وكان يتحمل المشاق والأذى ، فان منازل الأئمة وكذلك الأنبياء ﷺ ، إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة فى ذات الله ."^(١) .

ودفع بقية الأسباب بشكل واضح بقوله قدس الله نفسه : ((وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة فى حال الغيبة ، وصعوبة الامر عليهم ، واختبارهم للصبر عليه ، فالوجه فيها :

الإخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق ، لا أن الله تعالى غيب الامام ليكون ذلك .

وكيف يريد الله ذلك ، وما ينال المؤمن من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ، ومعصية ، والله تعالى لا يريد ذلك ؟!

بل سبب الغيبة هو الخوف ، على ما قلناه ، وأخبروا بما يتفق فى هذه الحال ، وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك ، والتمسك بدينه إلى أن يفرج الله تعالى عنهم ."^(٢) .

ولكن لماذا يخاف الإمام (محمد بن الحسن ﷺ) على نفسه من القتل ،

١ - كتاب الغيبة / تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسى ٣٨٥ ٤٦٠ هـ - ٥ / تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني ، و الشيخ علي احمد ناصح / مؤسسة المعارف الاسلامية / ص ٣٢٩ .

وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام، وضحي بنفسه في كربلاء ؟

والفرق واضح ، فذاك عليه السلام علم من أن الأمر لو وقع فهناك من يبقى حجة على خلق الله ، كما أن له من يطالب بثأره ، مع في قيامه من إنقاذ لدين الله ، بينما في قتل هذا ذهاب وطمس لدين الله ، لأنه لو قتل لم يسد أحد مسده ، ولا يحل محله ، ومعها لا يبقى حجة لله ، فتسوخ الأرض بأهلها ، فاتبه لذلك .

و للحديث طرف آخر أجاب عنه الشيخ المفيد رحمه الله تعالى بما هو مفيد عندما أجاب عن سؤال المعاند حيث قال : ((لم لم يظهر الامام عليه السلام ، و إن كان ظهوره يؤدي إلى قتله ، فيكون البرهان له ، والحجة في إمامته أوضح ، ويزول الشك في وجوده والارتباب ؟)) .

أجاب الشيخ :

((لم يجب ذلك على الامام عليه السلام ، بعد أن كان الناس هم سبب الغيبة ، والمسؤولين عن عواقبها ، كما أن الله تعالى لا يجب عليه تعجيل النعمة على العصاة والمفسدين ، مع أن في ذلك توضيحاً لقدرته ، وتأكيداً في حجته ، وزجراً للناس عن معاصيه .

مع أن العلم بترتب الفساد على ظهوره يمنع من إيجاب ذلك عليه ، وهو الدليل على كون اقتراحه عليه خطأ ، وإنما يكون صواباً إذا ترتب عليه الصلاح والإصلاح .

والإمام عليه السلام ، لو علم في ظهوره مصلحة لما بقي في الغيبة طرفة عين ، ولا فتر عن المسارعة إلى الظهور .

والدليل على عصمته ، مع عدم ظهوره ، هو الدليل على معرفته لعدم المصلحة في الظهور في هذا الزمان .

والحاصل ان الالتزام بمسلمات الامامة وأصولها الثابتة ، يؤدي إلى

و السيد المرتضى كاستاذة المفيد في (الشافى) ذكر بعدهم ذلك أيضاً ، و ركز في ذخيرته البحث فى حكمة الخوف على النفس ..

ثم جاء الشيخ الطوسى ليركز على هذا السبب بالخصوص ، ويحصر الأمر فيه .

وقال بصريح العبارة : " لا علة تمنع من ظهوره ﷺ ، إلا خوفه على نفسه من القتل ، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار ، وكان يتحمل المشاق والأذى ، فان منازل الأئمة وكذلك الأنبياء ﷺ ، إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاق العظيمة فى ذات الله ."^(١) .

ودفع بقية الأسباب بشكل واضح بقوله قدس الله نفسه : ((وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة فى حال الغيبة ، وصعوبة الأمر عليهم ، واختبارهم للصبر عليه ، فالوجه فيها :

الإخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق ، لا أن الله تعالى غيب الامام ليكون ذلك .

وكيف يريد الله ذلك ، وما ينال المؤمن من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ، ومعصية ، والله تعالى لا يريد ذلك !؟

بل سبب الغيبة هو الخوف ، على ما قلناه ، وأخبروا بما يتفق فى هذه الحال ، وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك ، والتمسك بدينه إلى أن يفرج الله تعالى عنهم ."^(٢) .

ولكن لماذا يخاف الإمام (محمد بن الحسن ﷺ) على نفسه من القتل ،

١ - كتاب الغيبة / تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسى ٣٨٥ ٤٦٠ هـ - ٥ / تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني ، و الشيخ علي احمد ناصح / مؤسسة المعارف الاسلامية / ص ٣٢٩ .

٢ - غيبة الطوسى / ص ٣٣٥ .

وقد خرج الإمام الحسين عليه السلام، وضحى بنفسه في كربلاء ؟

والفرق واضح ، فذاك عليه السلام علم من أن الأمر لو وقع فهناك من يبقى حجة على خلق الله ، كما أن له من يطالب بثأره ، مع في قيامه من إنقاذ لدين الله ، بينما في قتل هذا ذهاب وطمس لدين الله ، لأنه لو قتل لم يسد أحد مسده ، ولا يحل محله ، ومعها لا يبقى حجة لله ، فتسوخ الأرض بأهلها ، فاتبه لذلك .

و للحديث طرف آخر أجاب عنه الشيخ المفيد رحمه الله تعالى بما هو مفيد عندما أجاب عن سؤال المعاند حيث قال : ((لِمَ لَمْ يظهر الامام عليه السلام ، و إن كان ظهوره يؤدي إلى قتله ، فيكون البرهان له ، والحجة في إمامته أوضح ، ويزول الشك في وجوده والارتباب ؟)) .

أجاب الشيخ :

((لم يجب ذلك على الامام عليه السلام ، بعد أن كان الناس هم سبب الغيبة ، والمسؤولين عن عواقبها ، كما أن الله تعالى لا يجب عليه تعجيل النعمة على العصاة والمفسدين ، مع أن في ذلك توضيحاً لقدرته ، وتأكيداً في حجته ، وزجراً للناس عن معاصيه .

مع أن العلم بترتب الفساد على ظهوره يمنع من إيجاب ذلك عليه ، وهو الدليل على كون اقتراحه عليه خطأ ، وإنما يكون صواباً إذا ترتب عليه الصلاح والإصلاح .

والإمام عليه السلام ، لو علم في ظهوره مصلحة لما بقي في الغيبة طرفة عين ، ولا فتر عن المسارعة إلى الظهور .

والدليل على عصمته ، مع عدم ظهوره ، هو الدليل على معرفته لعدم المصلحة في الظهور في هذا الزمان .

والحاصل ان الالتزام بمسلمات الامامة وأصولها الثابتة ، يؤدي إلى

الالتزام بالواقع حقاً لا ريب فيه .

ولا بد أن يُجعل هذا أساساً لما يدور من بحوثٍ حول الغيبة ، وإلا فالبحث عن الغيبة بدون ذلك لغوٌ غير منتج .^(١)

ونحن نسلم بهذا ، ونؤكدده ، لكننا لأجل إتمام الفائدة نذكر بقية الأسباب ، وإن كان هي أشبه بالمعوقات ، والموانع لظهوره ، لو أخذنا بها على ما هي عليه ، وبعضها أشبه بالألطف الخفية للمؤمنين ، لأجل تكاملهم ما دامت الغيبة حاصلة بفعل الظالمين .

ب) : التمييز والتمحيص :

إذ هناك تمحيص وغرلة للشيعه أنفسهم فلاحظ قول الإمام الصادق عليه السلام :

(والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا ، وتمحصوا ، ثم يذهب من كل عشرة شيء ، ولا يبقى منكم إلا الأندر ، ثم تلا هذه الآية : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " ^(٢)) .

وقد روى كل من الشيخ الصدوق و الشيخ الطوسي رحمهما الله تعالى روايات عديدة في هذا المضمون عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام .

وفي بعضها كما يغربل الزوان من القمح .

فهي غرلة حقيقية للناس جميعاً ، واختبار إلهي للعموم ، كما هي كذلك للشيعه بالخصوص .

فقد ((روى سعد بن عبد الله ، عن أبي محمد الحسن بن عيسى العلوي قال : حدثني أبي عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن جعفر ، عن أبيه

١ - رسائل في الغيبة / المفيد / ج ٤ / ص ٦ .

٢ - قرب الأسناد للحميري / ١٦٢ ، وعنه في بحار الانوار / ٥٢ / ١١٣ .

علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قال لي : يا بني إذا فقد الخامس من ولد السابع من الائمة فالله الله في أديانكم ، فإنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبةٍ يفيها ، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به .

يا بُني إنما هي محنة من الله إمتحن بها خلقه ، لو علم أبواكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا الدين لاتبعوه .

قال أبو الحسن : فقلت له : يا سيدي من الخامس من ولد السابع ؟

قال : يا بُني عقولكم تصغر عن هذا ، وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إن تعيشوا تدركوه . ((^١)).

وفي الرواية الطويلة المروية عن سدير الصيرفي التي أوردنا طرفاً منها فيما سبق ، يظهر ذلك أيضاً بكل وضوح :

فقد ورد فيها بعد أن بين الإمام عليه السلام ما مر على قوم نوح من اختبار طويل ارتد فيه كثير ممن كان مؤمناً بحسب الظاهر :

((إلى أن عادوا إلى نيف وسبعين رجلاً ، فأوحى الله عزوجل عند ذلك إليه وقال: الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك ، حين صرح الحق عن محضه ، وصفا الأمر للإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة .

فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الذين أخلصوا لي التوحيد من قومك ، واعتصموا بجبل نبوتك ، بأن أستخلفهم في الأرض ، وأمكن لهم دينهم ، وأبدل خوفهم بالأمن ، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشك من قلوبهم .

وكيف يكون الإستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن مني لهم ، مع

ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينتهم ، وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوخ الضلالة؟!))^(١) .

((قال الصادق عليه السلام : وكذلك القائم عليه السلام ، فإنه تمتد غيبته ليصرح الحق عن محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر ، بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين ، والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام .))^(٢) . ولو قال أحدهم من أن هذه ((هذه كلها أخبار آحاد لا يعول على مثلها في هذه المسألة لأنها مسألة علمية .)) .

كما أورد الشيخ هذا الإشكال منهم ، فإجابتنا قريبة من إجابته إذ نقول: أولاً: ((موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشئ قبل كونه فكان كما تضمنه .))^(٣) .

فحتى لو كانت الرواية ضعيفة ، فهي صادقة بما وقع من الإخبار فيها بطول الغيبة ، فهي من أمور الغيب التي تدل على صدق من قالها ، وأنها لا بد أن تكون صادرة منهم ، وكما أخبر الشيخ وبين .

ثانياً : إخبار الشيخ بتواترها عندنا إذ قال ((على أن هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنى .))^(٤) .

ثم فصل ذلك بقوله : ((فأما اللفظ فإن الشيعة تواترت بكل خبر منه ، وأما المعنى فإن كثرة الأخبار ، واختلاف جهاتها وتباين طرقها ، وتباعد روايتها ، يدل على صحتها ، لأنه لا يجوز أن يكون كلها باطلة .))^(٥) .

١- ص ١٧١ .

٢- ص ١٧٢ .

٣- ص ١٧٣ .

٤- ص ١٧٣ - ١٧٤ .

٥- المصدر السابق / ص ١٧٤ .

بالإضافة إلى ذلك يفسرها قوله تعالى : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))^(١)

والوليجة : كما هو بين عند مراجعة كتب اللغة والتفسير آتية من ولج يلج بمعنى دخل يدخل ، فالولوج الدخول ، وقال أبو عبيدة : كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة . انتهى .

- فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم ، والبطانة مثله .
- و وليجة الرجل من يختص بدخلة أمره دون الناس .
- و الواحد والجمع فيه سواء .
- قال طرفة بن العبد :

فَإِنَّ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَالِجًا تَشَائِقُ عَنْهُ أَنْ تَوَلَّجَهُ الْإِبْرُ^(٢)

فمن هنا يتبين لنا معنى الوليجة واضحا ، فاتخاذ أي جهة غيرهم معناه الإنحراف عنهم ، ومعناه الخروج عن الصراط المستقيم .

قال ابو جعفر عليه السلام في صحيحة أبي الصباح الكناني " إياكم والولائج ، فَإِنَّ كُلَّ وَلِيْجَةٍ دُونَنَا فَهِيَ طَاغُوتٌ ، أَوْ قَالَ : نَد . "))

وعن أبي عبد الله عليه السلام كذلك قال : ((إن أول ما يسأل العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضة ، وعن الزكاة المفروضة ، وعن الصيام المفروض ، وعن الحج المفروض ، وعن ولايتنا أهل البيت ، فان

١ - {التوبة: ١٦} .

٢- راجع كتب اللغة والتفسير .

أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه ، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل منه شيئاً من أعماله. ^(١) .

فهناك الإختبار الإلهي ، وهنا أحد مصاديقه المهمة .

ج) : لتتحد القلوب على الوفاء :

ويقول عليه السلام في رسالته الثانية للشيخ المفيد : (ولو أن أشياعنا - وفقهم الله طاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالحمد عليهم ، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يجسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم...) ^(٢) .

د) : اكتمال عدد الناصرين :

وهذا مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام روي انه عليه السلام لما عزم على المسير إلى الشام لقتال معاوية قال - بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إتقوا الله عباد الله ، وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم ، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر ، إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتهم نهضوا معي ، لاستغنيت بهم عن كثير منكم ، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه ، فإنه الجهاد المفروض " ^(٣) .

فالعدد مهم .

وعن أبي خالد الكابلي قال : قال لي علي بن الحسين عليهما السلام : يا أبا خالد لتأتين فتن كقطع الليل المظلم ، لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه ، أولئك

١- البحار ٢٧ : ١٦٧ .

٢- الاحتجاج / ٢ / ٣٢٥ ، وعنه في معادن الحكمة / ٢ / ٣٠٦ ، وبحار الأنوار / ٣٥ / ١٧٦ .

٣- الإفصاح / الشيخ المفيد / ص ٢٦٣ . / الاحتجاج / الشيخ الطبرسي / ج ١ / ص ١٧٢ .

ونقله العلامة المجلسي / البحار / ج ٨ / ٦٩٧ ، ٤٧٢ .

مصاييح الهدى ، وينايع العلم ، ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة ، كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم ، بظهر كوفان ، في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، وإسرافيل أمامه ، معه راية رسول الله ﷺ ، قد نشرها ، لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم الله عزوجل . (١) .
ولكن العدد ليس كل شئ ، كما لو تمعنا في الرواية الأولى ، إذ العدد بالكيفية المطلوبة - إذا أمرتهم أطاعوني ، وإذا استنهضتهم نهضوا معي - مطلوب ، لا أي عدد ممن يدعي أنه من شيعته .

ولذا جاء (د) .

(د) : لإكمال العدد المطلوب من الناصرين والمؤيدين من جهة الكيفية :

وهذا يظهر من روايات كثيرة منها :

حدث إبراهيم عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال : كنت عند سيدي الصادق عليه السلام ، إذ دخل سهل بن حسن الخراساني فسلم عليه ، ثم جلس ، فقال له : يا ابن رسول الله ، لكم الرأفة والرحمة ، وأنتم أهل بيت الإمامة ، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه ، وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف !؟

فقال له عليه السلام : (اجلس يا خراساني ، رعى الله حقك) .

ثم قال : (يا حنفية ، أسجري التنور) ،
فسجرت حتى صار كالجمرة ، وابيض علوه .

ثم قال عليه السلام : (يا خراساني ، قم فاجلس في التنور) .

فقال الخراساني : يا سيدي يا ابن رسول الله ، لا تعذبني بالنار ، أقلني أقالك الله .

قال : (قد أقتلك) .

فبينما نحن كذلك ، إذ أقبل هارون المكبي ، ونعله في سبابته ، فقال : السلام عليك يا ابن رسول الله .

فقال له الصادق عليه السلام : (ألق النعل من يدك ، واجلس في التنور) .

قال : فألقى النعل من سبابته ، ثم جلس في التنور .

وأقبل الإمام عليه السلام يحدث الخراساني حديث خراسان ، حتى كأنه شاهد لها ، ثم قال : (قم يا خراساني ، وانظر ما في التنور .) .

قال : فقمتم إليه فرأيته متربعاً ، فخرج إلينا ، وسلم علينا .

فقال له الإمام عليه السلام : (كم تجد بخراسان مثل هذا ؟) .

فقلت : والله ، ولا واحداً .

فقال عليه السلام : (لا والله ولا واحداً ، أما إننا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا ، نحن أعلم بالوقت . ^(١)) .

ولذا قال الشيخ المفيد رضي الله عنه حضرت مجلس رئيس من الرؤساء ، فجرى كلام في الإمامة ، فانتهى إلى القول في الغيبة ، فقال صاحب المجلس : أليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد عليه السلام : أنه لو اجتمع للامام عدة اهل بدر ثلاثمائة و بضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف ؟

فقلت : قد روي هذا الحديث .

قال : أو لسننا نعلم يقيناً أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدة اهل بدر؟ .

فكيف يجوز للامام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها ؟

١- مناقب آل أبي طالب/ تأليف للإمام الحافظ ابن شهر اشوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب ابن أبي نصر بن أبي يش السروي المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ . / ج٣ / ص٣٦٢-٣٦٣ / فصل في حرق العادات له عليه السلام / المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف / ١٩٥٦ م .

فقلت له : إن الشيعة وإن كانت في وقتنا كثيراً عددها ، حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعافاً مضاعفة ، فإن الجماعة التي عدتهم عدة أصحاب بدر إذا اجتمعت فلم يسع الإمام التقية ، ووجب عليه الظهور ، لم تجتمع في هذا الوقت ، ولا حصلت في هذا الزمان ، بصفتها ، وشروطها .

وذلك إنه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة، والصبر على اللقاء، والإخلاص في الجهاد ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، ونقاء السرائر من العيوب ، وصحة العقول ، وأنهم لا يهنون ، ولا ينتظرون عند اللقاء .

و يكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف .

وليس كل الشيعة بهذه الصفة ، ولو علم الله تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الامام عليه السلام لا محاله ، ولم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين ، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه ، فلذلك ساغ للإمام الغيبة ، على ما ذكرناه . ((^(١))).

(هـ) : لبيان فشل حكم الآخرين سواء أكان حكمهم مستتباً من الرسائل السماوية ، أو مأخوذاً من الأرضية ، كحكم الشورى وغيرها ، أو الحكم الديمقراطي ، أو الإقطاعي ، والرأسمالي أو الشيوعي والشعبي ، وبعنوان دولة أو مملكة أو جمهورية ، أو أي اسم آخر كان أو يكون ، ووضوح ذلك للناس :

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

((دولتنا آخر الدول . ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا ، لثلاثاً

١- ص ١٢ / الإفصاح في امامة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويليهِ إيمان أبي طالب / تأليف الفقيه

المتكلم أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد / قسم الدراسات

الاسلامية ، مؤسسة البعثة / قم المقدسة .

يقولوا إذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل : " والعاقبة للمتقين ^(١) .."

(و) : لثلا يكون في عنقه بيعة لأي أحد اذا قام بالسيف :

روى النعماني في الخبر السابع و الأربعين من باب : ما روي في غيبة الإمام المنتظر (عج) روى بسنده عن الكُنَاسِي عن الإمام الباقر عليه السلام قال : (إن لصاحب هذا الأمر غيبتين ، (و) لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة) .

ثم روى ما رواه الكليني عن هشام بن سالم ، عن الصادق عليه السلام قال : (يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عقد ، ولا عهد ولا بيعة) .

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال : في جواب من سأله عن علة الغيبة : (لثلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف . ^(٢)) . وقد روي عن الإمام المهدي عليه السلام أنه قال في توقيعه الى إسحق بن يعقوب ، في جواب أسئلته :

(... وأما علة ما وقع من الغيبة ، فإن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) ^(٣) . إنه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي ^(٤)) .

وهذا المعنى قد روي كثيراً عن الصادق عليه السلام ، في مناسبات مختلفة ، وبألفاظ مقاربة .

١- سورة الاعراف / الآية ١٢٨ . غيبة الطوسي / ٤٧٣-٤٧٣

٢- علل الشرائع : ١ / ٢٤٥ ، عيون الأخبار الرضا / ١ / ٢٧٣ .

٣- المائدة / ١٠١ .

٤- كمال الدين / ٤٨٥ ؛ غيبة الطوسي / ٢٩٢ .

القسم الثاني أطروحة :

تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيباً ليوم الظهور

لقد فرق الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر في " تاريخ الغيبة الكبرى بين قسمين سمى الأول منهما " شروط الظهور " ، والثاني " علامات الظهور " ^(١). وفرق بينهما بما هو ظاهر من معنى الشرط أي لا بد من وقوعه وتحققه لأن المشروط عدم بانعدام شرطه حتى يتحقق الظهور ، ومن علامات وهي عبارة عن دلالة وهداية على الوقوع ، وهذا هو زبدة الفرق .

وقد جعل الفروق سبعة كلها يدور حول الذي ذكرنا ؛ وقد ذكر في الفرق الخامس بينهما :

(فان العلامات بصفتها دلالات وكواشف عن الظهور ، فان وظيفتها سوف تنتهي عند حدوثه ، ولا يبقى لها أي معنى بعده . وأما الشرائط فحيث أنها دخيلة في التسبب إلى وجود يوم الظهور ، وإلى تحقق النصر فيه ... فلا بد أن تجتمع في نفس ذلك العهد، حتى تكون بمجموعها الشرط الكامل للنجاح. إذ مع تخلف بعضها تتخلف النتائج المطلوبة ، لا محالة . ^(٢) .

قال بعدها : (ونحن إذ نتكلم عن شرائط الظهور ، إنما نريد بها الشرائط التي يتوقف عليها تنفيذ اليوم الموعود ، ونشر العدل الكامل في العالم كله فيه... ^(٣) .

-
- ١- أنظر " تاريخ الغيبة الكبرى " / الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر / القسم الثالث / في شرائط الظهور وعلاماته / ص ٣٩٣ .
 - ٢- أنظر المصدر السابق / ص ٣٩٧ .
 - ٣- المصدر نفسه / ص ٣٩٨ .

وجعلها شروطاً ثلاثة :

(الشرط الأول : وجود الأطروحة العادلة الكاملة) ، وهو متحقق .

الشرط الثاني سنأتي لذكره بعد ذكر بقية شروطه .

(الشرط الثالث :

وجود الناصرين المؤازرين المنفذين بين يدي ذلك القائد الواحد .) .

ثم أضاف شرطاً رابعاً :

(أنه قد يقال بلزوم شرط رابع لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في اليوم

الموعود ، وهو وجود قواعد شعبية كافية ، ذات مستوى في الوعي والتضحية

كاف ، من أجل هذا التطبيق ، لتكون هي رائده الأول ، في اليوم الموعود .^(١) .

وهذه كلها ما عدا الذي لم نذكره مقتنصة من الروايات التي بين أيدينا ،

ومستفادة من أصل التشريع الإلهي ، ونجاح الحركات الإنتقالية في المجتمعات

البشرية .

و أما الشرط الثاني فيقول فيه :

(الشرط الثاني :

وجود القائد المحنك الكبير الذي له القابلية الكاملة لقيادة العالم كله) .

(وَيَتَمَّ الكلامُ حول هذا الشرط ضمن نقطتين :

النقطة الأولى :

يرجع هذا الشرط بالتحليل إلى شرطين :

أحدهما : اشتراط وجود القائد للثورة العالمية . حيث لا يمكن تحققها من

دون قائد .

١ - راجع في ذلك كله الكتاب المذكور ، وما حول الصفحة (٤٠٩) .

ثانيهما : أن يكون لهذا القائد قابلية القيادة العالمية .) .

وتكلم في الجهة الثانية حول : (ارتباط شرائط الظهور بالتخطيط الالهي . والتخطيط الإلهي يقوم بتربية البشرية بأسلوب معين ، لأجل إيجاد هذه الشرائط تدريجياً ، خلال عمر البشرية الطويل .^(١)) .

وفي هذا الحديث المقتضب لا إشكال ، لكن لو نزلنا إلى التفصيل الذي ذكره حول هذه النقطة بالذات لرأينا أن ما فيها قابل للمناقشة .

وسأنتي للحديث عنها بنوع من التركيز ، بعد أن نقدم ما ربما كان منطلقاً لهذه النظرية .

قال أستاذنا الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله تعالى) :

((إن عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها ، مشحوناً بالشعور بالتفوق ، والإحساس بضالة الكيانات الشاغخة التي أعد للقضاء عليها ، ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد ، ولما كانت رسالة اليوم الموعود تُغير عالم مليء بالظلم وبالجزور تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية ، وكياناته المتنوعة ، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله ، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشؤوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها ، واستبدالها بحضارة العدل والحق ،)) .

ولا إشكال فيما تقدم من كلامه (قُدس سره) ، ولكن لنا وقفات مع كلامه اللاحق حيث يقول :

((أضف إلى ذلك أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها أثر كبير في الإعداد الفكري

وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ، لأنها تضع الشخص المدخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيها من نقاط الضعف والقوة ، ومن ألوان الخطأ والصواب ، وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها وكل ملاساتها التاريخية . (١) .

من كلامه هذا يظهر لنا :

إن إعداد الفكر للإمام المعصوم في هذا التغيير الكبير يحتاج إلى تجربة كبيرة .

وهو كلام مقبول على الموازين الطبيعية لفرد طبيعي .

ولو قلنا بذلك بالنسبة إلى المعصوم لوقعنا بمطبخ كبير لم يلتفت إليه ، وهو أن التجربة تزيد بجزرة المعصوم .

وهذا فيه :

(١) : قلنا من أن هذا طبيعي لفرد طبيعي ، ولكن الأمر ليس طبيعياً على كل حال ، فهو خارج عن حدود الطبيعة المعروفة .

إذ هذه الحالة هي حالة خاصة .

إذاً له طبيعته الخاصة به ، ولا يمكن قياسها بالحالات الطبيعية المعروفة والمدروسة والواقعة تحت التجربة .

فلا يمكن معرفتها بما لدينا من مسلمات طبيعية .

(٢) : لو تم هذا هنا لثم في غيره ولا فرق ، فحينئذ يقع الإرتباك لأن هناك مجالاً واسعاً حينئذ لمن يأتي في أي وقت ليقول أنا لي خبرة أكثر من المعصوم نفسه ، فيقع ما يقع من الفساد .

(٣) : الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود .

الإعداد الفكري للموعد يفتقر إلى تجربة (مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها) إذ لها " أثر كبير " في ذلك .
ولو صح هنا لصح في غيره أيضاً ، وهو كما ترى .

إذ لو كان كذلك لاحتاج بعض المرسلين الشباب لتجربة - حتى لو كانت تلك التجربة أقل من هذه التجربة - ، تؤهلهم لكي يتصدوا للأمر الذي كلفوا به ، ولكن نرى من أنه لم تكن ثمة تجربة لهم بل إن بعضهم قد حمل ما حمل وهو ما زال طفلاً رضيعاً .

وإن ننس فلا ننس من أنه نفسه الحجة بن الحسن روعي فداءه عليه السلام قد تكفل بأعباء الإمامة وعمره الشريف لم يتجاوز الخامسة ، فأين تجربته في القيادة حينها ؟

وخاصة وهو يقوم بالقيادة في ظروف خاصة لم يسبق أن مر بها أحد من أجداده البررة عليهم السلام ، وتقصد بها ظروف الغيبة الصغرى ؟

فكيف كان أهلاً لتحمل أعباء الإمامة وبظروف عجيبة وعصية ، وهو لا يملك تجربة ، ولم يمر بمراحل استيعاب هذه المرحلة ؟
وقد امتدت كما يعلم الجميع لحوالي سبعين عاماً .

ومن قبله الإمام الجواد عليه السلام .

فأين تجربته ؟ .

وهكذا نوسع الإشكال ليشمل حتى نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام ، كيف تحمل أعباء النبوة والكتاب والحكمة وهو بعد رضيع ، مع حيلة وشيطة اليهود وشدة مكرهم ، وهو لا يملك أي تجربة ، وأي معرفة عن المجتمع ؟

وهكذا بالنسبة ليحيى النبي ، وهكذا يتسع الفتق على الراقق .

وما أجبت به هناك ستجاب هنا ، ولا فرق .

من هذا يتبين أن هؤلاء لهم كمالاتهم الخاصة ، و أمورهم الغيبية المرتبطة بالله سبحانه ، ربما لا تستطيع أفهامنا أعني أفهام البشرية جمعاء من الإحاطة بها إلا بالتسليم المطلق المؤيد من قبل الله تعالى .

وهؤلاء لهم إمكاناتهم الخاصة التي ليست مرتبطة لا بتجربة ولا بطريقة تعليم كلاسيكية ، سوى الطريق الغيبي الإلهي .

ثم وإن كان المطلب سيبدو غريباً نوعاً ما إلا أنه لا بد من طرحه حتى تكتمل الصورة ، وهم المربوطون بالله تعالى ، غير المحتاجين لا إلى تجربة ولا إلى تعليم أحد إلا الله ، أو أن الله يعلمهم بكيفيات خاصة لا نحيط بها ، ولو كان ما يصلح كمثال ضد هذا فهو مردود ، بأدنى تأمل ، مما ربما سيأتي الحديث حوله في هذا الكتاب .

أقول : هل الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى تعليم ، أو إلى تجربة ؟ .

هؤلاء المربوطون به أيضاً لا يحتاجون إلى تعليم سوى منه ، لأنهم يمثلونه في الأرض ، إذ هم خلفاؤه الحقيقيون ، البالغون أعلى درجات الإخلاص له ، ومن ذلك استخلصهم لنفسه .

إذاً ما يأتي في تصورنا غير هذا فلا حقيقة له .

ولكن ما يربك الصورة أن لدينا آيات تفيد الزيادة وتفيد الإطمئنان وتفيد التعلم ، وهناك روايات تفيد الزيادة الفعلية ، بل صريحها ذلك ، ومن هنا أخذ القوم .

فوق من وقع ، حتى أن فطاحل القوم لم ينجوا منها .

ولو تعرضنا لما ذكره الشهيد السعيد السيد الصدر الثاني في كتابه تاريخ الغيبة الكبرى لرأينا الحديث فيه شجون أيضاً ، إذ بعد أن فرق بين ما سماه شرائط الظهور وبين علاماته ، كما قدمنا ، قال عند تعرضه لبيان جهات

شروط الظهور: ^(١) في الجهة الرابعة: (التخطيط الإلهي الخاص بإيجاد القائد ^(٢)).

(ويكون ذلك على مستويين : الأول : بلحاظ إيجاد قابلية هذه القيادة في شخص القائد .

والثاني : باعتبار تكامل هذه القابلية لديه . ^(٣)) .

ثم بعد أن تكلم في المستويات الثلاثة لتعليم القائد قال : (وأما القيادة القائمة على الأساس الالهي ، فهي تنطلق من عدة زوايا ، كل واحدة منها تحتاج إلى تعليم أولاً ، وإلى مران وتمحيص ثانياً ، وإلى تكامل وتعميق ثالثاً ^(٤)) .

ومن ذلك يقتضى عدة نتائج مهمة : وفي النتيجة الأولى يقول :

(يكون من المستحيل عادة وجود قائد عالمي يقوم في قيادته على أساس مادي . وهو - أيضاً - مما لم يحدث في أي فترة من التاريخ . فان القيادة العالمية لا تكون إلا من التعليم الالهي ، ذلك التعليم المنافي للأساس المادي . وكل القواد الدينيين أو الماديين ليسوا عالميين على أي حال ، وإن قادوا دولاً كبيرة . ^(٥)) .

وهو رأي سديد .

وفي الثالثة يقول : (النتيجة الثالثة :

أنا نقول نفس الشيء بالنسبة إلى المهدي الذي يولد في آخر الزمان ، طبقاً

١ - وقد ركزنا الحديث حول هذه الجهة لأنها مرتبطة بموضوعنا الذي نتحدث عنه .

٢ - تاريخ الغيبة الكبرى / ص ٤١٥ .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - المصدر نفسه / ص ٤١٧ .

٥ - المصدر نفسه / ص ٤١٨ .

للفهم غير الامامي .

فانه بعد وضوح انتفاء الوحي بالنسبة إليه ، لا يكون قابلاً للقيادة العالمية التي يجب أن يتكفلها بعد انفصاله عن التربية الالهية المباشرة وبالواسطة أيضاً. فإنه لا يوجد في عصره قائد عالمي سابق عليه لياشر تعليمه وتكميله .
فإن قال قائل : إن التمحيص الساري المفعول خلال عصر الغيبة الكبرى، كفيل بإيجاد مثل هذا الشخص .

قلنا له : كلا ، فان غاية ما للتمحيص من مقدرة هو إيجاد الأفراد المخلصين إلى درجة عالية ، بحيث يستطيعون المشاركة في قيادة العالم ، تحت إشراف القائد الأكبر ، وأما أن يخلق التمحيص شخصاً له قابلية قيادة العالم ، من خلال عدد محدود من السنوات ... فلا .^(١) .

(فإن قال قائل : فان التمحيص يمكن أن يفرض مضاعفة بالنسبة وإليه وتشديده عليه ، ليصنع منه قائداً عالمياً .

قلنا في جوابه إن التمحيص قاصر أساساً على إيجاد القائد العالمي . فإن التمحيص شيء والقيادة شيء آخر . ولولا التعليمات الموسعة التي يتلقاها المحصون من قبل المهدي عليه السلام لقيادة العالم بعد ظهوره ... لما أمكنهم ممارسة القيادة لمجرد كونهم محصين . فان ما يفعله التمحيص هو تقوية الايمان والاخلاص وقوة الارادة ، وهذا مما لا يكفي وحده لقيادة أياً كانت ، فضلاً عن قيادة العالم .) .

ثم يقول : (فإن الأسلوب الوحيد الذي يمكن به ربط الإمام المهدي عليه السلام في تربيته القيادية بالوحي ، ولو بالواسطة ، هو أنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، ليكون قد تلقى الحقائق الكبرى عن طريق آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله عن الوحي الالهي .

فإذا تم ذلك ، تعين كونه مولوداً في زمان أيه وبقياً إلى الآن ، محفوظاً بعناية الله تعالى ، من أجل أن يقوم بالقيادة الكبرى في اليوم الموعود . إذن أصبحت الغيبة الكبرى من الأسباب الضرورية لنجاح الدعوة الالهية في ذلك اليوم (١) .

وهو كلام يتقبله المتقبل له .

ثم بعدها تكلم عن المستوى الثاني ، فقال :

(في تكامل قابلية القيادة العالمية من الكامل إلى الأكمل ، بلحاظ أطروحة نظرهما ، ونحاول البرهنة عليها . ويقع الكلام في ذلك في جوانب ثلاثة ...) ، ويطرحها .

ولا كلام لنا في الجانبين الأولين ولكن في الجانب الثالث لنا حديث واسع ، حيث يقول :

(هو انه ﷺ يتكامل - بعد العصمة - خلال غيبته ، بعدة اسباب :

السبب الأول :

الإلهام بالمعنى الذي قلنا بصحته ، ودلت الاخبار على وجوده .) .

وهو مما لا كلام لنا فيه في الجملة ، ولكن هذا لا شأن له في الغيبة أصلاً ، فضلاً عن طولها ، كما تلاحظ ، وسيأتي زيادة بيان .

ثم يقول : (السبب الثاني :

لتكامل الامام المهدي ﷺ ، ما يحدث في عصر الغيبة من الإنحراف

والفتن .

فانه موجب لتكامله من جهتين :

الجهة الأولى :

ما يواجهه ﷺ شخصياً من الظلم والانحراف^(١) .

وهو أول الحديث لأننا لم نطلع على كيفية حياته ، وارتباطه بالأحداث ،
فعلّ هناك جهات إرتباط قاصرة أذهاننا عن نيلها .

والكلام كأنه منصب على أن معيشته مثل أجداده وآبائه عليهم السلام في
المجتمع ، وهو مما لم يقم عليه دليل .

ويمكن أن ترد هذه الجهة بصورة خاصة وغيرها بالعموم بما ورد عنه ﷺ
في رسالته الأولى ، والتي ذكرناها سابقاً للشيخ المفيد رحمه الله إذ يقول فيها :

(نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين ، حسب الذي
أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ، مادامت دولة الدنيا
للفاسقين . ^(٢)) .

فلاحظ قوله ﷺ " نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين"
، فكيف يصح أن نقول بعدها " ما يواجهه ﷺ شخصياً من الظلم
والانحراف" ، وهو بعيد عن مساكن الظالمين ؟!

ويتم الشهيد الصدر الثاني رحمه الله كلامه : (الجهة الثانية :

أنه يمكن أن يقال على شكل الأطروحة المحتملة : إن معاصرة
المهدي ﷺ، التاريخية الطويلة ، للأجيال ، توجب له الإطلاع المباشر على
قوانين تطور التاريخ ، وتسلسل حوادثه ، وما يؤثر في المجتمعات البشرية
ونفوس الأفراد من مؤثرات سلبية وإيجابية ، مما لا يمكن التوصيل إليه عن
طريق آخر أصلاً ، كمرآة التواريخ المسجلة ، أو معاصرة الحقبة الزمانية
خلال حياة قصيرة^(٣) .

١- المصدر السابق / ص ٤٢١ .

٢- معادن الحكمة : ٢ / ٣٠٣ ، بحار الانوار : ٥٣ / ١٧٤ .

٣- المصدر نفسه / ٤٣٠ .

وهذه إذاً يلاحظ المتلقي لهذه النظرية مبنية على (الأطروحة المحتملة) ، ونحن نتحدث عن إمام معصوم موجود ، وعلّة تأخره ، لا عن احتمالات وظنون ، وللكلام بقية .

كما أنه هو نفسه يرد على هذه الجهة بقوله قبل صفحات من كتابه : (فان القيادة العالمية لا تكون إلا من التعليم الإلهي ، ذلك التعليم المنافي للأساس المادي . وكل القواد الدنيويين أو الماديين ليسوا عالميين على أي حال ، وإن قادوا دولاً كبيرة .^(١) .

فكيف ربطتها الآن - يا سيدنا رحمك الله - بالأساس المادي ؟!

(السبب الثالث :

من أسباب تكامل الإمام المهدي عليه السلام ، في تكامل ما بعد العصمة ... خلال غيبته : ما يقوم به عليه السلام من أعمال وتوضيحات اختيارية في سبيل الإسلام والمسلمين .^(٢) .

كيف ؟ وأنى ؟ ومتى ؟

هذا مما لا تحيط به عقولنا ، فكيف ندرك ذلك ، حتى نجعله من أسباب

تكامل الإمام المهدي عليه السلام ؟!

(فهذه هي الأسباب الثلاثة التي تسبب تصاعد المهدي عليه السلام في درجات الكمال خلال غيبته الكبرى ، بحسب معرفتنا لا بنحو الحصر الكامل .^(٣) .

ولكن مع الأسف وإن كانت كثير من المقدمات صحيحة إلا أن بعضها ظنية احتمالية ، والنتيجة تتبع أخس المقدمات ، فلا يمكن لنا أن نثبت ذلك

١- المصدر نفسه / ص ٤١٨ .

٢- المصدر نفسه / صفحة (٤٣٣) .

٣- المصدر نفسه / ٤٣٤ .

بدليل ، فالأطروحة مع الأسف ليست بتامة .

وقد أتعب نفسه بذكر آيات ليستفيد منها ذلك ، ولكن هذا لم يفد دعواه شيئاً ، فإننا لا ننكر الزيادة بصريح الروايات .

ولو سلمنا بصحة كل ما ذكر من شرح للآيات بما بين و أنه كان لتكامل المعصوم ، إذ للتقاش في بعضها على ما ذكر مجال واسع . فهذا ما حصل لنا إلا ببركة الطريق الذي أخبر به الله نبيه وفصله في كتابه .

فحيثذ لنا أن نقول : لو ثبت ذلك كله على ما وجه ، فأنى لنا أن نثبت من أن هذا يجري للإمام المعصوم عليه السلام في الغيبة الكبرى و طولها ؟

أي أنى لنا أن نثبت من أن السبب في تأخر الغيبة ، ووجود الإمام عليه السلام ، هو لأجل نضوجه ، حتى وإن كان هذا النضوج نضوج تكامل له ما بعد العصمة ، و لأجل إتمام قابلياته ؟!

أنى لنا إثبات ذلك ؟

وما هو إلا رجم بالغيب ، ومن أعجب العجب أن يصدر هذا من مثله ، لأن هذا مرتبط بعالم الغيب أولاً و آخرأ .

ثم إن هذا إخبار عن قابليات الإمام سلام الله عليه وحدودها ، وكيفية اتساعها ، وهو مما لم ، ولا ، ولن يطلع عليه أحد غير رب العزة جل شأنه .

و إذا أراد الله بيانه ، فالمعصوم من يُخبر به ؛ و لم يخبر عنه المعصوم أبداً ، لأنه لم ترد ولا رواية ضعيفة فيما أفاد ، وهو إن سبب طول الغيبة لتكامل الإمام عليه السلام ونضوجه .

بل هو ما أوصله إليه ظنه ، فأصله ، وقد أطلال فيما فصل .

و (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً)^(١)

ثم هو بنفسه ذكر في أول الكتاب قال : (وملخص المنهج الذي سنسير عليه ، هو : إن السؤال المثار تاريخياً ، له صورتان ، إحداهما : أن يوجد في الأخبار ما يصلح أن يكون جواباً عنه .

وثانيتها : أن لا يوجد في الأخبار شيء من ذلك .

ويقع الحديث عن كل من الصورتين مستقلاً .^(١)) .

ثم قال :

((الصورة الثانية :

ما إذا كان المورد خالياً عن الجواب ، في الأخبار بالمرّة ، أو كان الخبر الدال على وجوبه ساقطاً ، عاجزاً عن الإثبات ، لفساده بحسب القواعد العامة ، أو نتيجة للتعارض ، بالنحو الذي أوضحناه في الصورة الأولى .

وفي مثل ذلك يبقى المورد خالياً عن الجواب ، ويمكن اعتباره فجوة تاريخية مؤسفة بالنسبة إلى الأخبار . وينحصر تحصيل الجواب عليه من القواعد العامة والقرائن المربوطة بالمورد .

ثم نصوغ للجواب (أطروحة) معينة ، محتملة الصدق ، وتقييم من هذه القواعد والقرائن مؤيدات لها . فيتعين الأخذ بهذه الأطروحة ، بصفتها الحل الوحيد للمشكلة .^(٢))) .

ونشاهد ما فيه علامة إستفهام في كلامه من أول الأمر ، إذ هو يقول : " ثم نصوغ للجواب (أطروحة) معينة محتملة الصدق " ، فإذا هي محتملة الصدق ، أي يمكن أن تكون كاذبة ، ثم يضيف : (وتقييم من هذه القواعد والقرائن مؤيدات لها .) ، وهو كلام جيد ، وإذا به مباشرة يقول :

١- تاريخ الغيبة الكبرى / السيد محمد محمد صادق الصدر / ص ٢٤ .

٢- المصدر السابق / ص ٢٦ .

(فیتعین الأخذ بهذه الأطروحة بصفتها الحل الوحيد للمشكلة) .

ومن هنا يأتي التأمل .

فلماذا تكون هي الحل الوحيد ؟

ولماذا هذا التعيين ؟

فليس من عيب ولا حرج على الإنسان أن يقول لا أدري ، أو أن يرجع أمرها إليهم ، كما ورد في الروايات ذلك ، حين تعييننا المسالك ، هذا لو وجدت الروايات ، أما لو فقدت فاعتقد من أن الأمر أوضح من البيان .

ومن المحتمل أن هذا الذي أفاده هو الذي جعله يثبت هذا الأمر ، ويصر عليه ، لأنه لم يجد مخرجاً إلاه ، فاتبه .

ولكن هناك مخارج كثيرة ، وهي ما ذكره هو في هذا الكتاب من أسباب الغيبة إلا هذا السبب ، أو ذكره غيره في غيره ، بل ما ذكرته الروايات الكثيرة ، التي لو أخذناها واحدة واحدة لما وجدنا لهذا السبب فيها من عين ولا أثر ، مع ذكر الأسباب الأخر ، تفصيلاً أو إشارة .

وهي من القرائن الواضحة على بطلان هذه الأطروحة ، وفسادها .

فضلاً من أننا غير مكلفين بالبحث في هذه الموارد التي لا تستطيع إدراكاتنا الإحاطة بها .

عن عبد الواحد بن محمد الميداني عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول :

إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها ، يرتاب فيها كل مُبطل .

فقلت : ولم جعلت فداك ؟

قال : لأمرٍ لم يؤذن لنا في كشفه .

قلت : فما وجه الحكمة في غيبته ؟

قال : وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره .

إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره ، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر- من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت إفتراقهما .

يا بن الفضل إن هذا الامر أمرٌ من أمر الله تعالى ، وسرٌّ من أسرارهِ ، و غيبٌ من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله و أقواله كلها حكمة ، وإن كان وجهه غير منكشف لنا .^(١) .

وفي آخر التوقيع الوارد إلى إسحاق بن يعقوب جواباً عن كتاب كتبه إليه بواسطة محمد بن عثمان العمري ، يسأله عن بعض المسائل :

((.... " إن الله عز وجل يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم " ^(٢) . فأغلقوا باب السؤال عما لا يعينكم ، ولا تكلفوا علم ما قد كُفيتم ، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإن ذلك فرجكم ، والسلام عليك ، يا إسحاق بن يعقوب الكليني ، وعلى من اتبع الهدى .)) .

ولأجل هذا وغيره قال الشريف المرتضى رحمه الله : ((علة الغيبة : هذا مما لا نحيط به .))^(٣) . وهو مما كان ملتفتاً إليه الشهيد الصدر الثاني رحمه الله تعالى ، حتى عندما طرح هذه الأطروحة ، ولكن وجود روايات ، وآيات معينة دعت له للأخذ بهذه الأطروحة ، حيث قال :

١- منتخب الأثر / باب ٢٨ / ص ٢٧١ / عن كمال الدين .

٢- (سورة المائدة / آية ١٠١) .

٣- راجع : المقنع في الغيبة والزيادة المكملة له / للسيد الشريف المرتضى ابي القاسم علي بن الحسين الموسوي ٣٥٥ - ٤٣٦هـ / ص ٤١ / تحقيق السيد محمد علي الحكيم / مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .

((ولعل البعض يعترض بالقول إن الإمام المهدي عليه السلام هو إنسان معصوم ، ولديه المدد من قبل الله ، ولا يحتاج إلى تجارب ، لحصوله على التكامل ، أو للزيادة في العلم والاطلاع ، غير أن هناك العديد من الآيات والأحاديث التي تدل على أن أفضل الخلق ، وهو النبي محمد قابل للزيادة في تحصيل العلم ، وكذلك باقي الأنبياء ، والمعصومين ، حيث يقول سبحانه وتعالى لنبيه :

(وقل ربي زدني علما)^(١).

وكذلك ما كان من شأن النبي موسى عليه السلام والخضر ، حيث كان الخضر معلماً لموسى عليه السلام ، كما قص علينا الله سبحانه وتعالى في قوله : (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً)^(٢) .

وعن سليمان الديلمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : (سمعتك وأنت تقول غير مره لولا أنا نزداد لأنفدنا ، فقال : أما الحلال والحرام فقد أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله بكماله ، وما يزداد الإمام في حلال ولا حرام ، قلت له : فما هذه الزيادة ؟ فقال : في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام .)^(٣)

فبنى إطروحته على هذا الأساس .

هذا بيان لتلك الأطروحة ، وما يחדش بها ، وأما نقدها ففيه تفصيل .

١- سورة طه (١١٤) .

٢- سورة الكهف (٦٦) .

٣- الإختصاص / ص ٣١٣ ؛ ينابيع المعاجز / ص ١٦٢ ؛ بصائر الدرجات / ص ٤١٣ ..

تقد أطروحة تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون

مهيناً ليوم الظهور

أولاً :

وقبل كل شئ نحن نسلّم من أن المعصوم ليس علمه ذاتياً ، ونسلم من أنه يُعطى العلم ؛ إلا أنه يتلقاه من لدن حكيم عليم ، ولو تعلّم فإنه يتعلمه من معصوم مثله .

وبهذا هو نفسه أعني الشهيد الصدر الثاني رحمه الله قد أشكل على مَنْ أشكل عليه من أنه لا بد من أن يكون إبناً للحسن العسكري عليه السلام ، ولا يمكن أن يولد بعد ذلك ، لعدم القدرة والطاقة حينئذ ، كما استعرضناه قبل قليل .

ثانياً :

نسلّم من أن المعصوم يزداد علماً يوماً بعد يوم .

ولكن ماذا يتعلم ؟

ولنتأمل فيما قال ، إذ الأمر الأول الذي ذكره واضح الرد :

قال تعالى : "ربي زدني علماً" ، فإن النبي صلى الله عليه وآله لم يطلب الزيادة من أحد ، بل طلبها من ربه ، ولم يطلبها من غيره ، وهذا هو فرق المعصوم عن غيره ، كما قدمنا هذا في الأمر الأول .

و أما تعليم الخضر لموسى فكان بأمر إلهي ، كما أنه تعليم معصوم من معصوم ، وهذا لا ضير فيه ، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : (سلوني

قبل ان تفقدوني.. هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً .^(١)) وفي رواية كشف اليقين : ((قال سلوني من قبل أن تفقدوني ، فإنما بين الجوانح مني علم جم ، هذا سفظ العلم ، هذا لعاب رسول الله ﷺ ، هذا ما زقني رسول الله ﷺ زقاً .^(٢) .

و حتى الفخر الرازي قد روى أيضاً في تفسيره قوله ﷺ : " لقد علمني رسول الله ألف باب ، كل باب يفتح ألف باب^(٣) " .

ثالثاً :

و أما الرواية عن سليمان فهي كما قال ﷺ (لولا أنا نزداد لأنفدنا) .
ولكن ماذا يزدون ؟

لا نعلم ذلك إلا عن طريقهم أنفسهم .

فهنا شيثان : الأول : أنهم يزدون .

الثاني : ماذا يزدون ؟!

الأول : وقد تقدم فيه ما يكفي ، وهو مسلم من قبل الجميع .

وقد أفرد الشيخ الكليني له عنواناً خاصاً به : (بَابُ فِي أَنْ الْأَئِمَّةَ ﷺ يَزِدَادُونَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ / كتاب الحجّة .) .

ثم ألحقه بعنوان ثانٍ : (بَابُ : لَوْلَا أَنْ الْأَئِمَّةَ ﷺ يَزِدَادُونَ لَنَفِدَمَا عِنْدَهُمْ .) . وذكر تحت ذلك عدة روايات ، ننقل رواية واحدة منها :

١- . الأماي / للشيخ الصدوق / ص ٣٤١ / المجلس ٥٥ .

٢- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ﷺ / تأليف العلامة الحلي / تحقيق حسين الدرگاهي / ص : ٥٦ .

٣- التفسير الكبير / الفخر الرازي / رواه في تفسير قوله تعالى : ((ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض...)) (آل عمران: ٣٣، ٣٤) .

روى (علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن صفوان بن يحيى قال سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول كان جعفر بن محمد عليه السلام يقول لولا أنا تزدد لا تفقدنا.

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد عن صفوان عن أبي الحسن مثله .

الثاني : ماذا يزدون ؟

ليس لنا أن نتصور هذه الزيادة بهذه الكيفية التي تصورها شخصياً ، فهو أمر مربوط بالغيب ، فإذا أردنا الإطلاع عليه فعليتنا معرفته بما جاء عنهم عليهم السلام .

وقد أفرد الشيخ الكليني لذلك عنواناً آخر : (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام) ثم أورد عدة روايات نحن نكتفي بواحدة :

روى (علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسن بن شمون عن عبد الله بن عبد الرحمن عن عبد الله بن القاسم عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

إن الله تبارك وتعالى علمين علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه ، وعلماً استأثر به ، فإذا بدأ الله في شيء منه أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا .

فهنا العلم علمان :

(١) : ما علمه الله تعالى ملائكته ورسله وأنبياءه ، وقد علموه .

(٢) : وعلم استأثر به تعالى ، فمن هذا العلم إذا بدأ الله في شيء منه أعلمهم ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلهم .

فمن هذا العلم بصريح العبارة يفاض عليهم ، لا من تجارب المجربين ،

ولا من استقراء المستقرئين ، ولا استنباط المستنبطين .

كما أن نفس الشهيد الصدر الثاني رحمه الله قد أورد :

(وعن أبي بصير أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال ضمن حديث طويل :
إن عندنا علم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، قال : قلت :
جعلت فداك ، هذا والله العلم .

قال : إنه لعلم ، وليس بذلك ، قال : قلت : جعلت فداك ، فأبى شيء
العلم ؟

قال : " ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء ،
إلى يوم القيامة . " ^(١) وهي الرواية الثالثة التي ذكرها .

فانظر لتر العجب في علمهم ، ومن علمهم ، فليس يعلمون علم ما كان
وعلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، بل يعلمون ما يحدث بالليل والنهار الأمر
بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة .

أي لحظة بلحظة ، وطرفة عين أو أقل أو أكبر بمقدارها

فهل يحتاج من هذه خصوصياته لما ذكر بعد اطلاعه المباشر على كل
هذا؟! .

فالذي نريد أن نقوله ، والذي ظهر لنا من كل ما تقدم ومن غيره ، فعلمنا
به علم اليقين :

من أن الإمام عليه السلام هو الذي يقوم الناس ، لا أن الناس يقومونه .

ومن أنه هو الذي يقوم التجارب ، لا أن التجربة تقومه ، فتفكر في هذا
جيداً .

رابعاً :

لو سلمنا بما قال في أطروحته لوقعنا في مشكلة عويصة لا مخرج منها أبداً، ورجع عدم سعادة الناس إليه روحي فداء ، أو إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وهو بما يباه العقل والنقل .

كيف ؟

وذلك لأن هذه الأطروحة كما قدمنا وكما هو معروف جعلت التكامل للمعصوم جعلته شرطاً من الشروط الأربعة للظهور ، ولو تم ذاك فهذا يستدعي فساداً عظيماً ، لو التفت إليه الشهيد السعيد رحمه الله لما تبنى هذه الأطروحة أبداً .

بيانه :

المشروط عدمّ عند عدم شرطه ، كما قد صرح هو بذلك .
فحينئذ لو تمّ العدد من المحصين ، والشروط الباقية كذلك ، ما عدا هذا الشرط فلا يمكن للمعصوم أن يظهر ، فترتب على ذلك فساد الناس على طول الخط في هذه الفترة ، إلى أن يكتمل معصومهم .
وهذا كما ترى .

ولا يمكن الخلاص من هذا الإشكال بالقول من أن الله قد رتب الأمور بحيث أن الإمام يكتمل باكتمال تلك الشروط الباقية .
لأننا نقاش النظرية من الجهة العلمية والحقيقية ، لا الجهة الخارجية فانتبه .
أي في عالم الإمكان يجب أن تكون تامة لتقع ، لا إن عالم الوقوع يخالف ولو في الجملة عالم الإمكان .

فإذا فسدت هذه الجهة فسدت الأطروحة جزماً .

وهذا مدار ما سيأتي في (سادساً ، وسابعاً) ، فانتبه لهما جيداً ، لأن الفكرة فيهما عميقة نوعاً ما .

خامساً :

هذا الذي ذكر خلاف ما جاءت به الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ،
وخلاف ما عليه علماؤنا :

فإنه قال :

((في الجهة الرابعة : (التخطيط الالهي الخاص بإيجاد القائد ^(١))
ويكون ذلك على مستويين ، الأول : بلحاظ إيجاد قابلية هذه القيادة في
شخص القائد . والثاني : باعتبار تكامل هذه القابلية لديه .) ^(٢) .

إذ ورد في الروايات :

((ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء
بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا ،
على حق المعرفة وصدقها منهم بنا ، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه
ولا نؤثره منهم ، والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلواته على
سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم .) ^(٣) . فركز على قول
المعصوم لتجد صدق ما تقول .

فالإمام مهياً في كل وقت للظهور ، والمانع غيره .

وهذا الذي قدمناه لا يبعد عن كلام الشيخ الطوسي (قدس سره) مثلاً
حيث يقول :

((فإن قيل : لم زعمتم أنه يجب إيجاده في حال الغيبة ، وهلاجاز أن
يكون معدوما ؟ .

١- تاريخ الغيبة الكبرى / ص ٤١٥ .

٢- المصدر نفسه .

٣- الإحتجاج / تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / ج ٢ / ص ٣٢٤ .

قلنا : إنما أوجبنا ﴿ ذلك ﴾ من حيث إن تصرفه الذي هو لطفنا إذا لم يتم إلا بعد وجوده وإيجاده لم يكن في مقدورنا ، قلنا عند ذلك : أنه يجب على الله ذلك ، وإلا أدى إلى أن لا نكون مزاحي العلة بفعل اللطف فنكون أتينا من قبله تعالى ، لا من قبلنا .

وإذا أوجده ، ولم نمكنه من انبساط يده أتينا من قبل نفوسنا ، فحسن التكليف ، وفي الأول لم يحسن .^(١) . وهذا نفسه نجره هنا ، لأنه أحد أوجهه إن لم يكن نفسه ، حيث تقول الأطروحة :

إن طاقته وكماله لقيادة العالم لم تتم بعد ، وإن كان معصوماً ، وهي تتم بالتدرج ، أي بالتكامل إلى وقت الظهور ، أي التكامل المطلوب غير موجود فعلاً .

قلنا : إنما أوجبنا ﴿ أن يكون مهياً دائماً للظهور ومتكاملاً له ﴾ من حيث إن تصرفه الذي هو لطفنا إذا لم يتم إلا بعد وجوده وإيجاده لم يكن في مقدورنا ، قلنا عند ذلك : أنه يجب على الله ذلك أي إيجاده .

إذ أن هذا الأمر ليس بمقدورنا ، بل بمقدور الله تعالى وهو لم يوجد على الفرض فنكون قد أخذنا من قبل الباري سبحانه وتعالى ، وهو كما ترى . وقد قال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (قدس) بهذا الخصوص كذلك :

(الذي نقوله في هذا الباب ما ذكره المرتضى رحمه الله في الذخيرة ، وذكرناه في تلخيص الشافي^(٢) :

١- كتاب الغيبة / تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ -) / ص ١٢ - ١٣ / تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ علي احمد ناصح / مؤسسة المعارف الاسلامية .

٢- تلخيص الشافي / ج ١ / ص ٧٩ - ٨٠ .

أن الذي هو لطفنا من تصرف الإمام ، وانبساط يده لا يتم إلا بأمور ثلاثة:

أحدها يتعلق بالله وهو إيجاده عليه السلام .

والثاني يتعلق به من تحمل أعباء الإمامة والقيام بها .

والثالث يتعلق بنا من العزم على نصرته ، ومعاضدته والانقياد له ^(١) .

فدقق في هذه الأمور لأنها مفتاح الحل .

وتتم المطلب للذي لم يستوعب الأمر لحد هذه الكلمة بالمثال الذي جاء به المخالف وذكره الشيخ الطوسي ورده :

((والمثال الذي ذكره - أي المنكر لوجود الإمام عليه السلام - من أنه لو أوجب الله علينا أن نتوضأ من ماء بئر معينة لم يكن لها جبل نستقي به ، وقال لنا : إن دنوتم من البئر خلقت لكم حبلاً تستقون به الماء ، فإنه يكون مزياً لعلتنا . ومتى لم نذن من البئر كنا قد أتينا من قبل نفوسنا لا من قبله تعالى .

وكذلك لو قال السيد لعبد وهو بعيد منه : اشتر لي لحماً من السوق ، فقال : لا أتمكن من ذلك ، لأنه ليس معي ثمنه ، فقال : إن دنوت أعطيتك ثمنه ، فإنه يكون مزياً لعلته ؛ ومتى لم يدن لاخذ الثمن يكون قد أتى من قبل نفسه لا من قبل سيده .

وهذه حال ظهور الامام مع تمكيننا فيجب أن يكون عدم تمكيننا هو السبب في أن لم يظهر في هذه الاحوال لا عدمه ، إذ كنا لو مكناه عليه السلام لوجد وظهر .

قلنا - والقول للشيخ الطوسي - : هذا كلام من يظن أنه يجب علينا تمكينه إذا ظهر ، ولا يجب علينا ذلك في كل حال .

ورضينا بالمثل الذي ذكره ، وهذا رد على المثال الأول، لأنه تعالى لو أوجب علينا الاستقاء في الحال لوجب أن يكون الحبل حاصلًا في الحال ، لأنه به تزاح العلة .

لكن إذا قال : متى دنوتم من البئر خلقت لكم الحبل ، إنما هو مكلف للدنو لا للاستقاء ، فيكفي القدرة على الدنو في هذه الحال ، لأنه ليس بمكلف للإستقاء منها . فإذا دنا من البئر صار حينئذ مكلفاً للإستقاء ، فيجب عند ذلك أن يخلق له الحبل .

فنزير ذلك أن لا يجب علينا في كل حال طاعة الامام ، وتمكينه ، فلا يجب عند ذلك وجوده .

فلما كانت طاعته واجبة في الحال ولم تقف على شرطه ، ولا وقت منتظر ، وجب أن يكون موجوداً ، لتزاح العلة في التكليف ، ويحسن .

والجواب : عن مثال السيد مع غلامه مثل ذلك : لأنه إنما كلفه الدنو منه لا الشراء ، فإذا دنا منه وكلفه الشراء وجب عليه إعطاء الثمن .

ولهذا قلنا : إن الله تعالى كلف من يأتي إلى يوم القيامة ، ولا يجب أن يكونوا موجودين مزاحي العلة لأنه لم يكلفهم الآن ، فإذا أوجدتهم وأزاح علتهم في التكليف بالقدرة والآلة ونصب الأدلة حينئذ تناولهم التكليف . فسقطت بذلك هذه المغالطة .

على أن الامام إذا كان مكلفاً للقيام بالأمر وتحمل أعباء الإمامة ، كيف يجوز أن يكون معدوماً ؟ .

وهذا نفسه نقوله في حال كونه ليس بمتكامل للظهور .

فنقول : على أن الامام إذا كان مكلفاً للقيام بالأمر وتحمل أعباء الإمامة ، كيف يجوز أن يكون معدوماً قابليته ؟ - .

وهل يصح تكليف المعدوم عند عاقل ؟ .

- وفيما نحن فيه نقول هل يصح تكليف الذي لا يستطيع أن يركض
الركض ؟ -

وليس لتكليفه ذلك تعلق بتمكيننا أصلاً ، بل وجوب التمكين علينا فرع
على تحمله على ما مضى القول فيه ، وهذا واضح .^(١) ثم لاحظ ما قاله
الشيخ المفيد قدس الله نفسه الزكية قبل ذلك ، عندما أشكل عليه من أشكل
بأنه ما الفرق بين أن يكون موجوداً أو معدوماً :

((قال له : إن الله سبحانه إذا نصب دليلاً وحجة على سائر خلقه
فأخافه الظالمون كانت الحجة على من أخافه ، لا على الله سبحانه ، ولو
أعدمه الله كانت الحجة على الله ، لا على الظالمين ، وهذا الفرق بين وجوده
وعدمه .^(٢)))

ونفس الجواب نسوقه هنا :

إن الله سبحانه إذا نصب دليلاً وحجة على سائر خلقه ، فكان اختفاؤه
لتكامله ، كانت الحجة على الله سبحانه لا على الظالمين .

و بلفظ آخر نقول ما قاله أيضاً بعد أن أورد عليه لماذا الغيبة ، مع أن
أحداً من آبائه ما غاب ؟ :

((ولما ثبتت عصمته بأدلتها وجب استتاره من أعدائه حتى يعلم - يقيناً لا
شك فيه - حضور الاعوان ، واجتماع الأنصار ، وتكون المصلحة العامة في

١- كتاب الغيبة تأليف شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ ٤٦٠ هـ تحقيق
الشيخ عباد الله الطهراني الشيخ على احمد ناصح / ص (١٤ - ١٥) / مؤسسة المعارف
الاسلامية / بتصرف قد أشير إليه .

٢- الرسالة الثانية في الغيبة / تأليف الامام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان ابن المنعم ابي
عبد الله، العكبري، البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) / تحقيق علاء الدين جعفر . / ص ١٥ .

ظهوره بالسيف . ((^(١))).

وقد قال العلامة الحلبي "قدس الله نفسه" : ((وأما سبب خفائه ﷺ، إما لمصلحة إستأثره بعلمها ، أو لكثرة العدو وقلّة الناصر ، لأن حكّمته تعالى ، وعصمته لا يجوز معهما منع اللطف ، فيكون من غير العادة ، وذلك هو المطلوب ^(٢))) فإذا ما يتعلق بالله من أمر قد سواه .

وما يتعلق بالمعصوم قد أنجز .

ويبقى ما لا يتعلق الأمر لا بالله ولا بوليه ، بل بغيرهما .

وهذا عائد إما : لشئ نجمله ، وعندما نقول نجمله نعني بذلك من أنا و إن كنا نعلم من أن هناك حكمة إلهية ورائه إلا إننا لا نحيط بها ، ولا يمكن أن تدركها عقولنا الآن .

أو لكثرة العدو وقوته .

أو لقلّة الناصر وضعفه .

أو هذه ال (أو) تكون واواً عاطفة .

سادساً :

ثم لا ننس من أن هناك قاعدة قد أسسها الإمام الصادق ﷺ ، وذكرها الشيخ الصدوق قدس الله نفسه الطاهره في بداية كتابه القويم (إكمال الدين)، ونحن نبينها حيث يقول عزّ من قائل : ((وإذ قال ربك للملكة إني جاعل في الارض خليفة))

فقبل أن يخلق الخليفة خلق الخليفة ، ومن هنا نعلم من أن أمر الخليفة

١- ص ٥ / الرسالة الثالثة في الغيبة / نفس المصدر .

٢- الباب الحادي عشر / ص ٤٦ / أواخر الفصل السادس / في الإمامة / العلامة الحلبي /

بشرح الشيخ المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين ابن محمد السيوري الحلبي الأسدي .

أهم من أمر الخليفة ، ولعله لأنه قوامها .

وذلك مثلما أخبر الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال : " الحجة قبل الخلق ، ومع الخلق ، وبعد الخلق " .

وعقب الشيخ على ذلك فقال : ((ولو خلق الله عزوجل الخليفة خلواً من الخليفة لكان قد عرضهم للتلف .

ولم يردع السفية عن سفهه بالنوع الذي توجب حكمته من إقامة الحدود، وتقويم المفسد .

واللحظة الواحدة لا تسوغ الحكمة ضرب صفح عنها ، إن الحكمة تعم كما أن الطاعة تعم.)) .

ثم أتم كلامه : ((ولولا أن القرآن نزل بأن محمداً صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء لوجب كون رسول في كل وقت .

فلما صح ذلك إرتفع معنى كون الرسول بعده ، وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل .

وذلك أن الله تقدس ذكره لا يدعو إلى سبب إلا بعد أن يصور في العقول حقائقه .

وإذا لم يصور ذلك لم تتسق الدعوة ، ولم تثبت الحجة .

وذلك أن الاشياء تألف أشكالها ، وتنبو عن أضدادها . فلو كان في العقل إنكار الرسل لما بعث الله عزوجل نبياً قط .^(١))) .

والخلافة غير النبوة ، كما ظهر وصرح بذلك فيما مر ، بعد أن بينه بقوله قبل قليل : ((وبقيت الصورة المستدعية للخليفة في العقل .)) .

ثم ألا تلاحظ قوله تعالى : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ^(١)﴾

والله يقول ((وخاتم النبيين ^(٢))).

لذا قالوا : ((إن الخلافة تخالف النبوة بوجه ، وقد يكون الخليفة غير نبي ، ولا يكون النبي إلا خليفة . ^(٣))).

سابعاً :

((وفي قول الله عزوجل : " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " حجة قوية في غيبة الامام عليه السلام ، وذلك أنه عزوجل لما قال : " إني جاعل في الأرض خليفة " أوجب بهذا اللفظ معنى ، وهو أن يعتقدوا طاعته ، فاعتقد عدو الله إبليس بهذه الكلمة نفاقاً ، وأضمره حتى صار به منافقاً ، وذلك أنه أضمر أنه يخالفه متى استعبد بالطاعة له ، فكان نفاقه أنكر النفاق لأنه نفاق بظهر الغيب ، ولهذا من الشأن صار أخزى المنافقين كلهم ، ولما عرف الله عزوجل ملائكته ذلك أضمروا الطاعة له ، واشتاقوا إليه ، فأضمروا نقيض ما أضمره الشيطان فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحق عدو الله من الخزي والخسار ، فالطاعة والموالاة بظهر الغيب أبلغ في الثواب والمدح لانه أبعد من الشبهة والمغالطة ، ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (من

١- النور / ٥٥ .

٢- الأحزاب / ٤٠ .

٣- إكمال الدين / الصدوق / ص ٧ .

دعا لآخيه بظهور الغيب ناداه ملك من السماء ولك مثلاه) .

وإن الله تبارك وتعالى أكد دينه بالإيمان بالغيب فقال : " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب - الآية " (١) فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه ، لأنه خلو من كل عيب وريب ، لأن بيعة الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهم على المبايع أنه إنما يطيع رغبة في خير أو مال ، أو رهبة من قتل أو غير ذلك مما هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم ، وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله ، ومحروس من معاييه بأصله ، يدل على ذلك قول الله عزوجل : " فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا " (٢) .

ولما حصل للمتعبد ما حصل من الإيمان بالغيب لم يحرم الله عزوجل ذلك ملائكته ، فقد جاء في الخبر : إن الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام .

وكان يحصل في هذه المدة الطاعة للملائكة الله على قدرها . ولو أنكر منكر هذا الخبر والوقت والاعوام لم يجد بدأ من القول بالغيبة ولو ساعة واحدة ، والساعة الواحدة لاتتعرض من حكمة ما ، وما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان وفي الساعات حكم ، وما زاد في الوقت إلا زاد في الحكمة . (٣))) .

من كل ما تقدم نقول :

إذن يجب أن يكون الخليفة لله موجوداً ، هذا أولاً .

ويجب أن يكون كاملاً ، وهذا ثانياً .

١ - البقرة / آية ٢ .

٢ - المؤمن : ٨٤ .

٣ - إكمال الدين / ص ١١ .

ويجب أن يكون مهيباً تهيبته تامة كذلك ، ثالثاً .

ونحن على بيعته ثابتون ، معقدون من أنه أهل للإمامة ، فهو الحجة التامة أولاً ، وأخيراً .

((ولا يخلو من أن تكون حياته ، وبقاؤه ، هذه المدة الطويلة ، معجزة ، جعلها الله تعالى له ، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين ، يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى ، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى ، إذ كلم الناس في المهد صبياً ، وبعث في الناس نبياً .^(١)))
وبه تتم المقال .

والحمد لله رب العالمين .

المخاتمة:

التوصيات :

أولاً : الثبات على الموالاة في زمن الغيبة :

عن علي بن الحسين زين العابدين: " من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر ، و أحد . ^(١) .

ثانياً : عدم استعجال الظهور .

لأن مظنة استعجال الظهور الوقوع في الفتن .

ثالثاً : لا تنسَ من أن المهم إنك تعرف إمامك .

وقد ذكر صاحب الكافي في باب مستقل سبع روايات اخترنا منها ثلاث :

بَابُ أَنَّهُ مَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ لَمْ يَضُرَّهُ تَقَدُّمُ هَذَا الْأَمْرِ أَوْ تَأَخُّرُ :

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمُهورٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ " ، فَقَالَ يَا فَضِيلُ اعْرِفْ إِمَامَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ إِمَامَكَ لَمْ يَضُرَّكَ تَقَدُّمُ هَذَا الْأَمْرِ أَوْ تَأَخُّرُ .

وَمَنْ عَرَفَ إِمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِدًا فِي عَسْكَرِهِ ، لَا بَلَّ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَعَدَ تَحْتَ لَوَائِهِ .

قَالَ وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن علي بن النعمان عن محمد بن مروان عن فضيل بن يسار قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول من مات وليس له إمام فميته ميتة جاهلية ، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه .

علي بن محمد عن سهل بن زياد ، عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب ، عن عمر بن أبان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اعرف العلامة ، فإذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر .

إن الله عز وجل يقول " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " ، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام .

رابعاً : انتظار الفرج بالدعاء :

ففي التوقيع الشريف عن صاحب الأمر الذي خرج على يد محمد بن عثمان قوله : (وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فان ذلك فرجكم . ^(١)) .

خامساً : عدم تصديق كل من يدعي الإرتباط به ، قبل الصيحة .

فقد ورد في التوقيع الأخير الصادر عن صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ، الذي خرج على يد النائب علي بن محمد السمري رحمه الله الذي له شهرة عظيمة :

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يا علي بن محمد السمري : أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فأجمع أمرك ، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً .

و سيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني ، و الصبيحة فهو كذاب مفتر ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .^(١) .

وقد ورد في كتاب كمال الدين : (... فهو كاذب مفتر ...)^(٢) . وهذا الأمر متسالم عليه عند أرباب الفن .

وقد أورده الشيخ الطبرسي في كتابه الإحتجاج^(٣) .

وقد قال رحمه الله في أول كتابه هذا : ((و لا تأتي في أكثر ما نوره من الأخبار بإسناده إما لوجود الاجماع عليه ، أو موافقته لما دلت العقول إليه ، أو لاشتهاره في السير ، و الكتب بين المخالف و المؤلف ..)) .

أما سند الشيخ الطوسي رحمه الله فقد قال : ((و أخبرنا جماعة (و هم مشايخه) عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق) قال : حدثني أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب (الذي ترحم عليه الصدوق في إكمال الدين) ، و ذكر التوقيع الشريف .)) .

فهنا إخباران :

الأول : أنه سيأتي من يدعي المشاهدة ، وقد حصل .

الثاني : أن المشاهدة لا يمكن أن تقع إلا بعد خروج السفيناني ، و الصبيحة .

١- غيبة الشيخ الطوسي / ص ٣٩٥ ؛ عنه بحار الانوار / ج ٥١ / ص ٣٦١ .

٢- كمال الدين / ٥١٦ / ح ٤٤ .

٣- الإحتجاج / أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان / ج ٢ / مطبعة النعمان ، النجف الأشرف / ٥١٣٨٦ - ١٩٦٦ م .

فبناءً على هذين الإخبارين الصادقين يجب علينا أن نكذب كل مَنْ ادَّعى المشاهدة قبل السفيناني والصيحة .

ورب إشكال مشهور يرد هنا مؤداه : كيف يُنقل أن بعض العلماء ، بل بعض الأشخاص العاديين قد شاهدوه ، وتحدثوا معه سلام الله عليه ؟
و قد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أوجه منها :

قال الشيخ المجلسي قدس سره في بحاره بعد ذكر التوقيع الشريف : ((علته محمول على مَنْ يدَّعي المشاهدة مع النيابة ، وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة ، على مثال السفراء ، لثلاثين في الأخبار التي مضت ، وستأتي فيمن رآه عليه السلام ، والله يعلم .^(١))) ويقول السيد جعفر مرتضى العاملي في مختصر مفيد :

((يمكن أن يكون المراد بقوله : مَنْ ادَّعى الرؤية فكذبوه . ذلك الذي يدَّعي الرؤية ويدَّعي المعرفة حين المشاهدة ، فمن ادَّعى ذلك فلا بدَّ من تكذيبه ، وردَّ قوله عليه .

وأما دعوى بعض أولياء الله في زمن الغيبة أنهم رأوه عليه السلام ، فليس فيها أنهم عرفوه حين المشاهدة ، وإنما هم قد عرفوه بعدها ، حين التفتوا إلى أمور ، وشواهد ، دلَّت عليهم عليه ، وأشارت إليه .^(٢))) ثم كأنه أجاب عن سؤال مقدر مؤداه فلم يظهر بهذا الشكل ؟!

إذ قال : (ولعلَّ لظهوره لبعض الأولياء منهم في أوقات متباعدة شأنًا في الربط على قلوب المؤمنين ، وحفظ يقينهم ، وتثبيتهم في مواقع الاهتزاز ، و شعورهم بالأمن ، والسلام ، والسلامة .^(٣)) .

١- بحار الأنوار / المجلسي / ج ٥٢ / ص ١٥١ .

٢- ج ١١ / ص ٨٨-٨٩ .

٣- نفس المصدر .

فمن هذا وغيره علينا أن نكذب كل هؤلاء الأعداء الذين يدعون أنهم سفراء للإمام ، وبطريق أولى علينا أن نكذب أيضاً كل من يدعي أنه ابن الإمام ، أو إنه قد تزوج أخته ، أو إن الإمام يرافقه ... إلى آخر هذه الخزعبلات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سادساً :

ملاحظة العلامات بصورة دقيقة :

وفي رواية عن الباقر عليه السلام قال : " خروج اليماني والسفياني والخراساني في سنة واحدة ، وفي شهر واحد ، وفي يوم واحد ، ونظام كنظام الخرز ، يتبع بعضه بعضاً . ^(١)"

فلا نؤمن بكل من يدعي أنه اليماني ، لأنه والسفياني والخراساني يخرجون في سنة واحدة ، فلا يمكن أن يكون هو اليماني ولم يخرج في سنة خروجه كل من الخراساني واليماني ، فانتبه لثلاث تضييع .

وانتبه لترتيب بعض الأحداث : فقتل النفس الزكية في سبعين من الصالحين ، لتكون بعدها بثلاثة أسابيع الطلعة البهية .

و الصيحة تحدث بعد الكسوف - هذا الذي سنشير إليه في الفقرة التالية - ، إذ هو الذي يدل عليها ، لنتهيأ لها .

سابعاً :

إنظار الكسوف في وسط الشهر والخسوف في آخره ، فإنه من أهم العلامات على ظهوره المبارك في تلك السنة .

عن بدر بن الخليل الأزدي قال : كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال :

آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام ، لم تكونا منذ هبط آدم إلى الأرض ، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره .

فقال رجل : يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر ، والقمر

في النصف !

فقال أبو جعفر عليه السلام :

(إني أعلم ما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام . (١))

وقد ورد عن ورد أخي الكمي ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه

قال :

(إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى ، والشمس لخمس

عشرة ، وذلك في شهر رمضان . وعنده يسقط حساب المنجمين . (٢)) .

والعجيب أن هذا الأمر قد جاء حتى في روايات الفريق الآخر ، فقد ورد

في سنن البيهقي عن جابر ، عن محمد بن علي : إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ

خلق السماوات والأرض ، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان ، وتنكسف

الشمس في النصف منه ، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض (٣) .

ثامناً : نحتاج إلى مقدمة لطيفة :

في البوسنة عندما يصفون فلاناً بالإيمان لا يصفونه بذلك لصلاته ، ولا

لعبادته ، بل لمقدار عدائه لأمریکا ، فكلما اشتد عداؤه لأمریکا يعلم عندهم

١- الكافي / ٨ / ٢١٢ ؛ النعماني / ٢٧١ ؛ الإرشاد / ٣٥٩ ؛ غيبة الطوسي / ٢٧٠ ؛ إعلام
الورى / ٤٢٩ .

٢- النعماني / ٢٧ ؛ كمال الدين / ٢ / ٦٥٥ ، والعدد القوية / ٦٦ ، وعنهما البحار / ٥٢ / ٢٠٧ .

٣- سنن الدارقطني : ٢ / ٦٥ . وعنه تذكرة القرطبي : ٢ / ٧٠٣ ، والحاوي : ٢ / ٦٦ ، و

مرقاة المفاتيح : ٥ / ١٨٦ .

من أنه شديد الإيمان .

وهذه ليست لطيفة، بل هي حقيقة، يعرفها كل من اختلط بأهل البوسنة .
لا نريد أن نتعرض لعداوة أمريكا للمسلمين في هذا الكتاب فإن ذلك
ليس من شؤونه ، ولكن نريد أن ننبه على شئ نخاف أن يقع المؤمنون فيه ،
وخاصة إذا كانت أيامنا أيام الظهور .

الميزان الحقيقي للإيمان والكفر هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد عقد النسائي باباً خاصاً أسماه (باب علامة المنافق) ، ذكر فيه ما
ورد في كتب الفريقين عن علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال " والذي فلق
الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي أن لا يجبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا
منافق . (١) " .

وقد أورده ابن ماجه في سننه (٢) ، و مسلم في صحيحه ، في باب الدليل
على أن حب الأنصار وعلي من الايمان (٣)

ولذا جاء عن الصحابي الجليل (أبي ذر الغفاري) رضي الله عنه : (ما
كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله ، والتخلف عن الصلاة ،
والبغض لعلي بن ابي طالب (٤)) . وقال أبو سعيد الخدري : (إنا كنا نعرف
المنافقين - نحن معاشر الانصار - ببغضهم علي بن ابي طالب . (٥)) .

فهذا هو ميزان الإيمان وغيره ، لا حب أمريكا ، وبغض أمريكا .

١- سنن النسائي ج ٨ / باب علامة المنافق .

٢- سنن ابن ماجه / ج المقدمة / باب ١١ / حديث ١١٤ .

٣- صحيح مسلم/ ج ١ / باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من الايمان/حديث رقم ٧٨.

٤- مستدرک الصحيحين / ج ٣ / ص ١٢٩ .

٥- سنن الترمذي / ج ٥ / كتاب المناقب / ٨٣ / حديث ٣٠٠ .

لأن الذي تقدم ربما سيوقع البعض في متاهات يخرج بها عن الجادة الحقة .
وذلك لأنه إذا صارت أمريكا هي الميزان فحيثُ ستكون النتيجة أن كل
من يحاربها سيكون على الحق .

وهذا ما وقع فيه بعض الشباب المؤمن عندما أعلن " ابن لادن " عداوته
لأمريكا ، بعد أن كان هو بنفسه ومرزقته من صنائعها ، باعتراف قادة أمريكا
نفسها .

أقول بعد أن أعلن عداوته أصبح بعض المؤمنين مع الأسف يثمنون
جهوده ، بل تجرأ بعضهم بأن قال من أن هذا الخبيث يساوي مائة عمامة من
العمائم ، ولا أريد أن أعلق على هذا ، ولكن أقول لو أصبح هذا هو الميزان
فحيثُ لو فرضنا أن السفيناني قد خرج وظاهره عداوة أمريكا ، كما ظاهر هذا
اللعين ، وخاصة لأن خطه هو بنفسه خطه ، فكم من أمثال من ذكرنا سيكون
في صف السفيناني ، ومع جنوده ، لا لشي إلا لعداوته لأمريكا؟!!

فيجب الإنتباه لهذا المزلق الخطر .

ولتقريب الفكرة نضرب مثلاً من تاريخنا :

معاوية كان عدواً لعلي عليه السلام ، فليس معناه أن عدو معاوية يصبح على
الحق ، لأنه ربما يكون عدواً لمعاوية ومع ذلك هو عدو للحق ، كما كان
الخوارج أعداءاً لمعاوية ، وهم في نفس الوقت كانوا أعداءاً للحق المتمثل بعلي
بن أبي طالب عليه السلام .

فاتنبه يا أخي المسلم لثلاث تقع في مثل هذه المطبات الحديثة .

تاسعاً :

قال الإمام الحجة عليه السلام : (فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من
محبتنا ، ويتجنب ما يدينه من كراهيتنا وسخطنا . ^(١)) .

عاشراً :

وفيه البشارة العظيمة لكل مؤمن في زمن الغيبة .

فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي^(١) عن الإمام علي بن الحسين ، زين العابدين عليه السلام ، أنه قال : ((... تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده .

يا أبا خالد !

إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته ، والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان ، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف ، أولئك المخلصون حقاً ، وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرأً وجهراً ^(٢) .

فهنيئاً لكم .

فالذي يريد أن يكون منتظراً لإمامه فعليه أن يكون مخلصاً حقيقياً ، لتظهر عليه صفات الشيعة المخلصين ، بأن يكون من الدعاة إلى دين الله سرأً وجهراً ، بالقول والعم ، كما وصفه إمامه زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام .
وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصف المؤمنين الثابتين في عصر

١- قال الفضل بن شاذان ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة أنفس : سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيب ، محمد بن جبير بن مطعم ، يحيى بن أم الطويل ، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه (كنكر) ، ثم قال : وفي خبر الحواريين إنه من حواري علي بن الحسين عليه السلام ، وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة عليهم السلام . أنظر الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ج ١ ص ٦٠ .

الغيبية :

(أولئك منا ونحن منهم ، قد رضوا بنا أئمة ، ورضينا بهم شيعة ، فطوبى لهم ، ثم طوبى لهم ، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة .^(١) .

اللهم عَرَفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ ،
اللهم عَرَفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ ،
اللهم عَرَفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي .

وبهذا نختم حديثنا ، قائلين ((الحمد لله رب العالمين)) ، ونحن نصلي على خير خلق الله " محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين " ، صلى الله عليهم أجمعين ، وجعلنا الله تعالى وإياكم من المنتظرين الصادقين ، وعجل الله لمن ينتظر الفرج ، وسهل له المخرج ، آمين رب العالمين .

محمد حسين الأنصاري

/ ليلة الجمعة / ٢٢ / ٢ / ١٤٣١ هـ .

/ يوم ١ / ٤ / ٢٠١٠ م . / سدني / أستراليا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

قصيدة بعنوان : أين الطالب بدم المقتول بكر بلا ؟

جاءت من أثر قراءة دعاء الندبة ، وذكر الإمام الحسين عليه السلام فيه ، مع ما يجري علينا من أحداث مؤسفة :

أيها الطالبُ ذُحِلَ الأصفياءُ	أيها الحاملُ إرثَ الأنبياءِ
لحُسينِ يتّمي من كربلاء	أيها الطالب بالشار الذي
ودموع قد جرت مثلَ الدماءِ	بدماءٍ سُفِكتْ في أرضِها
وإمامٍ قادهُم نحوَ البقاءِ	لرجالٍ دافعوا عن حقِّهمْ
في سبيلِ اللهِ يا نِعَمَ القضاءِ	شهداءٍ قد قَضَوْا نَحْبَهُمْ
واسمِحِ الآنَ فقدَ فاضَ الإناءُ	إنِّي أسألُ يا ابنَ الأنبياءِ
أسمِعتَ الثَّكلَ من خيرِ النساءِ ؟	أو تدري زينبٌ قد سُيِّتَ ؟
من معينٍ ؟ يا لصوتِ الغرباءِ	ونيدا واعيةَ الطُفِّ الأ
كيف يخفى وهو يعنكَ النداءُ ؟	وصدى صوتِ حُسينِ هزنا
أسسوا في أمرنا أسَّ الشقاءِ	كلُّ جُرمٍ جرّةُ جُرمِ الأولى
قائدَ القومِ تواری في الخفاءِ	إنَّهُم لَمَّا رأوا سيدنا
مزقونا مثلَ تمزيقِ الفداءِ	شردونا ، تبعوا آثارنا

بعضنا في مغربٍ صار كما
 ضمنا الشرقُ كما الغربُ كما
 كم نناجيك ؟ وفي النجوى لنا
 وسُكاري كلُّنا من شدّةِ
 حالنا لا تسألن عن حالنا
 مسنا الضرُّ ولا شكوى لنا
 حالنا يرثي لها إذ أننا
 كلما مرّت علينا ليلةٌ
 يا رئيسَ القومِ قد طالَ المدى
 عجلنَ حاشاك أن تنسى لنا
 فمتى تُروى فقد طالَ الصدى؟
 عندنا أفئدةٌ قد يبست
 إننا أيتامكم ، ما ملجأ
 كم نناجيك وفي القلب منى
 بالثاراتِ حسينٍ كلُّنا

بعضنا في مشرقٍ ، والأمرُ ساء
 ضمنا الفوقُ كما التحت سواء
 بعضُ سلوى علها تلوي البلاء
 ترك الألبابَ حيرى في خواء
 نحنُ حتى في قرانا غرباء
 غيرُ بُعدِ الوصلِ يا حبلَ السماء
 في فلاةٍ دونَ زادٍ دونَ ماء
 صدرنا يزداد ضيقاً والفضاء
 نستكي لله من ثقل البلاء
 مثقلاً مُستضعفاً يرجو اللقاء
 نحنُ من دونك ظمنا نُعساء
 وأياديك لها عينُ الشفاء
 ضمنا لولاكم أهلَ العطاء
 علها تأتي ولو بعد العناء
 قد حفظناها، متى هزُّ اللواء؟

محمد حسين الأنصاري

سدني / أستراليا / بداية شهر رمضان المبارك ١٤٣١ هـ .

المصادر والمراجع:

القران الكريم

١ : إثبات الهداة / الحر العاملي .

٢ : الإحتجاج / أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي .

٣ : الإختصاص / الشيخ المفيد

٤ : الإرشاد / الشيخ المفيد .

٥ : إرشاد القلوب / الديلمي .

٦ : إرشاد الفحول / الشوكاني .

٧ : أصل الشيعة وأصولها / الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

٨ : أصول الكافي / الشيخ أبو جعفر مُحَمَّد بن يَعْقُوبَ الكَلِينِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

٩ : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / البيهقي

١٠ : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام .

١١ : إعلام الورى بأعلام الهدى / الطبرسي .

١٢ : إكمال الدين / الشيخ الصدوق .

١٣ : إلتزام الناصب في إثبات الحججة الغائب / الشيخ علي اليزدي الحائري .

١٤ : الأمالي / الشيخ الصدوق .

١٥ : الإمامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري .

١٦ : الإنصاف في مسائل الخلاف / الشيخ حسين معتوق .

١٧ : الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة / العلامة السيد عبدالله شبر

١٨ : الباب الحادي عشر / العلامة الحلبي / بشرح الشيخ المقداد بن عبد الله

بن محمد بن الحسين ابن محمد السيوري الحلبي الأسدي .

١٩ : بحار الأنوار / العلامة المجلسي .

٢٠ : بشارة الإسلام في علامات المهدي عليه السلام / مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي .

٢١ : بحث حول المهدي / الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر .

٢٢ : البلد الأمين / الشيخ الكفعمي .

٢٣ : بين السائل والفقير / الشيخ محمد أمين زين الدين .

٢٤ : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة / السيد شرف الدين علي الحسيني الإسترابادي (ت : ٩٤٠ هـ) .

٢٥ : تاريخ الأمم والملوك / لابن جرير الطبري .

٢٦ : تاريخ الغيبة الكبرى / الشهيد السعيد السيد محمد صادق الصدر

٢٧ : تذكرة الخواص / لسبط أبي الفرج ابن الجوزي .

التفاسير :

٢٨ : تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي أبو السعود

٢٩ : تفسير ابن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

٣٠ : تفسير البحر المديد / ابن عجيبة .

٣١ : تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة / الجنابذي (ت القرن ١٤ هـ) .

٣٢ : تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) .

٣٣ : تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) .

٣٤ : تفسير تفسير القرآن / ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) .

٣٥ : تفسير الجامع لأحكام القرآن / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت

٣٦ : تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي

٣٧ : تفسير جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري (ت ٣١٠ هـ) .

٣٨ : تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور / عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

٣٩ : تفسير روح المعاني / الالوسي (ت ١٢٧٠ هـ)

٤٠ : تفسير زاد المسير في علم التفسير / ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

٤١ : تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي / الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ) .

٤٢ : تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن / البقلي (ت ٤٠٤ هـ) .

٤٣ : تفسير فرات الكوفي .

٤٤ : تفسير في ظلال القرآن / سيد قطب .

٤٥ : التفسير الكبير / للإمام الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) .

٤٦ : تفسير الكشاف / الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .

٤٧ : تفسير معالم التنزيل / البغوي

٤٨ : تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير / الرازي (ت ٦٠٦ هـ)

٤٩ : تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) .

٥٠ : تفسير الميزان / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي .

٥١ : تحفة الأحوذني / محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري .

٥٢ : تحفة الزائر / لشيخنا المجلسي .

٥٣ : التعاريف / للمناوي / بتحقيق الداية .

٥٤ : تزكية النفس / السيد كاظم الحائري

٥٥ : تلخيص الشافي / شيخ الطائفة المحقة الشيخ الطوسي

٥٦ : تنقيح المقال / المحقق الشيخ عبد الله المامقاني

٥٧ : دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام / العلامة السيد جعفر مرتضى
العالمي

٥٨ : دراسة في علامات الظهور / السيد جعفر مرتضى العالمي

٥٩ : دلائل الصديق لنهج الحق / الشيخ محمد حسن المظفر .

٦٠ : ربيع الأبرار / الزمخشري

٦١ : الرسائل العلمية ترف أم حل للمشكلات ؟ / الأستاذ الدكتور عبد علي
الخفاف عميد كلية الآداب / جامعة الكوفة / العراق ١٥ / آذار / ورقة
مقدمة إلى الندوة المصاحبة للمؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في اتحاد
الجامعات العربية المنعقد في جامعة الجنان - طرابلس / لبنان ، في ٢١-٢٢
نيسان ٢٠٠٧ .

٦٢ : رسائل في الغيبة / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان
ابن المعلم العكبري البغدادي .

٦٣ : روضة الكافي / الشيخ الكليني

٦٤ : روضة المتقين / الشيخ محمد تقي بن مقصود علي ، الشهير بالمجلسي
الأول ، والد العلامة المجلسي .

٦٥ : سنن البيهقي / أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي .

٦٦ : سنن الدارقطني / علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي .

٦٧ : سنن الدارمي / أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن برهام الدارمي
السمرقندي .

٦٨ : شجرة طوبى / محمد مهدي الحائري .

٦٩ : شرح نهج البلاغة / عز الدين عبد الحميد المدائني ، الحنفي ، المشهور
بابن أبي الحديد المعتزلي .

٧٠ : شرح ابن عقيل / بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري
الهمداني

٧١ : شرح مختصر الروضة / نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم
بن سعيد الطوفي .

٧٢ : سفينة البحار / المقدس الشيخ عباس بن محمد رضا القمي

٧٣ : السلسلة الصحيحة / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

٧٤ : صحيح البخاري / أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة بن بردزبة البخاري .

٧٥ : صحيح مسلم / أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

٧٦ : صحيح الجامع الصغير " وزيادته " الفتح الكبير / الشيخ محمد ناصر
الدين الألباني

٧٧ : الصلاة على النبي و أثرها في النشاطين / محمد حسين الأنصاري

٧٨ : عالم الملائكة الأبرار / الشيخ عمر الأشقر .

٧٩ : عقد الدرر في أخبار المنتظر / يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي
السلمي .

٨٠ : العقد الفريد / أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب بن عبد ربه الأندلسي .

٨١ : علل الشرائع / الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي (٣٠٥ هـ -
٣٨١ هـ) .

٨٢ : عمدة الزائر / السيد حيدر الكاظمي .

٨٣ : عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق .

٨٤ : الغدير / العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني .

٨٥ : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب / محمد بن أحمد بن سالم
السفاريني

- ٨٦ : الغيبة / شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥هـ - ٤٦٠هـ).
- ٨٧ : الغيبة / محمد بن إبراهيم النعماني .
- ٨٨ : فتح الباري في شرح صحيح البخاري
- ٨٩ : الفتوح / ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي
- ٩٠ : الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي
- ٩١ : فلاح السائل / السيد ابن طاووس .
- ٩٢ : فرائد الأصول / الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري
- ٩٣ : فرق الشيعة / محمد الحسن بن موسى النوبختي، من أعلام القرن (٣هـ).
- ٩٤ : الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري
- ٩٥ : الفوائد / الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية (ولد عام ٦٩١ هـ) .
- ٩٦ : في رحاب الزيارة الجامعة / السيد علي الحسيني الصدر .
- ٩٧ : قرب الإسناد / الشيخ الجليل أبو العباس ، عبدالله بن جعفر الحميري ، من أعلام القرن (٣ هـ) .
- ٩٨ : القاموس المحيط والقابوس الوسيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
- ٩٩ : الكامل في التاريخ / لابن الأثير .
- ١٠٠ : كتاب الفتن / لابن حماد .
- ١٠١ : كتاب من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق
- ١٠٢ : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني .
- ١٠٣ : كشف الغمة في معرفة الأئمة / أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح

الأربلي .

١٠٤ : كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ .

١٠٥ : كنز العمال / المتقي الهندي .

١٠٦ : كنز الفوائد / أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي .

١٠٧ : كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر / علي بن محمد الخزاز القمي .

١٠٨ : الكنى والألقاب / الشيخ عباس القمي

١٠٩ : كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام / العلامة الحلبي .

١١٠ : لباب التأويل في معاني التنزيل / الخازن ، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي .

١١١ : لسان العرب / ابن منظور

١١٢ : مآثر الأنافة في معالم الخلافة / أحمد بن عبد الله القلقشندي .

١١٣ : المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين / الأمدي / ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب / لعبد الأمير الأعسم .

١١٤ : المجالس السنية / السيد محسن الأمين .

١١٥ : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي

١١٦ : مجموع فتاوى ابن باز

١١٧ : مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .

١١٨ : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ) .

١١٩ : مسند الإمام الرضا / عزيز الله العطاردي .

- ١٢٠ : مستدرك الصحيحين / الحاكم النيسابوري .
- ١٢١ : مستدرك سفينة البحار / الشيخ عباس القمي .
- ١٢٢ : مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل / الحاج ميرزا حسين النوري ، المشهور بـ " المحدث النوري " .
- ١٢٣ : مسند الإمام أحمد .
- ١٢٤ : مصباح المتعجب - الشيخ الطوسي
- ١٢٥ : مفردات القرآن / للراغب الأصفهاني .
- ١٢٦ : المنع في الغيبة والزيادة المكملة له / السيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥ هـ - ٤٣٦ هـ) .
- ١٢٧ : المقابسات / أبو حيان التوحيدي .
- ١٢٨ : معادن الحكمة / للفيض الكاشاني
- ١٢٩ : المعيار والموازنة / لابن الإسكافي
- ١٣٠ : معاني الأخبار / الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الفقيه .
- ١٣١ : الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر . / السيد ابن طاووس الحلبي .
- ١٣٢ : مناقب آل أبي طالب / الإمام الحافظ ابن شهر آشوب شيرالدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي يش السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) .
- ١٣٣ : منتخب الأثر / الشيخ لطف الله الصافي .
- ١٣٤ : المنطق / محمد رضا المظفر .
- ١٣٥ : موطأ مالك / الإمام مالك أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث

الأصحي المدني .

١٣٦ : نهج البلاغة (جمع الشريف الرضي) بشرح محمد عبده .

١٣٧ : نهج البلاغة / تحقيق صبحي الصالح .

١٣٨ : نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار / الشيخ مؤمن الشبلنجي .

١٣٩ : نفس الرحمن في فضائل سلمان / ميرزا حسين النوري الطبرسي .

١٤٠ : الهداية / الشيخ الصدوق .

١٤١ : الوافي / الفيض الكاشاني محمد محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود

(ت ١٠٩١ هـ) .

١٤٢ : وسائل الشيعة إلى تحصيل أحكام الشريعة / تأليف الفقيه المحدث

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت سنة ١١٠٤ هـ) .

١٤٣ : الورقات / إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

بن محمد الجويني الشافعي (٤١٩-٤٧٨) .

١٤٤ : ينابيع المودة / سليمان بن الشيخ القندوزي .

١٤٥ : ينابيع المعاجز وأصول الدلائل / السيد هاشم البحراني .

وغيرها من العناوين المذكورة في داخل الكتاب .

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد

- كلمة لا بد منها : ٧
- المقدمة ١١
- القسم الأول في فصل واحد : ١٣
- قراءة في آية : ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾
- التفسير الأولي : ١٣
- مرور سريع لمعرفة معنى " البقية " ، ومعنى " بقيت الله " عند أهل اللغة ، والمفسرين .
- التوسع في المعنى : المرحلة الأولى ما بعد التفسير : ١٨
- المرحلة الثانية بعد التفسير : ٢٣
- شواهد على هذا الإستعمال القرآني : ٢٣
- العودة إلى (البقية) : ٢٦
- المرحلة الثانية ما بعد التفسير : ٣٢
- آل الله : ٤١
- القسم الثاني : الدعاء ٤٥
- لقد ورد فيما ورد عنهم عليهم السلام : ٤٥
- مقدمة في (الصلاة) للدخول في المطلب : ٤٥
- حاولنا فيها أن نبين بعض ثقل آل البيت عليهم السلام في الميزان عند الله تبارك وتعالى ، بمعرفة لماذا سميت هذه الأفعال والحركات بالصلاة ، وكيفية الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله ، وماذا يعني ذلك ، لمعرفة بعض الأمور المتعلقة بالحجة من خلالها لأنه منهم عليهم السلام .

٢٧٨..... نهاية المعرفة

٥٣..... ثم نضيف للمقدمة ثلاثة مطالب :

٥٣..... المطلب الأول :

٥٥..... المطلب الثاني :

٥٩..... المطلب الثالث :

٦٦..... ما بعد المقدمة الصيغ الواردة لهذا الدعاء :

٧٠..... الفهم العام لهذا الدعاء :

٧٧..... المرحلة الأولى : ((اللهم عرفني نفسك))

٨٠..... المعرفة الحقيقية :

٨١..... المرحلة الثانية :

٨٣..... المرحلة الثالثة . معرفة الحججة

٨٣..... تمهيد :

٩٥..... الفصل الأول

٩٥..... الفرق بين العلم والمعرفة

٩٥..... كلمة العلم :

٩٦..... كلمة المعرفة

٩٦..... وأما من جهة الإستعمال :

١٠٨..... وعوداً على بدءٍ نقول :

١١٩..... الفصل الثاني

١١٩..... من عرف نفسه فقد عرف ربه :

١٢٥..... الفصل الثالث

١٢٥..... المراحل :

المحتويات ٢٧٩

مقدمة لا بد منها ١٢٥

الخليفة أو المستخلف : ١٢٥

بعض صفات الحجّة عليه السلام التي علينا أن نعرفها و أن نؤمن بها ١٢٨

بيان خاص : ١٣٣

بما ان الذي يريد أن يحيط به ، و بأبائه وأجداده صلوات الله عليهم جميعاً ، صفاتاً وتعريفاً ، ربما تكون الزيارة الجامعة الكبيرة ، المروية عن الإمام عليّ الهادي عليه السلام أحسن معرّف له ، لذا ارتأينا أن نخوض بها من حيث السند . وهل لنا أن نقبلها حتى مع الخدشة في السند ؟ وبطبيعة الحال لم نتعرض لشرح متنها ، لأن الكتاب أنشأ لغير ذلك .

الزيارة الجامعة : سندها ، و متنها : ١٣٣

الفصل الرابع علامات الظهور ١٥٥

القسم الأول : ١٥٥

القسم الثاني : أبعاد علامات الظهور : ١٥٩

القسم الثالث : بقيّة لأبَدٍ منها : ١٦٤

القسم الرابع : وهالك بعضها ، وما قالوا فيها : ١٦٦

القسم الخامس : فمن هو الخراساني : ١٧٨

النفس الزكية : ١٨٠

عبد الله ، و موته : ١٨٠

البترية : ١٨٠

وَمَن هو اليماني يا ترى ؟ ١٨٥

و أما السفياي : ١٩٠

ومن العلامات الصحيحة : ١٩٠

والزوراء لها حديثها الخاص : ١٩١

نار المشرق : ١٩٤

تأمل : ١٩٧

١٩٩..... خاتمة الفصل :

١٩٩..... إرشاد الشيخ المفيد و علاماته :

٢٠٣..... الفصل الخامس

٢٠٣..... القسم الأول علّة الغيبة و أسبابها :

٢٠٥..... فمتى سيكون الفرّج ؟

٢٠٧..... ومن وراء ذلك حكمة عظيمة .

٢٢٣..... القسم الثاني أطروحة :

٢٢٣..... تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيباً ليوم الظهور

٢٣٩ نقد أطروحة تكامل الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ليكون مهيباً ليوم الظهور

٢٣٩..... أولاً :

٢٣٩..... ثانياً :

٢٤٠..... ثالثاً :

٢٤٣..... رابعاً :

٢٤٤..... خامساً :

٢٤٩..... سادساً :

٢٥١..... سابعاً :

٢٥٥..... الخاتمة :

٢٥٥..... التوصيات :

٢٦٧..... المصادر والمراجع :

٢٧٧..... المحتويات